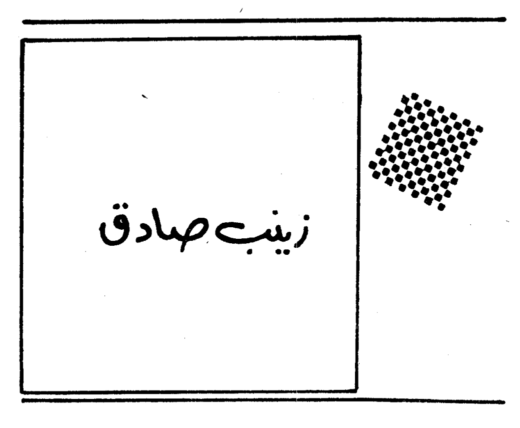
# • لا تسرق الأحلام

# • يوم بعد يوم

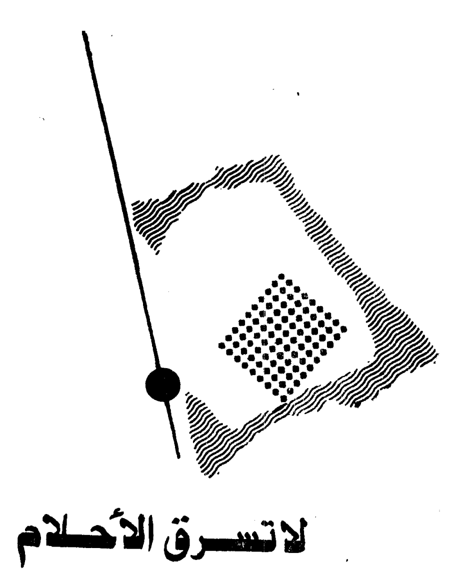





الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٠

الاخراج الفنى والغلاف

ماهر الشمسى



# لاتسرق الأحلام

اجتمعت الأســرة الكبيرة · الأخوة والأخوات ، أطفالهم · وأولادهم وبناتهم · جاءوا جميعا الى البيت الكبير ، جلست «أمينة» وسطهم ، تصب الشاى والقهوة · تضحك من تعليقات ونكت الصبية · ومن حين لآخر ينظرون اليها ، وسؤال فى عيونهم يسألها ، لماذا طلبت منهم الحضور اليوم ؟! · وحتى لا يكون وجــودهم لمجـرد هذا الاجتماع ، أخذوا يتحدثون فى أمور مختلفة عن حياتهم ، ومشاكلهم وان كانت أحوال سرورهم وسعادتهم لا يبوحون بها هكذا بكلمات واضحة ، وفى أجتماع عام !

قال الأخ الأكبر وهو يتخذ وضع أهمية مركزه ، ان الاستعدادت للحرب على أشدها وان كان يستبعد قيامها ، ثم قال محدثا صغار العائلة :

« لقد جئنا الى هذا البيت وقت الحرب العالمية الثانية ، وكانت « أمينة » تتعلم المشى ويضايقها أن نوقف حركتها وقت الغارات ، كثيرا ما كنا نبحث عنها فنجدها تزاول لعبتها الجديدة فى تعلم المشى » ·

قال أحد الصبية : « الحرب العالمية الثانية ، ندرســها فى التاريخ هذا العام » ·

نظرت « أمينة » الى أخيها الأكبر بشيء من الحنق ، وتدارك أخ آخر ضيقها فقال :

« هل تتذكرين يا « أمينة » عندما كنت تمثلين مع صديقاتك وتجبريننا على الاشتراك معكن فى التمثيلية ، حتى الخادمة الصغيرة كنت تشركينها بكلمتين وتعطينها أيضا دور خادمة ، كنا نحن الممثلين والمتفرجين » ·

ضحك الأولاد والبنات وسألوا الراوى أن يحكى لهم المزيد من ذكرياتهم ·

●

وتذكرت « أمينة » وهي ليست فى حاجةالى هذا التذكر ·· ففى هذا البيت الكبير كانت طفولتها · وصباها · وشبابها · وأيضا لتعاستها ·ونضوجها · وذكريات أفراحها المبتورة ، ودموعها الكثيرة ، وأحلامها التى لا تنتهى · ذكرياتهم تركوها على الجدران وذهبوا فهل لم يعد لها مكان فى هذا العالم تذهب اليه ؟!

صمتت « أمينة » كصمت الجدران القديمة المخدشة المكتوب عليها ذكريات السنين ·هذه الجدران التى لم تطل سوى مرة واحدة من سنين بعيدة · عندما حضرت هذه العائلة الكبيرة الى هذا البيت المكون من طابقين · كل طابق به شقتان كبيرتان ، وسكنوا فى واحدة فى الطابق الثانى · ثمانية من الأولاد والبنات ·· الوالدان · وعمة · وللدقة قطتان كانتا تلازمان العمة · وكلب كان يهواه الأخ الأكبر · أفواه كثيرة كانت تريد الطعام لتعيش وتكبر · وأمام التزامات الطبقة المتوسطة بضرورة التعليم للبنات والأولاد ، وضرورة حسن مظهرهم · لم يكن هناك فائض من الدخل لأى اصلاحات أو ترميمات ·

وعندما عمل الأبناء والبنات الخمسة الكبار اقتصدوا أموالهم ليصنعوا بيوتهم وخرج الواحد وراء الآخر الى بيته الخاص ·· وخرج الأب الى قبره · وعندما ارتفعت أسعار المبانى والأراضى

وايجارات الشقق فى السنين الأخيرة بصورة مغرية ومخيفة ، فكر صاحب البيت أن يبيعه أو أن يهدمه ويبنى مكانه عمارة ســـكنية كبيرة · ولما كان صديقا حميما للأب فقد طمأن الأم أنه لن يترك الأسرة الباقية فى البيت بلا مأوى ، وســـيعمل على أن يجد لهم سكنا مناسبا فى نفس الحى أو فى آخر قريب ، اذا ما استقر على رأى · وقد علم سكان الشقق الثلاث الباقية بتفكير صاحب البيت ، فقدموا مذكرات الى أماكن كثيرة يثبتون فيها أن البيت ليس قديما لدرجة تستدعى الهدم ، وأحضروا مهندسين اثبتوا صحة كلامهم · وقرروا أن يشنوا حربا على صاحب البيت اذا هو فكر فى مسألة الهدم ·

وسكان الشقق الثلاث هذه ، ضابط بوليس متقاعد وابنه ضابط بوليس أيضا ، والثانى فى مركز كبير فى البلدية ، والثالث مدير مالى لجريدة يومية · والساكنان الأخيران جاءا من سنوات قريبة ودفعا « خلوا » كبيرا لصاحبى الشقتين ، اللذين تركاهما ولصاحب البيت · وفكر الرجل أنهم يمكن أن « يطربقوها » على رأسه فلم يبق أمامه اذن الا البيع لكن من المغامر الذى يشترى بيتا قديما ايجار شققه الأربع لا يساوى ايجار شقة واحدة حديثة فى هذا العصر ؟! وبهؤلاء السكان المتحفزين ؟!

وبقيت مسألة بيع البيت أو هدمه ، مجرد حلم لصاحب البيت وأيضا « لأمينة » التى أصبحت تضجر من الجدران القديمة والبيت الذى أصبح قزما وسط العمارات الحديثة ·والحى الذى أصبح مع مرور الوقت مثل الســـوق فى الازدحام · هذا الجزء الذى على أطراف « منيل الروضة » ·

واطمأنت الأم والعمة الى استحالة الهدم على الأقل لسنين عشر ، وقد بقى معهما فى البيت الكبير · أمينة · وأخوان · وأحد منهما ذهب فى بعثة الى أمريكا لمدة ثلاث سنوات وعاد منذ شهور · وقد فرحت أمينة بعودته ثم خمدت فرحتها عندما علمت أنه سيتزوج من أمريكية ستحضر بعد شهور وتعيش معهم ، الى أن يستقلا فى بيت · وخلال السنوات الأخيرة ، قامت أمينة وأخواها بعمل بعض

الاصلاحات البسـيطة فى البيت ، وكانت الأم تنصح ألا يعملوا اصلاحات شاملة لأنهم لا يدرون ما فى نفوس أصحاب البيوت من خبث وحيلة • وربما الرجل يفكر فى مصيبة يخرج بها السـكان من البيت ، وكانت أمينة ليست فى حاجة الى هذا القلق ، فهى من قبل تشعر به •

كثيرا ما تشعر أمينة أن جدران البيت تطبق على أنفاسـها لدرجة الزهق والموت ، وأحيانا تحلم أو تتخيل أن هذه الجدران تنطبق على بعضها وتتهشم • تخافها • تكرهها • لا تشعر بالأمان معها • وأحيانا تحلم أو تتخيل أن السقف وقع فوق رأسها • فتقوم منزعجة • وتدور بين الجدران فى يأس سخيف • انها لا تشـعر بالانتماء الى هذا المكان • منذ سنوات بعيدة منذ أول قصة حب عاشتها •

فعندما نحب نشعر بالانتماء الى من نحب • الانتماء الى المكان الذى يوجد فيه من نحب • والرغبة فى عمل مكان ننتمى فيه مع من نحب • وقد تحقق حلم أمينة يوما منذ سنوات بعيدة ، لكنه كان حلما تحقق فى حلم • مثل هذه الأحلام التى نتمناها فى الحقيقة وتتحقق لنا فى أحلام ليلنا ، وتموت مع الصباح ، منذ ذلك اليوم ، منذ سنوات بعيدة وأمينة تشعر بغربة فى هذا البيت ، بين ناسها •

انها تذكر يوم خرجت ، أو على الأصح هربت الخادمة التى ربوها سنين ، ذات صباح لم تحضر ولم يجدوا ملابسها • لقد أبدت ضيقها من جدران البيت القديم فقررت أن تخرج ، وكانت أمينة لابد أن تشارك فى صب اللعنات على رأس الهاربة • وتظاهرت بالاستنكار لفعلتها • لكن فى قرارة نفسها أعجبت بها • واحترمت قرارها بالهرب • حتى انها عندما قابلتها صدفة فى الطريق وكانت تحاول أن تهرب منها نادتها أمينة ، وسألتها عن أحوالها وما اذا كانت سعيدة فى عملها الجديد ، ولما قالت لها عن سرورها • • ابتسمت لها أمينة مهنئة وأعطتها خمسة جنيهات • ومن دهشـة واضطراب الخادمة احتضنت أمينة فى الطريق وأقسمت أنها عندما تصنع بيتا لن يخدمها أحد سواها •

قال أحد الآخوة كأنه فجأة تذكر ٠

– « خير يا أمينة ٠ لماذا طلبت اليوم اجتماعنا » ؟!

قالت أمينة – سأسافر الأسبوع القادم وأردت أن أودعكم ٠

وبدأ الآخوة والأخوات يتحدثون عن سفر أمينة المفاجيء ٠ وتركتهم يتحدثون كأنهم يعنون شخصا آخر مسافرا وليست هي ٠ حتى الأسئلة كانت تتركهم يردون عليها ٠ فهي عندما تقول لهم خبرا عنها تتركهم يتحدثون في هذا الخبر وتجلس تراقبهم ٠ أو تترك لهم الحجرة كأنها تقول لهم شيئا لا يعنيها ٠ وقد تعودوا منها هذه التصـــرفات ، ويعطونها الأعذار ، ويقولون فيما بينهم أن الحياة ظلمتها وحظها سيء ٠ فقد ترملت وهي في أول سن الشباب لم تتم فرحتها بحبيبها وأصـــبحت أرملة عذراء ٠ وعندما التأم جرحها وخطبت ٠ فشلت خطوبتها ٠ مسكينة أمينة لابد من تحمل تصرفاتها غير الطبيعية فهي لم تعش حياة طبيعية مثلهم ٠ واذا كان سفرها ســـيغير من حياتها ويعطيها أملا في الحياة لتبارك الســـماء خطواتها ٠

نظرت أمينة في ســـاعتها وقالت لهم أنهـــا على موعد ٠ وخرجت ٠

●

في بيته جلست أمينة كضيف غريب ٠ كان يقول لها هذا بيتك تصرفي كما تشائين ٠ وكان لوقع الكلمة سحر على أذنيها وأحلامها ٠٠ وكانت تجري هنا وهناك تعدل من وضع مقعد أو منضدة ، أو تعيد تنظيم الكتب في المكتبة ، وأصبحت لمساتها واضحة في بيته ٠ هذا المصباح اختارته معه ، وأغطية الفراش المبهجة الألوان ٠٠ وفوط الحمام ٠ وهذه المنضدة ٠

شيء مثل الغصة في حلقها ٠ في قلبها حدث عندما سألته أن يحضر لها كوب ماء وقال لها أن هذا بيتها لتتصرف كما تشاء ،

سارت خطوتين ثم عادت مكانها ، وجلست مثل ضيف غريب لايعرف مكان شيء ٠

لم تعد تشعر بوقع مثل هذه الكلمات القديمة البراقة التى كانت تحمل الأمل فى استمرارهما معه ، لم تعد تتصرف كأن أحلامها فى هذا المكان تحققت معه ٠ لم يعد الأمل معه ٠ ولم يعد الحلم معه ، لقد أغلق بابهما فى وجهها بصفاقة ، فماذا تفعل الآن فى بيته ؟! نظرت أمينة الى الجدران وشعرت أنها تضيق لتنطبق على بعضها ٠ لتخنقها ٠ قام وهو يقول انه سيعد شايا ٠ لم تقم معه حيث كانا يعدان الشاى معا ٠ وأحيانا يطبخان معا ، ضحكت وهى تحدث نفسها ٠

« يا أمينة ، هل تريدين من رجل عاش حياته بحرية وانطلاق غريبين ٠ عجيبين وتعود عليهما ٠ هل تريدين منه أن يضع نفسه فى قيود أحلامك ٠ يا أمينة ٠ لترحمك السماء من العبط » ٠

●

لكن أمينة عاشت معه فترة ليست قصيرة بالنسـبة لعمرها وعمره ٠ عاشت معه بأحلام غذاها بكلماته وتصرفاته ورغباته ٠ واعتقدت لفترة غير قصيرة أنها وجدت مكانا فى عقل وقلب رجل ، لكنها لم تدرك أنه ليس لها مكان فى حياته ٠ كانت تحبه لدرجة أنها أرادت أن تنجب منه طفلة ٠ ولم تسأل اذا كانت رغبته مثل رغبتها ٠ وباحت برغبتها هذه يوما وكانت المناسبة هكذا ٠

كانا يشاهدان فيلما فى دار سينما ، وظهرت طفلة جميلة على الشاشة ٠ قال كلمات تعاطف وحب للطفلة ، هى أيضا أحبت وجهها وأرادت أن تحضنها ، وتعجبت أن وجه الطفلة مثل وجه هذه الطفلة التى تراها أحيانا فى أحلام اليقظة ، شعرت بحب جارف نحوه ، نظرت اليه بادلها نظرة الحب ، أمسكت يده ، ضغطت على يده ، وهمست : انها تتمنى أن تنجب منه مثل هذه الطفلة ، وابتسم، وطرأت فى رأسها فكرة ، لقد سمعت كثيرا عن زيجات تمت بين

أحياء بسبب تحرك طفل فى أحشاء الحبيبة ولفرحة أو لشـــهامة الشاب أو الرجل يتعجل الارتباط بها ، ومادام حبيبها يحمل كل هذا الحب الذى يظهره لها ، ومادامت لا تنقصه الرجولة والشهامة فلماذا لا تلعب هذه اللعبة ؟!

وعندما خرجا من دار السينما تعلقت فى ذراعه وجلسا فى مكان يتناولان طعام العشاء · قالت أمينة بحب وأنوثة · انها وان كانت تتمنى أن تنجب منه طفلة ، فهى فى طريقها الى تحقيق هذه الأمنية فعلا ، أولا ــ لم يفهم ماذا تعنى ، وابتسم ، ثم أدرك كلماتها وارتعب · تجاهلت نظـــرة الذعر فى عينيه وتحدثت عن مســـتقبل علاقتهما معا · قال سيفكر فى الأمر · وعلمت فيما بعد أنه لم ينم ليلتها وظل طول الليل يسير فى طرقات المدينة · وحدثها فى الصباح الباكر لتقابله قبل الذهاب الى عملها ·

وكانت الحقيقة التى واجهها بها مثل وجه صباح قبيح موعد بمتاعب مبهمة · وقد عاشت هذه المتاعب لشهور · فهو وان كان قد نصحها ، بل أمرها أن تتخلص من هذه الطفلة التى توهمتها الا أن وهمها زاد حتى ظنت أنه حقيقة ، وذهبت الى طبيب تعرفه ، حكت له المشكلة ، وبعد الفحص ضـــحك وقال لها أنه حدث لها اضطراب فى دورتها الشهرية بسبب توتر أعصـــابها ، ولتحمد السماء أن الوهم ليس حقيقة ونصحها أن تبتعد عن هذا الرجل ·

ولم تكن أمينة تتصور أن هذه القصة الوهمية سيكون لها وقع أليم · فقد اهتزت مشاعرها نحوه · اهتزت صورته فى عينيها ، واعتراها شعور غريب ظل ملازما لها · مزيج من الحزن والصدمة، وعندما قابلته بعد ثلاثة أســـابيع ، قالت له انها عانت من آلام مبرحة ، فتأسف لها · وقد عانت فعلا من آلام الصدمة فى تصرفه معها ، وقال لها أنه ليس فى رأسه فكرة الارتباط وأن يكون له طفل وانه يفضل أن يكونا صديقين · لم ترد وقتها أن تعرض نفسها فى

سوق تعديد المزايا · لقد شعرت بالجرح منذ تهربه ، وفهمت موقفه منها وعدم جدية حبه وعلاقتهما ·

وفى مثل مواقف كهذه ، وقرارات أن يكون الحبيبان العاشقان مجرد صديقين لابد من التصرف ببساطة عصرية · لنكن صديقين ، وهو كذلك ، لنكن ، لنمض أوقاتا سعيدة معا · لنتحدث فى أمور عامة · لنضحك من مواقف مضحكة ، لنتحدث بجدية عن مأساة الحروب · لنقرأ باعجاب مقالة لكاتب جاد يهزنا لنشعر بالأهمية والخطر · لنقول ما يخطر ببالنا · ماعدا الأحاديث الشخصية جدا والمشاعر المحبطة ، لنمتنع عن الشجار اذا شعرنا بغيرة لم تعد من حقنا ، اذا أخذ أحد مكاننا المختار فى قلب الآخر · ألم نصبح صديقين !!

لكن أمينة لم تستطع مواصلة لعبة الصداقة هذه · بعد كل هذا الحب وأحلام المستقبل ·· كيف ؟! · العلاقة الحقيقية الحلوة ، تظل حقيقية وحلوة مهما صادفها من مشاكل ومشاحنات · أما ترقيع العلاقة المهترئة بأن نجعلها صداقة أو أخوة فهذا الم لم نعد نحتمله · ومنذ شهور وأمينة تحاول أن تقوم بعمليات الترقيع لعلاقة مهترئة · وهذا شىء لم تعد تحتمله نفسها ولا جسدها · جفت الكلمة واللمسة والقبلة · وأصبحت لقاءاتهما المتباعدة تثير دموعها وتكتم نشوتها ، وتذكرها بفرحة أحلامها الأولى معه فتحزن ، وجربت مرة ممارسة الحب معه تحت عنوان العلاقة الجديدة ، لكنها لم تشعر بتلك الحيوية التى كانت تعقب النشوة ، بل شعرت بحزن ووحدة ، بدون أن تشعر المرأة بسلام داخلى وقوة أمل فالشعور بالنشاط والخفة من تأثير لقاءات الحب لايبقى الا لوقت قصير · وتأثيره يكون كارثة · وهكذا عاد اليها شعور الاحباط الذى ظنت أنه لن يعود اليها · بل عاد بصورة وحشية ، كلما قابلته ، وحتى كلما حدثت بينهما مكالمة تليفونية · وبدأت تبتعد · ومع ذلك كانت تتذكره ، أو يذكرها شىء به · وأحيانا تشعر برغبة · وتسترجع فى ذاكرتها ممارسة الحب معه ، عندما كانت تتوهم حبه لها ،

فتسيل دموعها ، أو تكون عصبية طول اليوم ، وتنظر الى جسدها المتناسق المهجور فى المرآة • وتشعر بمهانة ومذلة ، وأحيانا تشتاق لصحبته ، تتذكر أماكن لقائهما • أو حجرات بيته ويعتريها حزن خفى واكتئاب •

وطوال تلك الفترة وهى تشعر بالجرح فى نفسها وكبريائها وحبها ، وهو كان يتصـــرف ويتعامل معها تحت عنوان العلاقة الجديدة التى سماها بالصداقة ، كان يتصرف بلباقة من تدرب على مثل هذه المواقف وتغير المشاعر ، وكانت تشعر بغيظ وتتعجب كيف يتحول هكذا وتحسده على هذه القدرة •

قالوا لها يا أمينة هذا رجل أقسم على قبر أبيه ألا يرتبط ، كان أبوه يحبه بجنـــون وكان وحيده ، علمه كم يذل الرجال من رباطهم بالنســـاء والأفضـــل حبهن عن بعد وعدم التورط معهن واســـتغلال وجودهن ، وقيل ان أمه امرأة قاسية عذبتهما معا ، وماتت وهو مازال صبيا ، وقيل ان سبب قسوتها على الآب كانت بسبب غرامه بالمومسات والغوانى هؤلاء اللاتى كان يحضرهن الأب الى بيته بعد موت زوجته لتسليته وابنه معا •

قالوا يا أمينة لماذا تنجذبين الى الشواذ من رجال أم هذا شذوذ فى عواطفك ؟! كانت أمينة لا تعرف شيئا عن ماضى حبيبها التعس ، لم يذكره لها ، ولم يذكر شيئا عن كراهيته للنساء بل العكس ، لقد لاحظت أنه يحبهن ويشتاق الى الحنان ، هذا الذى كانت تعطيه له •

وعندما قررت الابتعاد لم يكن فى حاجة الى ســؤالها لماذا ابتعدت ، وتجسدت لها وحدتها ، وزاد قلقها وساءت حالتها عموما، فلم تعد « تسريحة » شعرها تثبت على رأسها أكثر من يومين ، ولم تعد الروائح العطرية التى تحبها تثبت على جلدها • فتغيرها من وقت لآخر بلا فائدة ، ولم تعد جلساتها مع صديقاتها وأصدقائها تسليها أو تفرحها ، وكانت تمكث وحدها كثيرا فى حجرتها • تقرأ

رواية أو تسمع موسيقى وتسيل دموعها ، وتدعو مثل الذى فقد عزيزا لديه فجاة ويسأل السماء أن تلهمه الصبر والحكمة ، وأصبحت تشعر بضيق من كل شىء حتى ملابسها ، ذلك الضيق الذى ينشأ عن الحياة الرتيبة اليومية بلا أمل فى تغيرها أو حلم يخفف من وطأتها ، وأصبحت رؤية وجوه من حولها تثيرها ، حتى أنها شعرت كما يقول أخوتها وأخواتها أن الحياة ظلمتها ولم تعد تحتملها ، لذلك عندما علمت باحتمال ترشيحها لمنحة تدريبية فى عملها ، وجدت نوعا من الخلاص لمتاعبها ، ولما اختيرت فعلا دبت فيها بعض الحيوية ، وأمضت أسابيع قليلة فى الاعداد للسفر واستردت معنوياتها بعض القوة ، فقررت قبل سفرها أن تجرح مشاعر هذا الرجل الذى أحبته كما جرح مشاعرها ، لذلك ذهبت لتودعه فى بيته ٠

رشفت أمينة من كوب الشاى ٠ سألها مترددا ، أنها أرادت أن تزوره لتقول له شيئا ٠

قالت : سأسافر ، جئت لأودعك ؛

لم تهتم بنظرة عينيه التى يحاول أن يصطنع فيهما الحزن ، نظرت اليه نظرة ساخرة ، لا تستطيع أن تمنع سخرية نظرتها ، وسخرية الألم الذى تشعر به ، عيناه مثل عينى سمكة ، ليست فيهما مشاعر ، باردتان مثل عينى سمكة ، وهو يحاول ابداء مشاعر فيهما فى هذه اللحظة الذات ولم يستطع ٠

قالت : تخليت عنى فى وقت كنت فى أشد الحاجة الى وجودك بجانبى ، تخليت عنى بطريقة قديمة كلاسيكية مقززة ، ليس فيها شىء من الرجولة ، تحسبون الرجولة عضلات ومظهرا ، والقدرة على ممارسة الجنس ، الرجولة تصرفات ومواقف ٠

ونظرت عينا السمكة تجاه الخطر ٠

قال : لم أتخل عنك ، قلت لك انى أنزعج من فكرة الارتباط والأطفال ٠

ـ ماضيك يؤلمك ··

تحركت عينا السمكة ، ثم ابتسم :

ـ لا يوجد ما يؤلمنى من الماضى ·

ـ أبوك وما لقنه لك ·

ـ مالك وأبى · كان رجلا عظيما ·

ـ علمت كل شيء عن ماضيكما معا ، لا تنزعج أنا فقط أردت أن أنبهك الى مستقبلك · لماذا لا تعرض نفسك على طبيب نفسانى ، هذا سينفعك ·

ـ أنت تخرفين ، وحتى اذا تغلبت على عقدتى ، لا نصلح معا · لك تصرفات لا تعجبنى ·

ـ لانى لست ( مومس ) ، وكم من تصرفات لم تعجبنى منك ، وقلتها لك ، ولم أبتعد ، بل تغاضيت عنها لأنها جزء منك ، من شخصيتك · وقلت لأتوافق معها أو اقبلها هكذا · مادمت أحبك ·

قال : تتهميننى بالنذالة ·· ؟!

قالت : أقول الحقيقة فقط ، أردت أن اقولها قبل ســـــفرى وابتعادى عنك تماما ·

ساد صمت بينهما ، يالغرابة المشاعر الانســـانية لقد تمنت أمينة أن يقول لها أنه مازال يحبها ، وأنه سيفتقد غيابها وأنه فعلا افتقد غيابها ·· وأنه لم يستطع أن يحب أخرى أو يمارس الحب مع أية امرأة · لكنه لم يقل شيئا مما تمنت أن يقول لها ، ربما صمت ليفكر ماذا يقول ·· وربما خاف أن يقول شيئا عاطفيا يحسب عليه ·· وأخيرا قال انه يتمنى لها التوفيق فى سفرها ·· فتمنت أن تصفعه ·· أو تصفه بلفظ قبيح ·· ولم تجد أى داع لبقائها ·· شعرت بحرج الموقف ووجودها ·· قامت ·

اقترب منها · ·ابتعدت مدت يدها بالسلام ·

سألها ـ هل هذا قرار ابتعاد حقيقى ؟

ابتسمت بمرارة · قالت : أنا لا احب هذه العلاقات النصف نصف ·

قال : اتمنى لك التوفيق ·

سحبت يدها من يده · قالت :

ـ أتمنى أن تمر بالتجربة التى جعلتنى أمر بها ، أن يخذلك من لم تكن تتوقع منه يوما أن يخذلك ·

واتجهت نحو الباب ، ولم تلتفت وراءها ·

●

جلست أمينة بين مجموعة من الصديقات والأصدقاء ، ثلاثة أزواج وزوجات ، رجل مطلق ، ورجل بدون زوجته ، تحدثوا عن أصل الأجناس · قرءوا كتبا عن تطور الانســـان وعن المذاهب السياسية التى تقلبت على حياة الشعوب · وقالوا لابد من اعادة تكوين الانسان المصرى حتى يساير الحضارة فهو لن ينتصر فى معركة الحياة والحروب التى يخوضها الا اذا ساير الحضارة ، وارتفع صوت الرجل المطلق وهو يعدد عيوب الانسان المصرى ·

قالت له أمينة وقد ضايقها تهجمه ·

ـ أليس الأجدر أن تعيد تكوين نفسك أولا ·

ابتسم الرجل باعجاب لأمينة وقال بشىء من السخرية :

ـ سأعيد تكوين نفسى معك ·

ابتسمت أمينة بامتعاض ، مالت عليها احدى الصـــديقات وهمست : « لماذا لا تتزوجين هذا الرجل » · همست أمينة لها : « أعرفه جيدا ولانصلح معا » · ومع ذلك استمرت الصديقة فى لعبة كلمات الاعجاب والزواج ، وقالت ضمن ما قالت : « نريد أن نفرح بأمينة قبل سفرها » ·

أولا ضحكت أمينة ثم تضايقت ، سألت صديقتها هامسة أن تكف عن هذه اللعبة لكن الفكرة كبرت فى رأس الرجل وتحـــدث كثيرا موجها كلامه لأمينة لتقول رأيها فى الزواج به ٠ شـــعرت بارهاق وسألته لماذا هو مرهق هكذا ولعنت أباه ٠ ضـــحكوا ٠ والضيق لم يذهب عنها ٠ فهل ستظل فى هذه اللعبة السخيفة طول حياتها ؟! ترغب من لا يرغبها ، ولا ترغب من يرغبها ؟! ٠ ومتى ستعدل موازين الأمور وتســـتوى الأشياء فى أماكنها الصحيحة ونرغب من يرغبنا ؟! لقد قالت أمينة لصـــديقاتها كثيرا انها لن تتزوج كنتيجة لأمر واقع ، وانها تريد أن تعيش هذا الفرح مرة أخرى ٠ أن يطلبها من ترغبه ويرغبها حقيقة ٠ لقد مرت سنوات طويلة على تجربة هذا الفرح ٠ فهل هذه التجربة لا تأتى للانسان سوى مرة واحدة حتى وان كانت مبتورة ٠ أو مقتولة !!

قال أحد الأزواج :

ـ أصبح صوت الطائرة يغرينا ، واحصرت آمالنا فى ركوب طائرة ٠ تحوطنا المشاكل فلا نجد لنا مخرجا الا فى ركوب طائرة ٠ وعندما نركبها وتصعد بنا فى الفضاء نتساءل وقتها فقط ، لماذا ركبناها ، وأى مكان سننزل فيه ، وأى شىء سنفعله ٠

قالت أمينة :

ـ أنا أعرف ماذا سأفعل ولست مسافرة بلا هدف ٠ هناك خبرة سأحصل عليها لأفيدهم هنا فى مصـــنع العـــرائس الذى سينشئونه ٠

قال الصديق :

ـ وهل حقيقة سينشئونه ؟! لقد قال لى رئيسك المباشر وأحد الذين اختاروك وهو صديقى كما تعلمين ، انه لاحظ أنك تمرين بفترة عصبية منذ فشلت خطبتك ، ولأنك من الممتازات فقد رشحك لهذا

السفر حتى تغيرى من حياتك ، التى تحملت فيها أكثر مما يحتمل سنك فى مواجهة مثل هذه الصعاب فالمصنع ليس له الآن امكانية مادية ٠ وهناك أشياء أهم من العرائس المهم هى فرصة لك لترى العالم المتحضر ، لا تنسينا يا أمينة ٠٠ اكتبى لنا ٠

وابتسمت أمينة ابتسامة ساخرة حزينة كل شىء غير حقيقى اذن فى حياتها حتى الهدف من سفرها ٠

●

الشمس تشرق ٠ تغرب ٠ الرياح تهب باردة ٠ النسيم يأتى لطيفا ٠ ليالى الشتاء مخيفةبلا صحبة ٠ ليالى الصـــيف المبهجة سخيفة بلا صحبة ، الهلال يظهر كل شهر وتدعو أمينة عندما تراه ، ولا شىء يتغير ، وكل الآمال تأتى متبورة وكل الأحـــلام تتحقق مبتورة ٠ وتتراكم السنون ، ويشعر الانسان بتراكم السنين عندما يقترب عمره من الأربعين ، وهكذا تشعر أمينة بتراكم السنين ٠

الناس تغير من حياتها ٠ ويصـــنعون الجديد ليســـتمتعوا بحياتهم ٠٠ صديقاتها صنعن الجديد غيرن فى حياتهن بالزواج ٠ بعمل البيت ٠ بانجاب الأطفال ٠ حياتهن مشحونة لكن فيها معنى ٠ يزيد هذا المعنى اندماجهن فى أعمالهن خارج البيت ، ويحسدنها على حياتها الخالية من تحمل مثل هذه المسئوليات ! ٠ وتتقبـــل أمينة حسدهن بلا اكتراث ، فهل خروجها الى العالم وحدها يستحق هذا الحسد ؟! ٠ ربما اذاكان حبيبها ظل حبيبها ، اذا كان يشتاق لصحبتها الدائمة كمانشتاق الى صحبته الدائمة ٠ اذا كان طلب منها أن تبقى معه ، لتركت العالم وبقيت معه ، الوحدة شىء مخيف، وصديقاتها يحسدنها على هذا الشىء المخيف !

مرات كثيرة تمر أمينة فوق ذات الكوبرى الكبير ، كوبرى الجامعة فى الطريق الى منزلها ، وتنظر الى المناطق الجميلة على جانبيه وغالبا لا تلحظ جمالها ٠ وقبل سفرها كانت فى سيارة أجرة تمر فوق ذات الكوبرى نظرت الى جمال نهر النيل والبنايات على

جانبيه ، كل هذا الجمال فى بلدها ولا تنعم به ؟! أو هى عاجزة عن أن تنعم به · عاجزة عن الحياة فى بلدها التى تحبها لذلك قررت السفر !! تماما كالذى يقرر الانتحار بسبب حبه الشـــديد للحياة وعجزه عن ان يحياها ، اذا كان حبيبها طلب منها البقاء معه ، ينعمـــان معا بجمال بلدهما ، يبنيان معـــا مكانا فى بلدهما ·· يعيشان معا فى بلدهما · لكنه فضل أن تتركه ، ووجدت نفسها فى طريق مسدود ، فجرت جدرانه لتخرج ، هل الحل هو السفر ؟!

بكت أمينة ، لم تستطع منع دموعها رأى السائق دموعها فى مرآته ، وهى تنشج وتكتم نشيجها ، قال كلمات مواسية لشىء لا يعرفه · ثم سألها لماذا تبكين ؟ قالت وهى تمسح دموعها : «بلدنا حلوة ياريس ، لكننا لا نعرف كيف نعيش فيها » · مصمص الرجل شفتيه وقال كلمات مصدقا على كلماتها ثم سألها مرة أخرى لماذا تبكين ؟

قالت أمينة انها مسافرة للخارج لمدة طويلة وستفتقد بلدها ، مصمص الرجل شفتيه وتســاءل كما لو كان يحدث نفســـه كيف يستطيع بعض الناس تحمل الهجرة ؟! ·

●

دخلت العمة الى حجرة أمينة فى ليلة سفرها ، أعطتها ورقة مكتوب فيها كلمات من القرآن وسألتها أن تكتبها بخط يدها فى مكان على جدار حجرتها ، اخذت أمينة الورقة ووضعتها جانبا فهى تعرف أن الـــكلمات المباركة عندما تكتبها لابد أن تعود الى المكان الذى خرجت منه وأن عمتها كانت تفعل هذا مع كل من يسافر من اخوتها ، ولاحظت العمة تردد أمينة أو عدم رغبتها فى الكتابة هذه ·

قالت لها : أمينة أنا أعرف انك لا تريدين العودة الى هذا البيت · أعرف ضيقك منه وأنه ليس مكانك الذى حلمت به · أشعر بوحدتك وحزنك وخوفك · منذ صدمت فى زواجك ، وفشلت مع خطيبك · لكن الحياة فيها الجيد والردىء · ولتحمدى الله انك قد

قابلت الردىء أولا لتعرفى وتقدرى الجيد فيما بعد ·· أمينة اكتبى الكلمات المباركة لأجل خاطرى · وسأدعو لك فى صلاتى أن يوفقك الله الى الجيد الصالح · وسأدعو أن يكون لك بيت ، أنا مقدرة زهقك وخوفك من المســـتقبل · لا تخافى يا أمينة · انت تعملين وستكبرين فى عملك · ويزداد دخلك · وستقابلين الرجل الصالح · لقد حلمت لك حلما ·

ابتســـمت أمينة وفهمت العمة ابتسامتها ، لأنه منذ كانت صغيرة وهى تقول لها :« لقد حلمت لك حلما وانك ستكونين أحسن اخوتك واخواتك » · العمة تحب أمينة ، وهى المفضلة عندها لأنها ولدت على يدها وهى التى أطلقت عليها اســـمها واحتضنتها من صغرها · أكملت العمة كلامها :

– أمينة · سأدعو لك فى صلاتى أن يكون لك رجل صالح وبيت · لأجل خاطرى اكتبى هذه الكلمات على جدار حجرتك ·

امسكت أمينة بالقلم وكتبت على الجدار « أن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » صدق الله العظيم ·

ووجدت دموع أمينة الساخنة ، الجاهزة مكانا على صــدر العمة التى احتضنتها بحنان وحب حقيقيين ·

●

عندما ظهرت اليافطة المضيئة فى الطائرة بمنع التدخين وربط الأحزمة ، ابتسمت أمينة وهى تتذكر كلمات صديق ·· ربما الآن فقط تتساءل أين ستهبط الطائرة وأى شىء ستفعله فى هذا البلد ، ولماذا جاءت · شعرت بغربة تلفها · فى ظلمة الليل البارد وانهماك المسافرين فى البحث عن حقائبهم · وقفت بجانب حقيبتيها لاتستطيع أن تفكر فى شىء · واعترتها رغبة جامحة أن تجرى الى الطائرة · تعود بها ، وتجرى الى فراشها وتنام ، وتنتظر اللاشىء فى بلدها أفضل من انتظار المجهول فى هذا البلد ·

سمعت اسمها فى « ميكرفون » ويبدو انه تكرر كثيرا الى أن أدركت أنه اسمها لتتوجه الى الباب · اقترب منها رجل طويل القامة الشيب يملأ رأسه وحيوية الشباب فى عينيه ، سألها : « مدموازيل سالم ؟ » ·· هزت رأسها · نعم · مد يده مصافحا يعرفها بنفسه بيتر هانز » ·

سألها · « أى لغة تفضلين التحدث بها · الانجليزية · أم الفرنسية · أم لغة بلدنا ؟ » ·

قالت : الانجليزية والفرنسية اذا كنت تفضلها أنت كما لاحظت ·· أما لغة بلدكم أفهمها لكنى لا أتقنها ·

قال : ـ سنجعلك تتقنين لغة بلدنا ·

جلست صامتة بجواره فى السيارة ، وعندما بدأت تدرك أنها فى بلد غريب وتجلس بجانب غريب ، أدركت أنها تعرف اسم الرجل، فهو الأستاذ الذى سيشرف على تدريبها · فقالت له انها نعرفه ولم تدرك هذا الا الآن · ابتسم ، ودار حديث بسيط بينهما · ارتاحت له ، أمام منزل كبير تحوطه حديقة كبيرة وقفت السيارة ·

قال الرجل : منزل للمغتربين · نؤجر حجراته للذين يحضرون للتدريب أو لعمل دراســـات عليا ، توجد به حجرة كبيرة للمكتبة والاستماع الى الموسيقى به مطعم ·

وقد اخترنا لك هذا المكان لأن بعض المصريين وآخرين من بلاد عربية ينزلون هنا ، حتى لا تشــعرين بغربة ، وتجدين فى أوقات فراغك من تتحدثين معه بلغتكم · والمصنع سيدفع لك تكاليف **اقامتك** ··

لاحظت أمينة انهما ظلا صامتين فترة ولم يضغط على نفير السيارة بل أضاء الكشاف الكبير ثم أطفأه عندما سمعا أقداما تقترب من الباب الحديدى الكبير للحديقة · فتحه رجل عجوز نشط وهو يقول متذمرا · « دائما طائراتكم تأتى متأخرة. » ·

ابتسم « بيتر هانز » وهو يقول :

ـ ماكس البواب · دائم التذمر · لكنه انسان طيب ، يحب نزلاء المنزل ، يحب المنزل ويعتبر نفسه مؤسسه ·

وكان البواب قد حمـل الحقيبة الـكبيرة ، والأستاذ حمل الصغيرة وساروا تجاه المنزل والبواب مازال يلعن الطائرات التى لا تأتى الا فى الليل ·

قال له الأستاذ مداعبا : المدموازيل أحضرت لك زجاجة شمس من مصــــر ·

ضحك الرجل وقال : زجاجة شمس ·· هه ·· انا فى حاجة الى زجاجة نبيذ قوى فى هذا الليل البارد ·

بجانب باب المنزل صافحها الأستاذ وقال انه سيحضر اليها فى ظهيرة الغد ليتحدثا عن تدريبها ولتأخذ راحتها فى الصباح ٠

قال البواب وهو يفتح باب الحجـــرة فى الدور الثانى وأمينة خلفه :

ـ هذه حجرتك ، وهذا مفتاح بابك ، وهنا مفتاح النور ، وهذه حقائبك ٠٠ ايه ٠٠ مارأيك فى الحجرة ٠٠ جميلة هه ٠٠ الافطار من الساعة السابعة الى التاســـعة والغداء من الواحدة للثالثة ٠٠ والعشاء من السادسة للثامنة ، هذه مواعيد المطعم هنا ٠٠ وهو فى الدور الأرضى ٠ ولا يقدم الطعام الا فى هذه المواعيد ٠٠ الخطابات والمكالمات التليفونية عندى أنا ٠٠ طاب مساؤك ٠

وقفت أمينة وســـط الحجرة تنظر حولها ٠ اتجهت الى باب جانبى صـــغير فتحته ٠ وجدت حماما صغيرا ٠ فتحت حقيبتيها أخرجت ملابســـها علقتها فى الدولاب غسلت وجهها ، ذهبت الى الفراش وهى تعلم انها لن تنام جيدا لعدة أيام الى أن تتعود هذا الفراش ولدهشتها نامت نوما عميقا لم تستيقظ الا على صوت جرس متقطع ، نظرت فى ساعتها وجدتها السابعة صباحا ، وقد علمت فيما بعد أن « ماكس » يدق هذا الجرس فى الصباح ليوقظ النائمين حتى يلحقوا موعد الافطار ٠

سمعت أمينة طرقات على باب حجرتها ، وكانت قد ارتدت ملابسها ، فتحت وجدت أمامها سمراء ممتلئة فى اعتدال ، شعرها قصير قالت « صباح الخير ٠٠ أهلا بك » ٠ ابتسمت أمينة وهى ترد التحية ٠ مدت يدها بالسلام ٠

قالت السمراء « اسمى عفاف سلطان » ٠

ـ أمينة سالم ٠٠

ـ علمت أمس من ماكس البواب أن واحدة من بلدى ستحضر لتسكن معنا فرحت ، أنا هنا من ستة أشهر ٠ هل ارتديت ملابسك لننزل للافطار ٠

نزلتا الى المطعم ، عرفتها عفاف كيف تخدم نفسها ، وأخذتا طعامهما والشاى الى منضدة صغيرة من المناضد المتناثرة ٠

قالت عفاف : الجو هنا بارد ، هل جو بلدنا بارد الآن ؟

– تركتها دافئة ٠

نظرت أمينة خلال النافذة الى الجو الرمادى والألوان الباهتة، شعرت بانقباض ٠ طافت نظراتها بالوجوه الجالســة فى المكان ٠ سمراء ٠ سمراء داكنة ٠ بيضاء ٠ وكانوا يلقون تحية الصباح بالعربية أو الانجليزية لعفاف ٠ دخل ثلاثة شبان ٠ أشارت لهم عفاف ،فأحضروا أطباق افطارهم وذهبوا الى مائدتهما وجلسوا ٠ عرفتهم عفاف بالضيفة الجديدة ٠ ثلاثة مصريون أحمد ٠ وائل ٠ فايز ٠ سألوها عن أحوال البلد وكيف تركتها ٠ قالت لهم أمينة عناوين الصحف التى قرأتها بالأمس وكأن هذه هى كل الأخبار !!

تحدثوا مع عفاف أحاديث تخصــهم ٠ طافت نظرات أمينة بالموجودين كعادة الغــريب فى مكان غريب ٠ ينظر الى الوجوه المحيطة به يلتمس بها الأمان ٠ يتساءل أى وجه يطمئن اليه ٠ أى وجه يرحب به ويزيل عنه غربته ٠ التقت نظراتها بنظرات شــاب يجلس وحيدا ٠ ربما تساءل كما تساءلت ، من أنت ومن أى مكان أتيت ٠ وماذا تفعل فى هذه البلاد ؟! بقيت نظراتهما ملتقية لحظة ثم اتجهت نظرات أمينة الى الجالسين معها ، اقترب منهم شاب أسمر ، داكن السمرة أسود ٠ قامته قصيرة ويضىء وجهه ابتسامة عذبة ٠

قال بالانجليزية : اخوتى أبناء افريقيا ٠ أمنا واحدة ٠ أنا اسمى تونى ٠

قال فايز مداعبا : طبعا أنت تريد التعرف على الفتاتين وليس الشبان لأنك تعرفهم من قبل ٠ تعرفت على الآنسة سلطان ٠ وهذه هى أختك الثانية ٠ الآنسة سالم ٠

قال تونى : نعم أعرف فيفى ٠ وأنت يا أختى ما اسمك الأول ؟

ـ أمينة ٠٠

قال بصعوبة : أم ٠٠ يـ ٠٠ نه ٠٠

خرجت أمينة مع عفاف الى الحديقة ، لتتعرف على المكان ، وسمعت منها حكايات طريفة عن البواب ٠ نظرت الى المنزل ، ورأت نفس الوجه الذى توقفت نظراتها عليه فى المطعم ينظر اليهما من نافذة ، وقد رفعت عفاف رأسها وأشارت له بتحية فسألتها أمينة عنه ٠ فقالت لها أنه من سوريا وأنه هنا منذ سنتين أو ثلاث ويقوم بعمل أبحاث دكتوراه ٠ ولايختلط بهم كثيرا ، وقد سمعت أنه متزوج من هذه البلاد ويبدو أن زوجته فى بلدة قريبة فهو يذهب اليها فى أجازة نهاية الأسبوع ٠

●

فى جانب من مصنع العرائس يوجد معرض لانتاجه ٠ وقال الأستاذ « بيتر » لأمينة انها ستمكث فى كل قسم من المصنع لفترة ، ولتزور أولا المعرض لتتعرف على انتاجه ٠ عرائس من عصور مختلفة ، وبلاد مختلفة ٠ كأنها تحكى تاريخ العالم ٠ وفى جهة من المعرض جزء كبير يحيطه سور صغير يحكى عن فترة تاريخية فى عصر بعيد ٠ العرائس فى ملابس قديمة كلاسيكية ٠ ضغط الرجل على أزرار ٠ أضيئت أنوار وصعدت موسيقى رقيقة موسيقى « هايدن » فى سيمفونية « ألعاب الأطفال » سارت العرائس على أنغامها فى احتفال ووقفت أمينة مثل طفلة مبهورة أمام هذا المنظر ٠

بجانب باب المصنع من الداخل كانت كمية هائلة من العرائس معدة لتخرج الى الأسواق ٠ العرائس أشكالها مختلفة لحاتها مختلفة ٠ مبتسمة ٠ ضاحكة ، لا توجد واحدة حزينة أو عابسة ٠

ومرت الأيام الأولى فى تعرف أمينة على المصنع وأقسامه المختلفة ، وأعجبتها فكرة أن المديرة امرأة ، وجاءها حلم يقظة انها أصبحت مديرة مصنع مماثل فى بلدها ٠

وتذكرت ماسمعته عن عدم امكانيات بناء مثل هذا المصنع فذهبت فرحة حلم يقظتها ثم عادت تمنى نفسها باحتمال تحقيق هذا الانشاء ، وعلى أية حال ستكون جاهزة بامكانياتها وخبرتها وتذكرت حلم العمة انها ستصبح عظيمة ٠

●

« هذه البلاد لا نعرف نهارها من ليلها ، الشتاء ليل طويل متصل من الالوان المتشابهة ، رمادى ، رمادى غامق ، اسود ، لم أر الشمس ولا القمر ٠ أسبوعان قد مرا ٠ لا أعرف وصول النهار الا بصوت الجرس المتقطع الذى يوقظنا به البواب ٠ لاقوم وأواجه يوما جديدا من التعرف والمعرفة ٠ الالوان تنعكس على نفسى ٠ شعور ثقيل مثل الهم يلفنى ٠أحمله على كتفى ٠ هل بسبب هذه السحب الرمادية ؟ تشعرنى بانقباض ٠ والأشجار كأن الحياة سلبت منها ٠ ماتت واقفة ٠ الجو القاتم يوحى للنفس بشعور الكوابيس ٠ فهل الكوابيس تتحقق قبل الأحلام ؟! وأى أحلام أريد أن أحققها فى هذه البلاد ؟ أخاف أن أفشل فى مهمتى ولا أجنى من المعرفة شيئا ٠٠ الخوف من الفشل مثل الهم ٠

فى المســاء عندما يجتمع ســكان البيت فى حجرة المكتبة والمسامرة أتبادل بعض الأحاديث مع عفاف ٠ مع المصريين الثلاثة وتونى الافريقى وهو يتغنى بحبة لأمنا الحنون أفريقيا ٠ ويعاكسه فايز ٠ أحيانا يأتى السورى ليستمع الى الاخبار من الراديو ولا أدرى لماذا يلفت نظرى ٠ هل لانه يتحدث نادرا ، يخفى وحــدته بالصــمت كما أفعل ؟ هل لأن نظراته كلما التقينا ترحب بى ٠ تشجعنى أن أخرج من وحدتى اليه ؟! كانت فرصة أن أراقبه وهو منهمك فى قراءة كتاب ٠ متناسقة دقيقة ملامح وجهه ٠ خليط من الشرق والغرب ٠ متناسقة مع جسده النحيل المتوسط الطول ، أو اكثر قليلا من المتوسط ٠ فى لون الليل شعر رأسه ٠ ســمعتهم ينادونه نذير ٠ غريب اسمه ٠ فى أى مكان من العالم نتعرف على

الناس بالصدفة · ونكون صداقات بالصدفة · ونجد انسانا يهتم بما نهتم به · ويكون موضع اهتمامنا بداية أحاديث مشتركة ·

بدأت أحاديثى مع نذير عندما كان يستمع الى الراديو وكنت بجوار الجهاز أحاول الاســـتماع أيضا الى أخبار بلدى · وبعد الأخبار استأذن أن يحول الى اذاعة أخرى لنستمع الى الموسيقى ، وكان لحنا « للفالس » رددت أنغام اللحن دون أن أدرى وقال اسمه « حلم الربيع لـ شتراوس » · نعم أعرف · وأعجبنى انه يعرف · فهل سيجمعنا حب الموسيقى ؟!

ابتسم · ابتسمت · واتسعت ابتساماتنا ·

فى الصباح الرمادى جلست أمينة فى المطعم مبكرة على غير عادتها · لمحها نذير فأحضر طعامه واستأذنها أن يشاركها مائدتها ·

قال : أرى نور حجرتك مضاء معظم الليل ··

نظرت اليه وابتسمت ··

قال : لا تنامين الليل ··

ـ يبدو انك أيضا لا تنام الليل ·

ـ أعد بحثا · وأنت ؟

ـ اكتب ملاحظاتى عن مصنع العرائس الذى أذهب اليه · واقرأ · أحب أن أقرأ قبل أن أنام · أحيانا · يأخذنى الكتاب من النوم · ونادرا ما يأخذنى النوم من الكتاب ·

ـ أحضرت معك كتبا كثيرة ؟

ـ نســـــيت ··

ـ أى شىء تحبين قراءته ·

ـ الروايات والأبحاث النفسية ، وفى مجال عملى ·

ـ لدى كتب كثيرة مما تســـتهويك من الروايات والأبحاث النفسية أما مجال عملك فهو ظريف لكنى لا أملك منه شيئا ··

– ما هو الظريف فى مجال عملى ؟!

– مسألة العرائس التى تحدثت عنها ٠

– عالم غريب ٠٠عالم العرائس ٠٠ هل تريد أن تزور معرض المصنع ؟

– يسعدنى ٠٠ هل أذهب معك اليوم ؟

– مرحبـــــا ٠

ابتسم نذير ٠ وخمنت أمينة أن ابتسامته لاستخدامها كلمة ٠ مرحبا انتهيا من طعام الافطار ٠ ســـارا فى الطريق الى محطة « المترو » جلسا على مقعدين متقابلين فى عربة ٠

سألته أمينة : منزمن هنا ؟

– ثلاث سنوات ٠ والسنة الأخيرة أسكن فى هذا المنزل ٠

– متزوج ؟

– لا ٠٠ وأنت ؟

هزت رأسها ٠ لا ٠ وأســـندت ظهرها فى ارتياح كأن هذا الشىء الوحيد الذى كان يقلقها ٠

سألته بعد فترة : زرت مصر ؟

– للأسف ٠ لا ٠ وأمنيتى أن أزورها ، وأنت زرت سوريا ؟

هزت رأسها لا ٠

❁

« أحيانا يخيل الى اننا مثل هذه العرائس المعدة فى صناديق للأسواق ، لا ندرى أينسنذهب ، أحيانا أريد أن أعرف ماذا تدبر الأقدار ٠ أقدارنا ، تمنع هذا الحدث ٠ وتصنع ذلك ، تلقى بأشخاص فى طريق أشـــخاص ، تدبر أحداثا وأمورا ، وكما ستأخذ هذه

العرائس أيدى مجهولة لتضعها فى أماكن مجهولة · أخذتنى يد مجهولة من بلدى ووضعتنى فى هذه البلاد · لألتقى بالسورى فلماذا انجذبت نظراتنا منذ التقينا ؟ ولماذا اخترته ؟ ولماذا اختارنى ؟ تعد بدأت تنمو بيننا معرفة وصداقة منذ جاء معى لزيارة معرض العرائس فى المصنع · وعرفته على الأستاذ « بيتر » وأمضى اليوم معنا · تناولنا طعام الغداء فى مطعم المصنع ودار حديث شيق بيننا · وتحدث نذير مع الأستاذ عن بحثه واهتم به · ووعده أن يساعده ببعض الكتب · أصبحنا نلتقى فى الصباح · نتناول الافطار معا · نسير معا الى المترو ، أنزل فى محطة المصنع ويستمر الى محطة الجامعة · ثم أصبحنا نلتقى أحيانا بعد أن أنتهى من المصنع · ينتظرنى فى محطة المترو · أو أذهب أليه فى مقهى وسط المدينة · يعطينى روايات جيدة أقرأها · لكتاب من بلده ومن بلاد عربية أخرى تعرفت من خلالها على عادات كثيرة كنت أجهلها · وأسأله عن أشياء فى بلده ويسألنى عن مقابلها فى بلدى · وتعجبت من غرابة مشاعرى · كدت أنسى تماما آلام تلك الشهور الماضية التى هزتنى فيها الصدمة مع من كنت أحبه وتساءلت هل هذا التغيير الكبير الذى حدث لى بركوب طائرة قد أسدل ستارا كبيرا على كل ما يتعلق ببلدى ! فلم أعد أرى شيئا أو مكانا يذكرنى بمن كنت أحبه ، ولم أعد أنتظر بجوار التليفون فى الليل ربما يحدثنى · ولم تعدجدران البيت الكبير تطبق على أنفاسى وتزيد من ضيقى ·· » ·

●

أعطى البواب خطابا لنذير · فى المترو راقبته أمينة وهو يقرأه ويهز رأسه ثم وضعه فى جيبه ·

قال : يسألنى الأهل متى سأنتهى من عمل رسالتى · كل شهر يأتينى خطاب من أحدهم يسألنى متى سأنتهى من عمل رسالتى ·

قالت أمينة كأنها تحدث نفسها : العالم دائما ينتظر منك أشياء ، أعنى الناس الذين حولك وبحكم الظروف · أهلك · عندما

تكون صغيرا ينتظرون منك أن تتعلم وتأخذ شهادة وشـــهادة ٠٠ عندما تصبح شابا ينتظرون منك أن تعمل ٠ ربما لتدفع دينك لهم وعندما تحصل على وظيفة ينتظرون منك أن تتزوج وتصنع بيتا ٠ ثم ينتظر منك العالم بقلق أن تنجب لتستمر اللعبة ٠ واذا لم تتزوج يريدون تبريرا منطقيا أنتسافر لتحصل على شهادة أكبر ٠ أو نقود أكثر ٠ ويجعلونك تشعر انك خذلتهم اذا لم تحقق ما ينتظرونه منك ٠٠ وكلما حققت شيئا ينتظرون منك شيئا آخر وهكذا الى أن تكبر وتشيخ ثم ينتظر منك العالم أن تموت ٠٠ هذا اذا حدث وشخت ونجوت من الأسواط المسلطة على ظهرك ٠ ولأنك لا تريد أن تعيش منبوذا ٠فأنت تحقق كل ما ينتظرونه منك أو على الأقل تحاول حتى لا تشعرهم انك خذلتهم ـ لا انك قد خذلت نفسك ٠

استمع نذير اليها باعجاب ٠

قال : الانسان وهو يرضى الناس اذا كان هذا صحيحا فهو يرضى أولا نفسه ٠ واذا كانت هناك أشياء نفعلها مضطرين فهذا لأننا نعيش فى مجتمع ومن حين لآخر لابدأن نرضى من يعيشون معنا ٠ ولولا هذه الأشياء التى ينتظرونها منا ما كان وجد مجتمع أصـــــلا ٠

نظرت أمينة خلالنافذة المترو ٠ قالت فرحة : « السماء بدأت تثلج » ٠

نظر نذير الى حذائها ٠ ابتسم ٠ قال : سنكمل المشوار الى الحى التجارى لتشترى حذاء فالذى ترتدينه لا يصلح للسير فوق الثلج ٠

وعندما نزلا الى الطريق ٠ أمسكت أمينة بعضا من قطع القطن الصغيرة الناعمة المتساقطة ٠

قالت مبتسمة : هذا هو الثلج اذن ٠

قال نذير وهو يفتح مظلته : السماء تثلج فى بلدى أيضا ٠

كانت الأرض بدأت تختفى تحت هذا القطن الأبيض المتساقط من السماء ٠ وكادت أمينة تتزحلق ٠ احتضنها نذير ليمنع سقوطها

على الارض · وجدت نفسها في صدره · ضحكت حتى تدارى هذه الخفقة التى شعرت بها وابتسم وهو يقول لها « حذاؤك لا يصلح »·

سارا متجاورين · نذير يمسك المظلة بيد ،وذراعه الأخرى تحيط بخصر أمينة الى أن ذهبا الىمحل أحذية ، وانتقى لها حذاء « بوت » نعله مصنوع خصيصا لمنع التزحلق ، وقال أن رأسها أيضا لابد لها من غطاء غير هذا « الايشارب » الذى يعطيها عمرا أكبر من عمرها ·

قالت أمينة بمرح · « وهل تعرف عمرى ؟ » · لم يهتم · وتوجها الى محل لبيع القبعات جربت عدة قبعات من الفراء ·· وأعجب نذير بقبعة · قال أن سواد فرائها يناسب وجهها الأبيض ويعطيه حقه فى الأهمية والغموض ·

قالت أمينة أن ثمن القبعة مرتفع وستفلس ·

فقال : انه سيدفع لها نصف ثمنها · ولما رفضت وافق على أن يكون ماسيدفعه سلفة يمكن أن تردها فى أول الشهر القادم ·

سارت أمينة بجواره وهى ترتدى الحذاء « البوت » والقبعة ذات الفراء الأسود وسارا بنفس الوضع الأول · يد تمسك بالمظلة وذراعه الأخرى تحيط بخصرها ·

قالت أمينة بمرح : أستطيع أن أسير بأمان الآن ·

ـ لابد أن تتدربى على السير فوق الثلج · لن أدعك تقعين مرة أخرى ·

سألته : لماذا أنت مهتم بى ؟

وسألها : ولماذا أنت مهتمة بى ؟

ـ لا أدرى · ربما لأنى شعرت براحة أو بأمان معك ·

ـ أنا أعرف لماذا أنا مهتم بك · يكفى أنك أخرجتنى من حالة وحدة فظيعة كنت أعيشها طوال الشهور الماضية ·

ـ كيف ·· لك صاحبة ، أليس لك صاحبة ؟

ـ هل يكفيك أن أقول لك أننى منذ ثلاث سنوات لم أتحدث مع واحدة بلغتنا ، حديثا متفاهما كما أحدثك ·· وأعتقد أن هناك أحاديث كثيرة كل منا يريد أن يقولها للآخر ·· أليس كذلك ؟ ·

رفعت أمينة رأسها قليلا وهى تنظر فى عينيه ، وتمتمت وهى تهز رأسها نعم ·· هناك أحاديث كثيرة ·

●

كانت أمينة تجلس فى حجرتها فى منزل المغتربين بعد العشاء وبدأت تشعر بزهق مع بداية الليل الطويل · ذهبت الى حجـــرة عفاف ، وفى طريقها اليها سمعت مشادة صادرة من حجرة المسامرة والمكتبة ، وتبينت صــــوت نذير · طرقت باب حجرة عفاف ، لم تجدها · عادت الى حجرتها تركت الباب مفتوحا · صوت المشادة مازال واضحا ثم صمت ، ثم ضحكات · ثم صوت نذير وهو يودع آخرين · ثم صمت · ثم صوت « فيروز » تغنى · قامت أطفأت النور ونزلت الى حيث الصوت الذى تحبه يغنى فى حجرة المكتبة ·· وجدت نذيرا يجلس وحيدا ويستمع الى تسجيل لأغانى « فيروز » لمحها فرحب بها · جلست وهى تقول ان صوت « فيروز » قد جذبها فجاءت تسمعها · ضحك وهو يقول :

ـ لابد أن صوت مناقشاتنا قد أزعجك ·

ـ حقيقة ·· فى أى شىء كنتم تتشاجرون ؟

ـ كان هنا بعض أصدقاء من بلدى · أحضـــروا الى هذا التسجيل وكنا نتناقش فى السياسة ·

ابتسمت أمينة وهى تهز رأسها ·

سألها : « هل تنتمين الى أفكار حزب معين » ؟

قالت : فى بلادكم تعتنقون المذاهب السياسية المختلفة وتنتمون

الى أحزاب مختلفة وتتشاجرون · أنا وكثيرون من جيلى لا نعتنق مذهبا سياسيا معينا ·

ـ لأن هذا ممنوع ؟

ـ ليس تماما · عاصرنا أحزابا سياسية ونحن صغار لم يفهمها أو يعيها عمرنا الصغير · وكان بعضنا يعتنق مذهب أبيه كما يعتنق ديانته · وفى أول شبابنا عندما بدأت تتفتح عقولنا فى أرجاء الجامعة تعرفنا على أحزاب سياسية من نوع مختلف · فى أقصى اليمين · وفى أقصى اليسار · ومعظم الذين انضموا لهذا الحزب أو ذاك لم يجدوا الحقيقة التى كانوا يبحثون عنها · بعضهم خرج سالما وبعضهم لاقى العذاب والتشــــريد · أنا وكثيرون من جيلى كنا نبحث عن الحقيقة بعيدا عن الأفكار الحزبية ·

سألها : ماهى الحقيقة التى تبحثين عنها أنت ؟

قالت : فى كل شىء · فى العمل · فى الحب · فى كلمات الأمل التى نسمعها من الساسة والمحبين ·

ولما سألها اذا كانت قد وجدت الحقيقة فى هذه الأشياء ·· صمتت وابتسم وهو يقوم ليغير شريط التسجيل بأخر لصوت فيروز أيضا · جلس وهو يسألها ، « ولأى الطبقات تنتمين ؟ » ·

قالت : للطبقة الخائفة · المتوسطة · نخاف الجهل فنتعلم · نخاف الفقر فنحاول أن نعلو بدرجــــات عملنا · أم نقوم بأعمال اضــــافية فوق طاقة احتمالنا · نخاف المغامرة لأننا لا نضــمن المستقبل · نخاف الحسد اذا علونا · نخاف الشماتة اذا فشلنا · كان أملنا نحن أبناء الطبقة الخائفة أن تزال الطبقات تماما · لكن أزيلت طبقة واحدة بتحديد الملكية والغاء الألقاب · وظهرت طبقة جديدة بدلها ، طبقة خربة ، بعضهم من الطبقة الخائفة المتوسطة · وبعضــــهم من الطبقة الدنيا · ظهرت طبقة التجار وسماسرة كل شىء وأصحاب عمارات التمليك والمراكز العليا فى المؤسسات ·· احتلوا الأماكن الشــــاغرة من الطبقة الملغاة · طبقة أثرت بدون تحفظ · خربة فى أصلها وتفاصيلها ، والغريب أن الطبقة الملغاة

كانت تنقرض بالتدريج تبعا لظروف التغيرات الاجتماعية والثورة ·· أما هذه الطبقة الجديدة الخربة فاعداد الساعين اليها تزداد كل يوم ··

قال نذير : لا توجد عندنا هذه الطبقية بصورها الصارخة كما عندكم ·

ثم صمت قليلا وقال :

ـ نحن أبناء الدول النامية نعيش القلق والتخبط ·

ـ والى متى سنعيش القلق والتخبط ؟

ـ الى أن نحرر أرضنا ·

وكان صـــوت فيروز فى هذه اللحظة وبالصـــدفة يتغنى بالقدس ·

●

رأت أمينة حلما غريبا • رأت طائرات ، ونارا مشـــتعلة ، جرت لتختبيء فى مكان مثل مقهى • وجـــدت الرجل الذى كان خطيبها جالسا يشرب خمرا ، قالت له عما يحدث فى الخـــارج فابتسم • جذبها اليه ليقبلها • فوجدت وجهه يتغير ليصبح وجه حبيبها ••

قال لها لنخرج • سارت بجواره مطيعة • ولم تدر تماما اذا ما كان خطيبها أم حبيبها الذى تسير بجواره • كان ثملا ، أمسك بجذع شجرة فى الطريق وقال لها أنه لا يريد أن يكون عثرة فى طريق مستقبلها • نظرت اليه بدهشـــة كان مثل فرع جاف من الشجرة ، النحيلة ، يتدلى منها الى الأرض ، كأن عاصفة كسرته فانحنى •

فى الصباح اعتراها مزيج من شعور القلق والضيق وللغرابة، شعور بفرحة انتقام ، ولما كان اليوم أجازة أسبوعية تلكأت فى حجرتها ونزلت الى المطعم فى الدقائق الأخيرة على موعد انتهاء الافطار ، لم يكن أحد موجودا سواها ، فتناولت طعامها وهى تفكر فى لغز هذه الحياة • لقد علمها أبوها السباحة وهى طفلة بأن يلقيها فوق موجة فى البحر تعلو بها وتهبط ، وتحـــرك ذراعيها وساقيها وتشرق ، وتغرق ، وتصرخ الى أن أتقنت السباحة • وقد

ألقاها أبوها فى الحياة تماما كما ألقاها فى البحر لتتعلم فن الحياة وحدث لها كما حدث فى تعلمها السباحة ، لكنها مازالت لا تتقن فن الحياة • اثناء تأملها وتناول افطارها دخل البواب « ماكس » الى قاعة الطعام •

قال مهللا « ايه مدموازيل سالم •• لك خطاب » • أعطاها الخطاب وفتحته بلهفة • كان من احدى أخواتها • تحكى لها عن أبنائها الثلاثة وزوجها الذى أصبح فى مركز كبير فى عمله وقرارها باعادة طلاء شقتها وستجدد الموبيليا و •• أغلقت أمينة الخطاب وألقته فى حقيبة يدها بغيظ واهمال • ارتدت معطفها وقبعتها •• فكرت لحظة أن تسأل عن نذير • ثم عدلت عن سؤالها وقررت أن تخرج وحدها لتسير فى الحى القريب من بيت المغتربين • أثناء تجوالها وجدت كنيسة من الطراز القديم • وقفت تتأملها وسمعت صوت موسيقى من الداخل « أرغن » • أقتربت من بابها الخشبى الصغير • فتحته • علا صوت الألحان • لم تجد أحدا بالداخل • دخلت • ويبدو أن لاعب الأرغن كان يدرب أصابعه أو يقوم بعمل « بروفة » ما سارت بين الصفوف الخشبية للمقاعد الخالية وألحان الموسيقار « باخ » تطربها • دارت نظراتها تتأمل المكان واعترتها رهبة • سارت الى مقدمة الكنيسة ، وجدت شـــموعا مطفأة • أخرجت قداحة من حقيبتها وأشعلت الشموع المطفأة •

جلست قبالتها واعترتها رغبة فى البكاء • سالت دموعها قليلا وهى تتذكر حلم الليلة الماضية • بالرغم من أنها أحرقت صورة خطيبها يوما • وبعثرت رمادها فى الهواء وهى تدعو أن تتبعثر آماله وأحلامه ، وبالرغم من أنها دعت على حبيبها يوما أن تصيبه لعنة عذابها ووحدتها ، ألا أنها لم تكره بما فيه الكفاية •• وشعرت بالقلق عليهما من ذلك الحلم • ســالت دموعها قليلا وهى تتذكر كلمات أختها فى الخطاب •

لقد ألقى بهم أبوهم فى الحياة كما كان يلقى • بهم فى البحر. وتعلموا كلهم فن الحياة كما تعلموا فن الســباحة ماعداها •• ابتسمت وهى تتذكر أحلام العمة أنها ســتكون أحســن اخوتها

وأخواتها • وأيقنت وربما لأول مرة أن العمة كانت تواسيها باختلاق تلك الأحلام أو أنها كانت تحكى لها عكس ما كانت تحلم به • فهل مازالت أمامها فرصة فى الحياة لتكون الأحسن وهى على أبواب هذا العمر ؟!

لقد أضاعت سنين طويلة من عمرها فى انتظار الأحسن • وأوقعتها ظروفها فى حب الغريب من الرجال • هل هى الظروف حقيقية ؟ • أم هو اختيارها الأهوج وعدم تعلمها فن الحياة ؟! اخواتها البنات الثلاث تعلمن فن الحياة والاختيار • وكانت الواحدة منهن تختار الرجل وتحبه وتناله بصورة خيالية ، لم تر واحدة منهن تتعذب عذابا حقيقيا من الأعماق • هل هى مسألة حظ ؟

عندما تذكر بعمق فى مسألة أخواتها البنات كما فكرت فيهن وهى جالسة فى الكنيسة تكتشف أنهن لم يحببن رجالهن بما فيه الكفاية • بل اختزن بعمليات حسابية ومظهرية • لن يعرفن الحب الحقيقى • وسبت بلفظ قبيح •• ماذا فعلت هى بمعرفتها الحب الحقيقى ؟ انها لا تحقد على أخواتها البنات ولا على من سبقنها فى الحياة من صديقاتها وزميلاتها • لكنها فقط تتساءل كلما مرت بها ظروف تعسة أو شعرت بوحدة • لماذا يحدث هذا لها ؟!

وفى لحظات عابرة يداهمها شعور بالحقد على الحياة عامة، وتبقى مهمومة لأيام بشعور الذى أخذ من هذا العالم « مقلبا » • وتعاهد نفسها ألا تحب حبا حقيقيا أو تعطى عواطفها هكذا من أعماقها • لكنها عندما تحب لا تستطيع أن تفعل غير ذلك وتخذل كما يخذل الحمقى •

نظرت أمينة الى سقف الكنيسة المزركش برسوما قديمة •• وأنغام الأرغن مازالت تملأ المكان • سالت دموعها وهى تتمتم :

« سبحانك •• عملت سوءا وظلمت نفسى • فاغفر لى ذنبى • ولا يغفر الذنوب الا أنت •• » رفعت رأسها ، وخيل اليها ان دموعها صنعت ظلالا فرأت خيالا فى ضوء الشموع • مسحت دموعها • وجدت « نذير » ينظر اليها بدهشة • فابتسمت •

قال ـ كنت أشترى سجائر من المحل المقابل للكنيسة ولمحتك وأنت تدخلين انتظرت الى أن تخرجى ولما تأخرت جئت ‥ أمينة ‥ ماذا حدث لك ؟

قامت أمينة وهى تبتسم وتجفف دموعها وقد شعرت بفرحة لوجوده المفاجىء ٠

قالت : لا شىء ‥ انتابتنى حالة من العبط فبكيت ٠

صمت الارغن وسارا الى باب الكنيسة صامتين لا يسمع فى المكان الخالى سوى وقع خطواتهما ٠ شعرت أمينة باطمئنان مشوب بفرحة توجد خطوات بجانب خطواتها ٠ هى اذن فى صحبة ٠

وقفا لحظة ينظران الى الطريق وكل منهما يريد أن يعرض على الآخر أن يمضى اليوم معه ٠ وأخيرا قطع نذير الصمت وقال : « هل لك فى مغامرة » ؟ ٠ نظرت اليه متسائلة ٠ ماذا يعنى ؟

قال : على بعد نصف ساعة من هنا توجد قلعة قديمة وبها معـــرض لفنانين تشـــكيليين لم أذهب للمكان من قبل لكن معى العنوان ٠

ـ لنذهب ٠

وأثناء ســـيرهما الى محطة السيارات العامة سألها اذا ما كانت تحب هذا الفن فابتســـمت أمينة وهى تقول انها ذاهبة معه للمغامرة ٠ وقد علم فيما بعد أن الرســـم كان أحد الأبواب التى طرقتها أمينة فى حياتها أو أحدى الموجات التى ركبتها فى حياتها كما كان يحلو لها أن تصف الحياة بالبحر وتجاربها بالموجات وكان يعجب بهذا التشبيه ٠

قال وهما جالسان فى السيارة العامة ٠

لم أكن أتصور يوما أن تكون لى صديقة مصرية ٠

ـ سمعتنا سيئة عندكم ‥ ؟!

ـ ليس تماما ٠ وأعتقد أن أى رجل له عقل ويفكر يستطيع أن يفرق بين نوعيات الناس ولا يمكن أن يوصـــم رأيه بالتعميم والسطحية ٠٠

مرت فترة صمت ٠ ثم قال ـ أعتقد أن صداقتنا ستكون عميقة وقوية ٠٠

ـ كيف جاءك هذا الخاطر ؟

ـ أشياء كثيرة فى حياتنا تبدأ بخاطر ٠

قلعة صغيرة ٠ قديمة ٠ كانت مهجورة منذ الحرب العالمية الثانية التى أنهكت أوروبا ٠ استأجرها طلبة الفنون الجميلة من حكومة الدولة واشترطت عليهم أن يتركوها كما هى من الخارج كمكان أثرى ٠ جملوها من الداخل وقسموها الى قسمين ٠ الدور الأرضى ( نادى ) صغير يجمعهم ٠ والدور العلوى صالة عرض لانتاجهم الفنى ٠ وحول القلعة بعض خرائب تلك الحرب تركوها كشيء للذكرى ٠٠ توقفت أمينة أمام لوحة فنية لشـــاطىء مهجور وكوخ صغير وزورق صيد وحيد ٠ وسألت « نذير » : « أين وجد الرسام هذا المنظر » ؟

قال ببساطة ـ فى أى شاطىء مهجور من العالم يمكن أن تجدى هذا المنظر ؟

ظلت أمينة واقفة تتأمل اللوحة الفنية سألها : « بأى شاطىء مهجور تذكرك » ٠ ؟

قالت سارحة : شاطئنا الحبيب للبحر الأحمر ٠

ـ هل زرت تلك الأماكن بعد حرب ٦٧ ؟

هزت رأسها بالايجاب قالت وهى مازالت سارحة :

ـ أصـــبحت صورة تلك الأماكن مثل هذه التى نراها فى الأحلام وفى الصباح لا نجدها ٠ اننا لا نســـتطيع أن ننسى تلك الأماكن الحبيبة ، مهما كانت أفراحنا المزيفة وانشـــغالنا بأمورنا

الخاصة • وعندما رأيت الرجال هناك يتدربون • ينتظرون • يومها تمنيت أن أبقى معهم • وأصنع شيئا • لكن لم أعرف ماهو هذا الشيء الذى يمكن أن أصنعه • سألت بعضهم ماذا يمكن ان أصنع من أجلهم • قالوا • •حدثى أهل مدينتنا عنا •• وعندما عدت فى المساء • صدمتنى اضـــواء القاهرة مع انى كل مساء اراها • صدمتنى ضجتها الصاخبة ولهو ناسها • مع أنى أعيش كل يوم معهم • وعذرت هؤلاء الرابضين على الجبهة عندما يحقدون علينا •• ووجدت لنا أيضا عذرا • اعتقدنا لفترة طويلة انهم السبب فيما حدث لنا وليتحملوا وحدهم نتيجة فشلهم •

قال : والآن • هل مازال هذا اعتقادكم ؟

ـ لا •• اننا نتغير • معرفتك للحقيقة تغير تفكيرك •• ألم يكن هذا تفكيركم أيضا ؟

ـ نعم •• اننا نتغير ••

وبعد أن شاهدا الصور المعروضة تركا القلعة وظلت صورة الشاطىء المهجور فى عينى أمينة • وقفا ينظران الى آثار الحرب العالمية الثانية وغمرتهما مشاعر كثيرة • فذكرى الحرب قد حركت فيهما آلاما قديمة وأضافت الى علاقة صداقتهما عمقا جديدا •• فها هو شيء آخر مشترك بينهما غير الاستماع الى الموســـيقى وقراءة الروايات ومشاهدة معارض الفن وربما من أهم الأشياء المشتركة بينهما • ولم يكتشفا هذه الحقيقة الا بآثار خرائب حرب وصورة شاطىء مهجور •

قال نذير : اننا جيل الحروب • استقبلتنا الحياة بصـــوت القنابل وصــــرخت أمهاتنا ساعة ميلادنا بفرحة وجودنا والخوف علينا • رضعنا على ضوء الشمع الخافت أو فى الظلام الدامس • وعندما رأت عيوننا الصغيرة الضوء لأول مرة يضىء طرقات مدننا •• بهرنا • •ولم نفهم ما قالوه أن الحرب انتهت واسترحنا •• لكننا لم نسترح وعشنا سنوات عمرنا فى حروب متعددة صغيرة ، أهلكتنا •

قالت أمينة وهما سائران فى الطريق بعد فترة صمت طويلة :

ـ مرت خمس سنوات على نكستنا ·· والآن هذه هى السنة السادسة · والعالم ينتظر منا أن نفعل شيئا · ويخيل الى أحيانا أننا لا ندرى ماذا نفعل !

وجدا مطعما صغيرا ، وجلسا فى أحد اركانه ومازال حديث الحرب فى رأسيهما ·

قال نذير : وددت لو طالت تلك الأيام الستة فى صيف ٦٧ رغم أننى لم أنس جلوسنا فى غرف العمل عندنا وأعقاب السجائر الملقاة على الأرض وقد سحقت معها مئات التنهيدات من النفوس المتعبة حتى الموت · وتلك الحقائق القاسية التى خلفتها تلك الأيام ، والتى تناساها الناس عندنا أو حاولوا نسيانها · هذا التناسى الذى يولد الشعور بالاختناق والعجز عن مواجهة الأشياء وتحطيم الأكاذيب · لقد هربت وهرب كثيرون غيرى من الدوامة اللعينة التى غمرت كل شيء بالتفاهة والبلادة وجئت الى هنا ربما أستطيع أن أفعل شيئا · هربت من جلساتنا التى فيها ندخن ونحلم ونسـحق أعقاب السجائر ونقول سنعمل وسنعمل ونبقى ندخن ونسـحق الأعقاب ونحلم وليحيا العالم الذى يتحرك بدوننا ، جئت هنا ربما أستطيع أن أفيد بشيء فيما بعد ·

وارتفع صوته قليلا :

ـ أسألك أيتها العزيزة ما الذى جعلنا نفقد أصواتنا وجعل الكلمات تفقد معانيها وثقلها ·· غلطة من ؟!

ابتسمت أمينة لتخفف من توتره قالت :

ـ ليست غلطتى على أية حال ·· أنا جائعة والمرأة تنتظر طلباتنا ·

قال غاضبا : نعم هى غلطتك وغلطتى ، وغلطة كل الشباب المنعزل الذى أحاط نفسه بسياج من الوهم ·

ـ أحيانا العزلة تفرضها عليك ظروف لا تختارها بارادتك ·

— نعم · الأفضل أن نأكل ·

بدأت أمينة تقرأ أسعار أطباق الطعام قبل أن تختار واحدا · نظرت الى نذير فوجدته يفعل مثلها · ضحكت · نظر اليها متسائلا· قالت وهى تضحك :

— نقرأ على طريقة لغتنا من اليمين الى اليسار ·

ابتسم : اللعنة · سنظل دائما نعد نقودنا فى هذه البلاد ·

أثناء تنـــاولهما الطعام تحدثا قليلا عن المأكولات الأوروبية والشرقية ووعدها أن يدعوها يوما عند أصدقاء من بلده لتناول طعام من بلدهم · لكن يبدو أن حديث الحرب مازال فى رأسيهما ·

قال نذير — النسيان نعمة عظيمة · لكن توجد أشياء لا يصح أن تنسى · خلال هذه السنوات التى أمضيتها هنا كلما أقرأ أو أسمع أن الحياة تسير عادية فى بلادنا · أقلق · أحنق ·

قالت أمينة : الحياة تسير عادية · نعم لابد أن تسير طبيعية ·· لكن القلق فى نفوسنا · اننا لا ننسى ·· أقول لك مثلا عنى · ذات صباح سمعت صوت نفير سيارة مثل صوت صفارة الانذار · نظرت خلال النافذة الى السماء · كانت عيناى بين النوم واليقظة ·· رأيت حدأة تميل شمالا ويمينا حسبتها أول الأمر طائرة تسقط ·· فكرت لحظة أين ستسقط · أيقنت أننى لم أسمع صوت مدافع مضادة · تبينت أنها حدأة · أليس هذا قلقا ؟! · وذات مساء كنت أمر بجوار مقهى وجدت ازدحاما من الناس وصوت راديو مرتفع · وكان صوت المذيع قويا · قلت ربما حدث الحدث ويذيعون تفاصيله والناس ازدحمت لتسمع · وعندما اقتربت منهم وجدت ازدحامهم حول رجل يقوم بألعاب سحرية · أليس هذا قلقا ؟!

ابتسم نذير وقال : لن نعيش حياتنا فى خوف دائم · سنموت بمخاوفنا ، لابد أن نهدم جدار هذا الخوف حتى وان سقط على رؤوسنا ، أفضل من وجوده سدا منيعا قبيحا أمام مستقبلنا ·

ابتسمت أمينة ٠ قالت : تذكرت شيئا ٠ لم نعد نرى طائر الحداة الآن فى مدينتنا ٠ هاجر مثل الكثيرين الذين هاجروا بعد ٦٧ ٠

ضحك ٠ قال : لابد أن هناك عوامل تدفع الطيور الى الهجرة من مكان لآخر ٠ ازدحام المدن وضجتها يفزع بعض الطيور فتهاجر ٠

ــ مدينتنا أصبحت مزدحمة فعلا ٠ بالرغم من هجرة الكثيرين الى الخارج ٠

ــ أمينة الم تشعرى أن هذه الحروب أثرت على مستقبلنا حتى كدنا فى لحظات يأس مريرة نشعر أننا لم يعد لنا مستقبل ؟!

ابتسمت أمينة ٠ قالت : « لقد كان تأثيرها على مستقبلى مباشرا وبصورة وحشية ٠ فى عام ٥٦ كنت أحب مهندسا حديث التخرج ومجندا فى الجيش ٠ كان جارنا ٠ كنا نحلم بمستقبلنا معا ونحدد عدد أطفالنا ٠ لكنى كنت خائفة أن نبدأ مباشرة حياتنا معا ، لم أرد أن أعيش مع أهله أو يعيش مع أهلى الى أن تنتهى فترة تجنيده ٠ وكنت على أبواب دخولى للجامعة ٠ قال انه لن يكون عقبة فى طريق تعليمى ولماذا لا نرتبط ٠ اعترضت العائلة وقال اخوتى الى أن انتهى من دراستى ٠ وأمام الحاحه وحبنا وخوفه على من صداقات الجامعة ٠ عقد قراننا قبل أن أذهب الى الجامعة بشهر ٠ كنا نلهو كثيرا ٠

وفى يوم كانت لديه مهمة فى مدينة الاسكندرية وسافرت معه ٠ وكانت ليلة زفاف خاصة جدا ٠ كنا فى أكتوبر ٥٦ ٠ وعندما عدنا الى القاهرة كان هناك أمر استدعاء من الجيش قال لى ان هذا يحدث كثيرا منذ جند فى الجيش ٠ مجرد أيام ويعود ٠ وفوجئنا بالعدوان الثلاثى سنة ٥٦ ٠ مرت الأيام ولم يعد ٠ وعرفنا أنه مات ٠٠ اجتمعت العائلة فى منزلنا ٠ اخوتى وأخواتى ورجونى ألا ارتدى السواد وألا أخبر أحدا فى كليتى فى الجامعة بهذا الحدث لأن أمامى مستقبلا ٠ وتعجبت من اصرار اخواتى على أن أزور

طبيب أمراض نساء ٠ كن خائفات أن يكون قد حدث لى شىء ، أو أن يكون قد ترك فى أحشائى طفلا يولد يتيما ٠ قلت بهول الفزع وجنون الحزن انه اذا كان سـأحتفظ به تذكارا ٠ قالت كبيرتنا صارخة : هل أحتفظ بطفل تذكارا ؟ ومن أين سيتربى ولن يكون له معاش ٠ لأن الأب كان مجندا ، أنبونى على ذهابى معه الى رحلة الاسكندرية ٠ وتحت الحاحهن ودموعهن ذهبت معهن الى الطبيب ٠ كان لطيفا وأصبح صديقى من ذلك الوقت ٠ لقد أشفق على هلع أخواتى وتأثر لانهيارى وأشفق على عمرى أيضا ٠ فقال لهن اننى مازلت عذراء حتى تهدأ مخاوفهن واتفق معى الا أكذبه وعلمنى كيف أعتنى بنفسى ٠٠ اطمأنت العائلة أنه لم يترك فى داخلى تذكارا حيا ، وفرحوا أننى مازلت عذراء ، ولم يهتم أحد بالألم الذى فى داخلى ، وعملوا على أن يمحوا هذا الحدث تماما من حياتى ٠٠ صرفت لى مكافأة كبيرة ولا أدرى لماذا ٠ وكنت لا أريدها ٠ صرفت منها بجنون ٠ وأخذت عمتى النقود الباقية بلباقة وعملت لى دفتر ادخار ٠٠ كرهت مدينة الاسكندرية ، والصحراء ، وكل جيوش العالم ٠ ولكن الحياة سارت ٠ وكما تقول عمتى « الحى أبقى من الميت » ٠ نسيت أو تناسيت هذا الحادث وانكمش الحزن فى داخل نفسى ٠ منذ ذلك الوقت صنع الحزن مكانا فى داخل نفسى ٠٠ تخرجت من الجامعة ٠ عملت ٠ أحببت ٠ وفى أوائل عام ٦٧ أعلنت خطوبتى ٠ كنت فرحة بوجودى معه ٠ لكن فى ذلك العام كانت تبدو لنا الآمال الخاصة محرمة وتافهة ٠ فهل يصح أن تجلس وسط ناس يتحدثون عن اضطرابات العالم ومآسى الحروب وتحدثهم عن أفراحك الخاصة ؟

وكنت حقيقة خائفة أن تقوم الحرب مرة أخرى وأنا أتحدث عن مشاريع مستقبلى وتقتلها . وتحققت مخاوفى ، قامت حرب ٦٧ وخمدت مشاريع المستقبل » ٠

قال نذير منزعجا ــ هل مات الرجل أيضا ؟!

ــ لا ٠٠ هاجر ٠٠

ـ ولماذا لم تهاجرى معه ؟

ـ لا تروقنى فكرة الهجرة ٠

هز نذير رأسه موافقا على رأيها وتعجبت أمينة من نفسها وهى تحكى هاتين القصتين بهذا الايجاز ٠ بل انها أعطت لنفسها أهمية وكذبت فى مسألة خطيبها ٠ وكانت وقتها تعيش فى محزنة حقيقية ٠ فهو لم يختر الهجرة فقط لكان الأمر قد هان عليها لكنه اختار أيضا فتاة أخرى ٠

وتعجبت أمينة من قوة الزمن التى تجعل الانسان ينسى ٠ وتبقى صور آلامه البعيدة مجرد ذكرى لألعاب الأقدار ٠ يضحك منها أحيانا ٠ ويبكى عليها أحيانا ، تبعا لحالته النفسية وقت تذكرها ٠ ولا شك أن حالة أمينة النفسية كانت مرتفعة وهى تحكى لنذير فضحكت ٠ وتعجبت من ضحكاتها ٠

فأحيانا عندما تتذكر كأنها تفتح أوراق مرثية قديمة ٠ من سوء الحظ وعدم القبول ، وعدم التوفيق عندما يصيبها ضيق هائل لا تدرى كيف تخرج منه ٠

ابتسم نذير لضحكاتها وتمنى أن يجدا مستقبلهما مع الحرب القادمة ولا يشعران أنه ضاع منهما أو قتل ٠ وعبرت أمينة عن مخاوفها من احتمال نشوب الحرب وهما بعيدان عن أرضهما ٠٠ وحكت له عن حلمها بالطائرات التى تحترق وفزعها من الحلم ، لكنها لم تخبره ببقيته وما رأته من صورة خطيبها التى تحولت لتصبح صورة حبيبها الأخير ٠ وطمأنها نذير أنه لا يوجد أى شىء يزعج فى احتمال نشوب حرب قريبة ٠ وسألها ماذا كانت تفعل فى حياتها الشخصية فى تلك الفترة بعد أن هاجر خطيبها ٠ فى تلك السنوات الخمس ٠ قالت أمينة وقد بدأت بعض أحزانها تتحرك أنها أصبحت تخاف فكرة الارتباط ٠ وكادت تحكى له عن حبيبها الذى قررت أن تتركه قبل سفرها ، لكنها صمتت ، لم تدر هل صمتها لأنها مازالت تحبه ، أم أنها لا تريد أن تفسد سرورها بالحاضر

بتذكر أحزانها ؟! وسألها كيف يلقبونها بالآنسة وفى بطاقتها مكتوب آنسة وهى قد تزوجت من قبل ؟!

قالت : قلت لك أن الطبيب أخبرهم اننى عذراء ٠ وأصر اخوتى على عدم تغيير هذه الصفة ٠ أثبتوا هذا بشهادة طبيب وصدقوا عليها بقرار لا أدرى ماهو ٠ أشياء مضحكة ٠ أليس كذلك ٠

ضحك نذير ٠ قال : فى أول عام لى هنا كنت أنزعج عندما أعجب بفتاة وأتصور أننى أحبها وتحبنى وأذهب معها الى حجرتها أو تأتى معى الى حجرتى وأجد أننى لست أول رجل فى حياتها !!

ضحكت أمينة ٠ وقال :

– هذه المسألة أزعجتنى كثيرا الى أن تعودت هذا الأمر فى هذه البلاد ٠ ٠خيل الى أنهن يولدن بدون هذا الغشاء ٠

تعالت ضحكات أمينة ٠ قالت : فى بلادنا الفتيات يعرفن هذه العقدة عند الرجل الشرقى ٠ وأصبحن يعشن حياتهن بكل حرية ٠ وعندما تريد الفتاة شابا بالذات للزواج أو يتقدم لها عن طريق الأهل تقوم باجراء عملية جراحية بسيطة ٠ وأحيانا لا تجبر نفسها على متاعب عملية جراحية وتقوم بخدعة صغيرة لا يكتشفها الرجل ٠

خبط نذير المنضدة وهو يقول « اللعنة » ٠٠ صمت قليلا وسأل أمينة ٠٠ « وأنت ماذا ستقولين للرجل الذى سيتزوجك وأنت فى بطاقتك آنسة ؟! » ٠

– نذير ٠٠ أنا لست صغيرة الآن ٠ ولن أخدع هذا الرجل ٠ وأعتقد أننى لن أتزوج بصورة تقليدية لا أحبها ٠ لابد أن أحب الرجل ويحبنى ، والحب الحقيقى اذا وجد بين اثنين لا يدع للخداع مجالا بينهما ٠

أمسك بيدها بكلتى يديه ٠ قال : أمينة ٠ يا أعز أمينة أحترمك وأقدرك ٠

نظرت اليه بذهول · ابتسمت وخفق قلبها ·

جميل أن يكون اثنان سائرين معا ويشعر كل منهما أنه فى صحبة آخر · خطواتهما متجاورة يمنع أحدهما الآخر من السقوط اذا تعثرت خطوته يمسك يده فى عبور طريق · يسأله اذ كان قد تعب · يحاكيه فى منظر تراه عيونهما · هذا الشعور أو السلوك الذى يعبر عن المعية أو الصحبة افتقدته أمينة من شهور طويلة تبدو لها أطول من شهور سنة · لذلك عندما شعرت به رقصت أحلامها · بجانبها · أمامها لتستمتع بكل ما يعطيه لها الحاضر ولتنس أحزان ما مضى · وليأت الغد كما يحلو له أن يأتى ·

●

أعجبت أمينة بشخصية مديرة مصنع العرائس الذى تتدرب به ، فهى جادة فى عملها ، صارمة وليست متغطرسة · عملية لكنها ودودة · وعندما سمعت أمينة رأى العاملات والعاملين فى مديرتهم زاد اعجابها بها · فالعاملات بالذات يعتبرنها أما لهن تحل مشاكلهن العملية وأيضا الخاصة · وتهتم بأطفالهن ، فمن الأماكن المبهجة التى بهرت أمينة فى المصنع غير معرض العرائس دار حضانة أطفال العاملات · وأحيانا تذهب الى هذا المكان وتلعب مع الأطفال وتبتهج لابتساماتهم وضحكاتهم عندما يسألونها أن تتحدث بلغتها وينصتون اليها · وتحاول تعليمهم بعض الكلمات العربية · ونشأت صداقة بين أمينة ومديرة المصنع « ماريا » · وعرفت منها قصتها الى أن وصلت الى هذه المكانة · كانت عاملة صغيرة فى مصنع العرائس أثناء الحرب العالمية الثانية التى هزت أوروبا · وقد تهدم ذلك المصنع فى احدى الغارات · ورأت « ماريا » رؤوس العرائس تختلط برؤوس الناس · تطير فى الهواء وتتكوم وسط الدمار · وأصبح ذلك الكابوس الذى رأته فى الحقيقة يطاردها فى الأحلام · ألحقها أهلها بمدرسة لتكمل تعليمها وتعمل فى شىء آخر · وعملت « ماريا » فى التدريس · وظلت رؤوس العرائس الطائرة المختلطة برؤوس الناس تطاردها · وبعد سنين طويلة عندما أنشىء هذا المصنع تركت

التدريس لتعمل به كعاملة لها خبرة سابقة ٠ ومع السنين أصبحت مديرته ، وسألتها أمينة يوما لماذا تحب العرائس هكذا ؟! فقالت ان أباها كان مزارعا وكانوا يسكنون الريف ٠ وكانت أمها تصنع لها عرائســـها من القماش ولا تتقن صنع الوجه ٠ فكان دائما وجه عروستها يخيفها ٠ كانت تحلم بعروسة جميلة مثل التى رأتها يوما فى المدينة ٠

ابتسمت ماريا وقالت : أحيانا أحلام طفولتنا تظل معنا طول حياتنا الى أن نحققها ٠

قالت أمينة بحـــزن ـ وأحيانا لا نســـتطيع أن نحقق هذه الأحلام ٠

قالت ماريا ـ اذا كان الفرد جادا ومصرا على تحقيق أحلامه لابد أن يحققها يوما ٠

قالت أمينة : أحيانا توجد ظروف خارجة عن ارادتنا تعطلنا مثل ظروف الحرب التى مرت بها بلادك ٠

قالت ماريا : لكن ياعزيزتى ٠ ها أنا فى مصنع للعرائس وأديره وأصر على أن تكون وجوهها مبتسمة جميلة حتى لا تخيف الأطفال مثل عروستى التى كانت تخيفنى ٠

قالت أمينة : لك ارادة قوية وتعجبنى ٠

ربتت المرأة على كتف أمينة بحنان ٠ قالت :

ـ أعرف الظروف الصعبة التى تمر بها بلادكم ، وأعتقد أن صمتكم لن يستمر ٠ أعرف أن هناك أحلاما كثيرة معلقة أو مؤجلة فى نفوسكم ٠ لكن ثقى بارادتك وستحققين يوما أحلامك ٠٠ ألست هنا لتحققى جزءا منها ؟!

هزت أمينة كتفيها ولم تستطع أن تكذب ٠ قالت :

ـ أحلامى ٠ لم أحضر هنا لتحقيقها ، جئت هاربة من كل شىء ٠ وربما أولها أحلامى ٠

قالت ماريا : اقدر مشاعرك · لكن لا تهربى من بلدك · لا تتركيها فى محنتها . اذا تركها كل أبنائها من الذى سيبنيها من جديد · أمينة ·· لا تهربى الى مجتمع آمن · اننا لم نصل الى هذا الأمان بسهولة · وأنت لابد أن تساهمى للوصول ببلدك الى الأمان ·

قالت أمينة : حقيقة · انا اشعر بغيرة من هذا المجتمع ·· الآمن ، وأتمنى أحيانا أن أعيش معكم . ولا أنكر أننى جئت وفى رأسى هذه الفكرة · لكن الآن وأنا بعيدة عن بلدى كل هذه الأميال، كثيرا ما أشعر بأيد مجهولة تشدنى اليها · وأصوات عالية كأنها تخرج من الأرض هناك تنادينى أن أعود ·

قالت ماريا : هذه صديقتى الحميمة ·

يومها لم تفهم أمينة كيف خرج صـــوتها من أعماقها بهذا الصدق ، فلم تكن تمثل الوطنية لأنها أمام امرأة وطنية · يومها بكت أمينة وهى تتذكر أنها فكرت يوما فى الانتحار · كان اليأس يلفها فى كل شىء والضيق يضغط على أنفاسها · بكت لهذه الذكرى وهى تسترجع حكاية صديقتها «ماريا» أثناء الحرب العالمية الثانية وكيف لاقت والناس هناك الدمار الحقيقى بكت أمينة وهى تفكر أن حزنها وضيقها وحتى فكرتها فى الانتحار كانت ترفا · وعندما هدأت من فورة ذكرياتها وتأملاتها وجدت أن ما مرت به أوروبا كان شيئا ملموسا وحقيقيا · واعادة بنائهم الأشياء والنفوس كانت على أساس من الجدية لأنه لم يعد ما يهدد أمنهم بحالة حرب قائمة ·· أما فى بلادها فالأشياء متميعة مثل حالة اللاحــرب واللاســـلم والتهديد موجود بوجود الأعداء على الأراضى المغتصبة · وهذا التخريب الذى حدث للنفوس والعلاقات بين الناس وتبادل الاتهامات الذى أصبح علنيا · ذكرت أمينة ·· أنهم يواجهون بعد ٦٧ أزمات كثيرة من تلك التى واجهت أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ·· ونقلت أفكارها هذه لنذير ·

ضحك وقال : يعجبنى رأسك الصغير عندما ينشغل بأفكار كبيرة أمينة هناك اختلاف كبير بين ما تمر به بلادنا وما مرت به أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ٠ ويبدو أن من مصلحة العالم أن تظل منطقتنا على هذه الحالة من الحروب لكى نتصارع نحن وتتصالح الدول الكبرى على حسابنا ٠٠ أمينة ٠٠ أحيانا أشعر أن رأسى سينفجر من الأفكار مثل هذا المساء ما رأيك لو ذهبنا الى ملهى صغير فى هذه الضاحية ٠

قالت أمينة بمرح ـ لنذهب ٠

●

حانة صغيرة ، جدرانها مكسوة بألواح خشبية لونها داكن ، تتدلى منها مصابيح صغيرة باللون الأحمر الخافت ، مناضد قليلة متناثرة ، وموسيقى تصدح من مسجل « استريو » · فى ركن من المكان بار خشبى ، تجلس خلفه امرأة سمينة شعرها أصفر · عندما رأت « نذير » و « أمينة » بالباب رحبت بهما وقادتهما الى منضدة صغيرة · وسط هذه المناضد مكان صغير لمن يرغب فى الرقص ، واذا قام كل الموجودين الى هذه الحلبة لن يتمكن أحد من الحركة · سألت المرأة « نذير » عن أحوال سوريا ، تمتم بكلمات أن كل شىء على مايرام ولا يوجد جديد ، وأشار الى أمينة وهو يقول أن صديقته من مصر · رحبت بها المرأة مرة أخرى وهى تقول انها لابد أن تحقق أحـــلامها يوما بزيارة طويلة لبلاد الآثار العريقة والشمس الدافئة ، بلاد الشرق الأوسط ، ولما ابتعدت عنهما علقت أمينة أنه لابد من رواد هذا المكان المرموقين ·

فقال : كثيرا ما أحضر هنا فى المساء اتسلى ، وأحيانا تأتى هذه المرأة صاحبة الحانة تشاركنى الشراب وتحدثنى فى السياسة، وكثيرا ما أجلس على البار أراقب الداخلين والخارجين وهذا فى حد ذاته متعة ، اذا عرفت أن معظم الثنائيات الداخلة تتغير وهى خارجة ، ممكن أن يعجب الشاب بأخرى غير فتاته التى جاء معها ، وهكذا الفتاة فيخرجان بصحبة مختلفة · هذا طبعا اذا جاء اثنان

ليسا حبيبين ، وهذا كثيرا ما يحدث في هذه البلاد · أن ترغب الفتاة في الخروج للرقص أو الشرب فتسأل زميلا لها ان يصحبها وهكذا يحدث مع الفتى ·

ابتسمت امينة وقالت مداعبة : « يعنى هذا ممكن يحدث لنا هذا المساء » ·

أمسك نذير أنفها مداعبا وسألها ان يرقصا ، وكانت الموسيقى صاخبة · خجلت أمينة أن تصـــرح له أنها لا تعرف قواعد هذه الرقصة وقامت معه الى الحلبة · وقفت لا تدرى ماذا تفعل طوقها بذراعيه وقاد خطواتها بهدوء ، وتعجبت أنه أيضا لا يتبع قواعد الرقصة وخفق قلبها بفكرة أنه فقط يريد أن يحيطها بذراعيه ، وكانت لديها نفس الرغبة ·

قال هامسا : أمينة ·· اسمك جميل !!

قالت بفرحة : واسمك نذير ·· نذير لأى شىء ؟

قال وهو يضمها اليه اكثر : « نذير لأشياء كثيرة جميلة يمكن أن تجمعنا » ·

هدأت الالحان وأعقبها لحن « لفالس » قديم بتوزيع موسيقى حديث وأصبحت حركة الراقصين صعبة لامتلاء الحلبة الصغيرة ·

قالت : وأنا صغيرة كنت أحلم برقصة الفالس فى صالة كبيرة وأنا أرتدى ثوبا طويلا يطير وأنا أدور فى الرقصة ·

دار بها مع اللحن دورة صغيرة وقال : « هل ولدت وأنت تحلمين ؟ »

قالت : « مشكلتى أن احلامى كثيرة ولا تتحقق » ·

ضمها اليه اكثر وهو يقول : « مازال امامك الوقت لتحقيقها » ·· هزت رأسها وكتفيها ومطت شفتيها ، علامات لعدم التصديق أو عدم الاهتمام ، ومع ذلك ابتسمت بفرحة · وتعجبت من نفسها · لقد ظنت أن حياتها العاطفية انتهت بانتهاء آخر قصة حب لها ، وأنها لن تشعر بهذه الخفقة الحبيبة فى قلبها ، ولن تزورها أحلامها

الوحشية ، وان تشعر بهذه النشوة المعربدة بالفرحة ، وهذا الأمل الموعد بصحبة حلوة · ظنت أنها استنفدت كل هذه المشاعر الجميلة. وأنها انتهت تماما بانتهاء قصة الحب الأخيرة !

تعجبت أمينة من نفسها عندما وجدت أن كل هذه الأشياء الجميلة والمشاعر السخية تعود اليها ولم تنضب ، وفى منتصف الليل تركا الملهى الصغير وقالت ضاحكة : « غريبة أننا خرجنا معا ولم نغير صحبتنا » · ضحك نذير وقال انه لا توجد مواصلة الى المنزل القريب سوى أقدامهما · قالت : « لنجرى » · امسك بيدها وجريا ·· مزقا صمت الطريق وبرودته بصوت أقدامهما الراكضة وضحكاتهما ·

●

لاشك أن فرحة نذير بخفقات قلبه الجديدة حيرته كما حيرت أمينة خفقات قلبها له . كانت فرحته بها ليس فقط لأنه اكتشف أشياء كثيرة يعجبان بهامعا ، أو أنه يتحدث بلغته حديثا متفاهما معها · أو انه اكتشف جاذبية فى وجهها وجسدها وأعجب بهما · بالنسبة له كان يعتبر لقاءهما بمثابة التقاء حضـــارتين شرقيتين عريقتين وشعبين طحنتهما محنة مشتركة ونذير منذ حضورد الى هذه البلاد قد وضع فى اعتبارد العلم أولا ·

وكان من وقت لآخر يذهب مع أصدقاء من بلده لمصـــاحبة أوروبيات يذهبون الى ملهى يرقصـــون وفى نهاية الســـهرة يضاجعونهن بلا تعقيد فى مثل هذه العلاقات التى تسمى « الاوقات السعيدة » ، أو يذهبون الى رحلات خلوية · كانت فورة شبابه تدفعه اليهن الى أن تعرف على « سوزان » وأعجبته فهى مختلفة من ناحية تفكيرها وجدية نظرتها للحياة ·

واستمرت علاقتهما منتظمة يتقابلان فى نهاية الأسبوع يمضى معها يومى الآجازة فى شقتها لمدة عامين · ومع ذلك لم يكن نذير مقتنعا تماما بعلاقتهما خصوصا عندما تفصح له « سوزان » عن

رغبتها فى الارتباط به وأن يبقى معها فى بلدها . ويمكنه أن يكسب كثيرا من عمل محترم بعد حصوله على الدكتوراه . فمن حين لآخر يشده حنين الى شرقيته وبلده وناسه ، وعندما يسمع أخبارا لا تسره عن الأحوال فى بلده يفكر جديا فى الارتباط بصديقته والعمل فى بلدها . كان دائم الحيرة والتردد ، فهو لا يستطيع الاستغناء عن صديقته بحكم التعود ، ولا يستطيع الاستغناء عن بلده بصفة دائمة ، وكانت الحيرة تقلقه وتشعره بالهم .

وعندما ظهرت أمينة فى بيت المغتربين وفى حياته وأعجب بها ، أصبحت الأحاديث معها بلغة مشتركة وأفكار متقاربة تغنيه عن أحاديثه مع « سوزان » ، وعندما شعر بالحب لها بدأت رغبته تقل للأوروبية وأصبح لا يزورها بانتظام .

لقد طغى سحر الشرق على سحر الغرب ! . حتى انه فكر أن يقطع علاقته بسوزان ، لكن فورة رغبته وتعوده على ممارسة الجنس معها كانا يدفعانه اليها . وفكر أنه اذا قامت علاقة كاملة بينه وبين أمينة سيقطع علاقته تماما بالأوروبية ، واستبعد هذه الفكرة مؤقتا . أمينة شرقية وان كان يعرف أن الحب الآن لا ينفصل عن ممارسته سواء كان هذا فى الشرق أو الغرب .

وقد أجل التفكير فى هذه الناحية الى أن يعرف مشاعر أمينة، فهو لم يتأكد بعد من مبادلتها له الحب الذى بدأ يشعر به ، ولم يغب عن تفكيره تعجبه من حبه لمصرية . وعندما قال لأمينة انه لم يتصور أن يصادق مصرية ، كان يود أن يقول لها انه لم يتصور أن يحب مصرية .

أمينة أيضا تشعر بنفس الشىء انها لم تتصور أن تحب يوما رجلا غير مصرى . أما الصداقة فهى تؤمن أنها يمكن أن تحدث بين أبناء أى بلد فى العالم مع أبناء بلد آخر . فلم تكن العلاقة بينها وبين نذير تحيرها من ناحية اطار الصداقة . لقد تعرفت على بعض أبناء دول عربية مختلفة أثناء دراستها فى الجامعة . وكانت تحرص على أن تكون علاقتها بهم مجرد زمالة أو صداقة ، وعندما

تقرب اليها يوما شاب عراقى وكتب فيها قصيدة شعر يعبر فيها عن حبه لها · حولت مجرى الحديث الى براعة العراقيين فى كتابة الشعر وقدمته الى جماعة هواة الشـــعر فى الجامعة وأصبحا صديقين لا أكثر ·

لم تتخيل أمينة أن تكون أحلامها مع رجل غير مصرى ·· وعندما شعرت بخفقات قلبها منذرة بالحب للسورى · فكرت أن هذا حدث لأنها فى غربة ، وتساءلت لماذا لم تعجب بأحد المصريين الثلاثة الموجودين فى منزل المغتربين ؟ ·· وعندما استعرضتهم فى مخيلتها ·· «فايز» ، متزوج ، «وائل» لم يعجبها من نواح كثيرة ·· أما «أحمد» فقد لاحظت أن زميلتها المصرية فى المنزل معجبة به ·

وقررت أمينة أن تترك نفسها على سجيتها · اذا أحبت «نذير» حبا حقيقيا ليكن · اذا لم تتعد علاقتهما حدود الصداقة ·· ليكن · اذا تعلقت أحلام حاضـــرها ومستقبلها به ·· ليكن · ربما هذه العلاقة الجديدة تماما عليها تضيف الى نضوجها ، وتشفى جراح آخر قصة حب لها ، ولم يغب عن تفكيرها احتمال وجود صديقة أو حبيبة فى حياة نذير · فهو فى هذه البلاد منذ ثلاث سنوات وأمامه كل مغريات الأوقات السعيدة . ولم تلح فى سؤاله عن هذا الأمر الذى يشغلها قليلا ·

ولم تنس أمينة المهمة التى جاءت من أجلها وهى دراســـة مفصـــلة لصناعة العرائس ، وقد فكرت أن تســـتغل دراســـتها الاجتماعية فى عمل بحث ميدانى عن العـــاملات فى المصـــنع ومقارنتهن بعاملات مصنع فى بلدها · هذا الذى قامت يوما بعمل دراسة اجتماعية به ، ولم تجد حلولا لمشاكل كثيرة الا من مخيلتها وما قرأته ، والآن وهى تجد الحلول أمامها حية فقررت أن تستكمل البحث ·

وأخبرت صديقتها مديرة المصنع عن رغبتها فرحبت وشجعتها ·· وأخبرت «نذير» ففرح وقال ان هذا ربما يجعلها تمكث مدة

أطول . واقترح عليها أن تقوم بعمل دكتوراه فى تخصصها الاجتماعى ، ولم يخف دهشته من نوع دراستها ونوع عملها المختلف ، فأخبرته انها تهوى الفنون الجميلة وقد أشبعت هوايتها بدراسة فى معهد ايطالى فى بلدها وعملت لفترة قصيرة فى صناعة العرائس فى مسرح العرائس أول انشائه . وتعجب نذير بينه وبين نفسه أن فتاة فى مثل حيوية وجاذبية أمينة لم تتزوج مرة ثانية ، وهى ان كانت قد أخبرته عن فشل خطبتها فهو لم يغب عن تفكيره ، فكرة أن يكون لها صديق أو حبيب فى بلدها ينتظرها . ولم يلح فى سؤالها عن هذا الأمر الذى يشغله قليلا .

وبالرغم من انشغال أمينة بالعمل والبحث ومشروع الحب الا أنها أحيانا ماتشعر بانخفاض معنوى أشبه بالمرض عندما تتذكر قصة حبها الأخيرة . عندما تفكر فى مستقبل أيامها وهل ستبقى فى بيتهم الكبير أم أخيرا سيتحقق حلمها ببيت خاص لها . وعندما لا تجد « نذير » يزداد هذا الشعور بالانخفاض المعنوى . كما حدث لها لمدة يومين متاليين وكانا يومى الأجازة الأسبوعية .

بدأ شعورها بالانخفاض المعنوى فى الصباح على أثر مجموعة أحلام متشابكة .

فى الحلم الأول طلبت مكالمة تليفونية الى بلدها . وجاءتها سريعا ، لقد طلبت مكان عمل حبيبها .حاولت أن تتذكر اسمه . لم تستطع . ثم تذكرت اسمه الأول فقط عندما سألوها من الذى تطلبه .. قالوا سيبحثون عنه . ثم تذكرت لقبه . قالوا . نعم هو يعمل هنا وسيحضر ليحدثك . انتظرت صوته .زعقت ليسمع صوتها . لا مجيب وانقطع الخط بينها وبين بلدها ، بينها وبين صوت حبيبها الذى لم تسمعه .

فى الحلم الثانى وجدت أمينة خطابا فى يدها . قالت لمن حولها فرحة . « أخيرا جاءنى الخطاب الذى انتظره » . فتحت الخطاب لم تستطع قراءته . سألت الذين حولها . هل يعرف أحدهم القراءة . هزوا أكتافهم . لا . نظرت للخطاب مرة أخرى وجدت

الورقة بيضاء ، وقامت أمينة فى الصباح مكتئبة على أثر أحلام الليلة الماضية . تلكأت فى المطعم . ربما تقابل « نذير » وتحكى له عن أحلامها ليبتسم . ويخفف عنها ضيقها . لكنه لم يظهر . عادت الى حجرتها .. غسلت شعرها . أخذت حماما ربما يزيل التوتر من رأسها . من جسدها .

فكرت منذ متى لم تمارس الحب .. هزت رأسها لتبعد عنها هذه الفكرة . ولماذا الآن تفكر فى ممارسة الحب وقد خمدت هذه الرغبة تماما منذ شهور ؟! . هل هناك نداء من قلبها وجسدها لنذير ؟! . هزت رأسها ، وهى تجفف شعرها لتبعد عنها هذه الفكرة . لكن هل اذا رغبته . هل ؟ لا . وتذكرت كلمات زميلتها عفاف أول تعارفهما عندما قالت أن « نذير » له زوجة يذهب اليها فى عطلة نهاية الأسبوع . وقد نفى مسألة زواجه هذه . وهى وان كانت لم تلحظ أنه يختفى فى عطلات نهاية الأسبوع خلال الأسابيع الماضية ، الا أنها فكرت اليوم فى سبب اختفائه وخمنت أنه لابد مع صديقته . وزاد شعورها بالضيق .

وقت الغداء نزلت الى المطعم . لم تجده أيضا . وجدت « عفاف » مع أحمد . جلسا معها وأيقنت أن هناك قصة حب بينهما من طريقة معاملتهما لبعضهما . وحديثهما . هى لا تعرف عنهما أى شىء . ولا تريد أن تعرف . سألتها عفاف اذا كانت تريد أن تذهب معهم فى اليوم التالى الى رحلة بحرية . هناك زوارق كبيرة فى جهة البحيرات تقوم برحلات أيام عطلة نهاية الأسبوع وقد قرر المصريون الذهاب فى اليوم برحلات التالى لأنه عطلة رسمية لشىء مافى هذه البلاد . وافقت أمينة فهذا شىء ربما يجعلها تخرج من حالة الاكتئاب التى اعترتها .

●

كانت أمينة مرحة من أثر الرحلة . مبهورة بمرح الشباب والكبار فوق الزورق الكبير البخارى . فقد رقص الجميع رقصات جماعية وجذبوها معهم . وكان الجميع على الزورق كأنهم فى

رحلة عائلية أو مدرسية · كأنهم كلهم يعرفون بعضهم بعضا · وقدم بعضهم أغانى · ونكات مثل مسرح الهواة ولأول مرة تندمج أمينة فى هذا المرح الاوروبى وقد انعكس هذا على نفسيتها حتى أنها قالت لزملائها لماذا لا يخرجون كل عطلة أســـبوع فى مثل هذه الرحلات واتفقوا على هذا المبدأ · وكانت خلال مرحها تفكر فى نذير وتمنت لو كان معهم ·

وعندما وصلوا الى المنزل · سمعت أمينة موسيقى كلاسيكية تأتى من حجرة المكتبة والمسامرة اتجهت اليها · بينما الآخرون ذهبوا الى المطعم أو الى حجراتهم ، وجدت « نذير » يجلس وحيدا يســـتمع الى الموسيقى · رحب بها وسألها ماذا فعلت خلال أيام الأجازة ، جلست تحكى له بمرح عن الرحلة وأنهم سيشتركون فى مثلها كل عطلة أسبوع · وسألته أن يشترك معهم فى هذا المرح الأوروبى ·

ابتسم وهو يهز رأسه موافقا · وكانت فرحة وهى تحكى له · ثم سألته أن يحكى لها أين مضى الآجازة · كانت « الاسطوانة » قد انتهت · قام ووضع أخرى على الجهاز · الســيمفونية السادسة الحزينة « لتشايكوفسكى » ·

فقال – « كنت عند صديقتى » ·

وخرج من الحجرة · كانت خطواته حزينة · والموســـيقى حزينة « ونظرات أمينة على ظهره · قامت · أوقفت الموسيقى ·· ابتسمت ساخرة وهى تهز كتفيها ·

●

جلست أمينة صامتة أمام نذير تشرب الشاى وتراقبه بجانب عينها ·

قال – آسف ، لأنى تركتك أمس مع السيمفونية السادسة .. الحقيقة كنت لا أريد أن اتحدث ، ربما كنت سأضايقك بحديثى ·· وأنت كنت فرحة خفت أن افسد عليك مرحك ·

قالت : اننا صديقان الآن ·· أليس كذلك ، أم مازلت لا تثق فى صداقتى ؟:

هز راسه وهو يقول : أنت أعز صديقة عرفتها ·

ـ لماذا لا تحدثنى عما يضايقك · ألم أحدثك يوما عن ضيقى ·· احك لى عن صديقتك ·

ـ هذه حكاية طويلة ·

ـ تحبها ؟

ـ كنت ··

ـ والآن ؟

ـ لا أدرى ·

ـ وهى ·· تحبك ؟

هز رأسه · نعم · قال : وتريد الزواج ؟

ـ وأنت ؟

قال : لا أريد الزواج من أجنبية ·

ـ ماذا ستفعل ؟

ـ لا أدرى ·

نظرت أمينة فى ساعتها قالت انها تأخرت · رشف نذير من قهوته وقام معها ، ستسارا الى محطة المترو ، فى الطريق سألته أمينة ·

ـ نذير ·· هل جربت المخدرات ؟

قال : اذا عشت فى وهم الخيال الذى تصـــنعه المخدرات سيصعب على ان اتقبل الواقع ·

ـ هل جربت المخدرات ؟

– لا .. حقيقة . ولم أفكر أن أجربها .

قالت : ما رأيك . نجربها معا . ونرى أى عالم سنعيش فيه .

– لنعيش فى الواقع أفضل .

– الواقع لا يحقق أحلامنا . لنحققها فى الخيال . أليس من حقنا أن نسعد .

قال : سعادة وقتية تذهب بزوال المؤثر .

– كل السعادات وقتية .

– لا شىء يستمر كما هو ، واذا لم نتغير الأشياء نشعر بضجر .

سألت : هل يوجد انسان يضجر من السعادة الدائمة ؟

– لا يوجد طبعا . لأنه لا توجد سعادة دائمة . ولا شقاء دائم . كل شىء يتغير .

قالت : الذين يتعاطون المخدرات يعيشون فى سعادة دائمة ، ولا يبالون بالواقع . يعيشون فى العالم المثالى الذى يريدونه .. ومادمنا لانستطيع تحقيق أحلامنا فى الواقع ومادام العالم لن يكون مثاليا .. لماذا . لا .

وكانا قد وصلا الى محطة المترو ووقفا ينتظرانه . أمسك نذير بكتفى أمينة كأنه يهزها لتفيق فى هذا الصباح الرمادى .

قال : انظرى الى . اذا انت تعاطيت المخدرات وسعدت بهذه السـعادة المؤقتة وتحققت أحلامك فيها .. ستذهب نضـارتك وكلماتك الحلوة . وروحك الطيبة . وبعد سنين قليلة ستتعودين على هذه السعادة الزائفة ستكون صحبتك فقط هؤلاء المجانين أو تصبحين وحيدة تماما وستنتهى حياتك فى مصحة للأمراض العقلية أو فى أحد هذه الأماكن العلاجية أو ستنتحرين لأنك لن تستطيعى مواجهة الواقع .

– وهل أنا أستطيع ؟

ولم يتمالك نذير نفسه فصرخ – أمينة طبعا انت استطعت مواجهة الحياة بشجاعة مع كل المصاعب والظروف التى مررت بها · لك ارادة · نعم · تستطيعين رفض مالا ترغبين ·

ابتسمت أمينة · قالت : نعم · اننا نرفض · لنا ارادة ونرفض · كل مانستطيعه هو رفض مالا نريد · لكن أى شىء نقدمه كبديل ·· لا شىء ·

جاء « المترو » · صعدا · وجلست صامتة امامه ·

قال : أمينة ·· ماذا حدث لك اليوم ؟ هل كان الشباب يتعاطون المخدرات فى رحلة الأمس ؟

هزت رأسها ·· لا ·· ابتسمت ·· قالت :

– معظم ليلة الأمس كنت أفكر فى القدر · والظروف · والسعادات الوهمية التى نعيشها أحيانا · كنت افكر كيف تحملت مصاعب وظروفا سخيفة فى حياتى بدون الاستعانة بمساعدات خارجية مثل الخمر والمخدرات · كنت أتساءل هل يمكننى وأنا فى هذا العمر أن أتحمل المزيد ·· ربما لذلك فكرت فى الخمر والمخدرات لأستعين بهما على مواجهة الحياة أو كما تقول أنت مواجهة الواقع ·

ولم تستطع أمينة مواجهة نظرة نذير لها ، هذه النظرة الطويلة المركزة عليها بمزيج من الحب والدهشة والاكتشاف · شعرت بالدماء تصعد الى وجهها ،نظرت خلال نافذة المترو ، الى لاشىء ، وعندما جاءت محطتها سألها نذير اذا كان ليس لديها شىء وقت العصر فسينتظرها فى المقهى الذى اعتادا اللقاء به وهزت رأسها موافقة وهى تقول انها ستذهب اليه ·

❁

« كرهت هذا اللون الرمادى للأيام · كرهت جو هذه البلاد · كرهت الأشجار المتشابكة بفروعها الجافة والطرقات الخالية بعد الساعة السادسة مساء · كرهت الليل الطويل الموحش · شهران

٠٠ وفجأة شعرت كأنى تركت بلدى منذ ســـنتين ٠ افتقدت البيت القديم وجدرانه التى كانت تخنقنى ٠

افتقدت صـــوت أمى وعمتى وهما تتناقشان فى تمثيليات التليفزيون كأنها أحداث عالمية ٠افتقدت ازدحام الناس فى الطرقات ٠٠ افتقدت ٠ وافتقدت ٠ وما أصـــعب الافتقاد ٠ افتقدت حبيبى وأيامنا الأولى معا ٠ كنت ٠ وكان ٠ وهذه الأشياء ٠ الأمل ٠٠ الفرحة بالاكتشاف ٠ الحلم الوحشى بالصحبة الدائمة ،ربما حسدت نفسى وقتها للضـــحكات الدائمة والفرحة النابعة من الأعماق ، وقلت : ماذا قلت وقتها ٠٠ آه من الافتقاد ٠

من الصعب ان يظن الانسان أنه مصحوب بنحس خفى ، من الصعب أن يحب ولا يرد حبه ، من الصعب أن يعطى دائما ٠ ويأخذ نادرا ، من الصعب أن يهمل من الذين يهتم بهم ، من الصعب أن يظن أنه لا يوجد من يستحق الحياة من أجله ، من الصعب أن يقف الانسان فى العالم وحده ٠

وجدت أمينه « نذير » جالسا يقرأ فى كتاب · جلست امامه فالتفت اليها كأنه فوجىء بها ولم يكن ينتظرها من ساعتين · وقال : « حسبتك لن تأتى » ·

ابتسمت ، وطلبت قهوة ، وطلب معها للمرة الثالثة قهوة ، شعرت أمينة لأول مرة وهى معه أنها ربما لا تستطيع أن تتحدث فى أى شىء ، ولاحظ صمتها ·

قال : أمينة ·· هل لك صديق فى بلدك ؟ ·· أعنى حبيبا ·

وأجابت أمينة بالايجاب · وهى لا تدرى هل لتنفى عن نفسها اكتشاف نذير فى الصباح أنها تميل اليه أو تحبه ، أو لأنها تريد أن تبدو قوية أمامه ولو بحكاية وهمية ، أو حكاية انتهت · أو حكاية لا تدرى ماذا تخبىء لها من أحداث ·

سألها : ستتزوجينه ؟

ــ لا أدرى ، ولا أدرى اذا كنت مازلت أحبه أم لا ·

ــ وهو ؟

ــ نفس الشىء ، نفس الشعور ·

ــ هذه ليست علاقة حب ياعزيزتى ·

قالت أمينة : حياتنا تسيبت ، تعيعت فى هذه السنوات ، أثرت الحالة العامة على حياتنا الخاصـــة · فى العمل · فى العلاقات الانسانية · كثير من الموظفين والعمال عندنا وجدوا أنفسهم فى حالة لا عمل · ولا بطالة · وكثير من العلاقات الخاصة متميعة · ليست حبا حقيقيا ولا صحبة حقيقية ، وأصبح الكثيرون لا يجدون معنى لحيـاتهم أو هدفا لها ، الضـــغط الذى حولنا يرتكز على نفوسنا ، يؤثر علينا وعلى علاقاتنا العامة والخاصـــة ، وأحيانا نشعر بالاستسلام الرائع لماهو كائن بفكرة أن ما هو كائن أحســن مما سيكون · لأن فكرة الغد الأحسن قد ضللتنا ·

قال : برافو ، هل تريديننى ان أصفق لك على هذه السلبية والاستسلام وهذه المحاضرة الانهزامية ·

– نذير لا تستعمل هذه الالفاظ الثقيلة ·

– وهل الالفاظ التى تستعملينها انت لطيفة وخفيفة · ما هذا الكلام ؟

– هو حقيقة ·

قال : حقيقة الظـروف العامة التى تعيش فيها بلادنا تؤثر علينا · لكن ليس معنى هذا ان نضيع حياتنا الخاصة أيضا ، انت نفسك قلت لى يوما أن الحياة تسير عادية · ولابد أن تسير عادية أو بمعنى طبيعية لكن أحيانا نبحث عن أشياء نعلق عليها فشلنا ·

نظرت اليه أمينة غاضبة ·

قال : اسف ، لا أعنيك أنت بالذات

– تقصد نفسك أيضا ·

التفت نذير الى الرجل الذى وقف بجانب منضدتهما · وقام مرحبا به · قال الرجل انه من يومين يبحث عنه · وقدم نذير صديقه السورى الى أمينة · وسأله أن يشاركهما جلستهما · فاعتذر وقال انه متعجل وكان يبحث عنه ليدعوه الى حفل زفافه غدا ، وقال انه

يسعده أن تشرف الحفلة الزميلة المصرية ·· وألح فى دعوتها ثم تركهما · وسألت أمينة مبتسمة « هل سيتزوج منهذه البلاد ؟ »

قال نذير : لا ·· فتاة عربية · كويتية · الملعون لم يخبرنى كيف تغلب على المشاكل التى واجهت زواجه من حبيبته · فعندما أرسلت الفتاة لأهلها تخبرهم بحبها للسورى وأنه يريد أن يتزوجها ركب والداها الطائرة فى اليوم التالى وجاءا ليأخذاها الى بلدها · فزواج الكويتية بغير كويتى ليس فى تقـــاليدهم · واجهت الفتاة والديها بالثورة والعناد · مرة · وبالتفاهم · مرة · وبالتهـــديد بالانتحار مرة ·· اذا هما حاولا عرقلة هذا الزواج بطرق رسمية · وســـألت أباها لماذا هو تزوج من أمها اللبنانية · وبكت أمهـــا واستحلفت أباها أن يترك ابنتهما تختار من تحب كما اختارته هى ·

وربما ذكريات الأب لحب زوجته جعلته يلين ، لكنه أرســل لها يؤكد عدم موافقتـــه على هذا الزواج · فلا أدرى ماذا فعل صديقى ·

جاءت الدموع الى عينى أمينة · حاولت أن تبتلعها بلا فائدة فاستأذنت « نذير » وقامت الى دورة المياة فى المقهى · أصبحت مثل هذه القصص الحقيقية للحب فى الحياة تؤثر فيها بخليط من الفرح والحزن والدهشـــة والاعجاب والغيرة ، حتى انها أحيانا لا تستطيع أن تمنع دموعها كما حدث لها عند سماع هذه القصة · فهى لم تجد فى حياتها حبا حقيقيا يتمسك به الطرف الآخر كما تتمسك هى به فى رغبة لحياة مشتركة ، اللهم الا قصة حبها الأولى التى ماتت بموت حبيبها ·

وكانت أحيانا تقول أن مثل هذه القصص الحقيقية بدأت تندثر وتتلاشى منذ أواخر الستينيات فى هذا القرن العشرين ، عندما بدأت المادة وسهولة الوقوع فى الحب يسيطران على العلاقات هذا علاوة على تميع العلاقات الخاصـــة متأثرة بتميع الحالة العامة واستهتار الناس بالعواطف والثورة الفكرية والجنسية التى قامت بها جماعة « الهيبيز » ·

في الطريق الخالى تقريبا ، ســـارت أمينة بجوار نذير وقد انتعشت قليلا بعد أن غسلت وجهها أو على الأصح دموعها · قالت كأنها تحدث نفسها :

— لابد أن هناك أشياء لا نستطيع أن نفهمها · أشياء وراء عالمنا المادى · مثلا هذا الشىء الذى يجعلك تختار مكانا ما من العالم وتلتقى بشخص آخر صدفة فى هذا المكان وتشعر شعورا معينا تجاه هذا الآخر ، ولا تدرى أن حياتك قد ارتبطت به ، هذا الذى حدث لصديقك وحبيبته ·

— تتحدثين عن القدر · أم الصدفة ؟

— الاثنان ·

— لا أحب أن أتحدث فى هذه الأشياء ·

— وماذا عن الظروف التى تصنع حياتنا ؟

— خـــرافة ·

— والظروف التى فوق ارادتنا ؟

— لا شىء فوق ارادتنا ·

— والحرب ·· ؟

— اننا نصنعها ·

— والنكسة ·· ؟

قال : لقد صنعناها أيضا ·

ساد الصمت بينهما · فى الطريق الخالى البارد ، لا أحد فى الطرقات الا القليل من المارة · نوافذ البيوت مضاءة · وأبوابها على الطرق مغلقة · نظرت أمينة الى البيوت ·

تساءلت — كيف يعيش هؤلاء الناس بعد السادسة مساء ؟ ماذا يفعلون بالليل الطويل فى بيوتهم ·

قال نذير وهو ينظر الى البيوت « تعود » ٠

قالت : يخيل الى أحيانا ونحن نسير فى الطرقات البعيدة عن وســـط المدينة بعد السادسة مســـاء أننا فى بلد أعلن فيه حظر التجول ٠

ضـــحك ٠٠

قالت : لا أظن أننى أستطيع أن أعيش هذه الحياة لمدة طويلة

قال : ماذا لو حتمت الظـــروف التى تحدثت عنها الآن أن تعيشى هنا لعدة سنوات ؟

وخفق قلب أمينة وهو يحوط كتفيها بذراعه عندما سألها هذا الســـؤال ٠ كأنها دعوة منه أن تبقى معه الى أن ينتهى من عمل الدكتوراه ٠ وكان ردها على سؤاله لا تدرى ٠ سارا صـــامتين وشعرت أمينة بخفة ، فقفزت تمسك بفرع شجرة ، وشـــعرت أن الطرقات الخالية ملكهما ، جرت وهى تقول شعورها هذا ٠ كما يجرى الصـــبية فى لعبة « الحجلة » ولما وجدته يجرى وراءها ، جرت بخطوات عادية الى أن لحق بها ، أمسك بها فوقفت أحاطها بذراعيه ونظر اليها ٠

قال : مثل فتاة العشرين وأنت تمرحين ٠

قالت : هل تعرف حقيقة عمرى ؟

قال : لا يهمنى أن أعرف ٠

قالت : أنا ٠٠

ولم تكمل كلماتها شفتيه اســـكتت كلمـــاتها ، خفق قلبها للمفاجأة : انزعجت لوجودهما فى طريق عام ، فرحت لمشـــاعره تجاهها ، ولم تدر كم مضى من الوقت وشفتاه تعانقان شفتيها ٠

●

« أصر نذير على أن أذهب معه الى حفلة زفاف صديقه مادام الرجل دعانى ، فى أحد الملاهى الليلية كنا ستة : العروسين ، صديقا آخر للعريس من العراق ومعه صديقته الأجنبية « نذير » ، وأنا . بالرغم من أننا نتحدث لغة واحدة بصرف النظر عن اختلاف لهجاتها ، الا انى شعرت للحظات بغربة بينهم ، حاولت أن أبعد هذا الشعور بفكرة : أحيانا فى بلدى وبين ناس أعرفهم جيدا أشعر بغربة . حاولت أن أبعد هذا الشعور بالاندماج مع أحاديثهم والتحدث مع الأجنبية بلغتها . ومشاركتهم الضحكات على مغامرة العروسين فى الصباح أثناء عقد قرانهما فى القنصلية السورية . وشاهدنا أول مشاجرة صغيرةبين العروسين ، وأظن أنها ليست صغيرة ، أظن أنه كان لها مقدمات قبل ارتباطهما ، وأظن أنها ستظل فترة تقلقهما ، وظهرت أمامنا عندما سألهما الصديق العراقى الذى أراه لأول مرة عن مشاريع المستقبل .

قال العريس : سنبقى هنا الى أن نقدم أبحاث رسائلنا ، ونأخذ الدكتوراه .. ثم ..

قالت العروس مبتسمة ومعترضة : ثم .. ماذا ؟

قال العريس : ثم نذهب الى بلدى لنصنع بيتا وننجب طفلين.

قالت العروس : ولماذا لا نعيش فى بلدى ، فرصة العمل لنا هناك افضل والمرتبات أكبر . ولا تنس أن أبى اشترط أن نعيش هناك .

قال الصديق الذى أثار المناقشة :

– سنشهد أول مشاجرة زوجية .

وسألته صديقته الأجنبية أن يشرح لها الموضوع ، ولما شرحه .

قالت : لا تهم البلد . أو الأرض . المهم أن اثنين محبين يعيشان معا ءى أى مكان من العالم .

وفهمت أنها تعنى بكلامها صديقا فقال لها :

هذه قضيتهما الخاصة ، وهما يقرران أين يعيشان ٠

قال نذير موجها كلامه للرجلين :

ـ ستحدث قطعا مثل هذه الخلافات ، ولا تغضبا منى اذا قلت ان الرجل الشرقى بطبيعته يريد أن تتبعه زوجته الى أى مكان ، لان فى نفسه رواسب قرون وأجيال من استبداد الرجل وسيطرته والمرأة الشرقية أيضا تسيطر عليها الروابط العائلية فلا تحب أن تعيش على أرض محايدة ٠

ـ ثم التفت الى وسألنى : أليس كذلك يا أمينة ؟

نظرت اليه ، هززت كتفى ، فسؤاله لا أعرف له ردا ، وارتبكت قليلا عندما دارت نظراتهم بينه وبينى ٠

قال العريس : فكرة الهجرة صعبة ٠ ليس كل فرد مستعدا لها ٠ فلابد من تمرين طويل وشاق للنفس حتى يشعر المهاجر أن الأرض التى يعيش عليها هى أرضه والناس المختلفين عنه باللغة والعادات والديانة هم ناســـه ، وانه لا يتبع القوانين تبعا لنظام الوطن ٠ كثيرون لديهم هذا الاستعداد النفسى ، وكثيرون أيضا لا يستطيعونه فيعيشون على الأرض الجديدة بفكرة أن حياتهم عليها مؤقتة ٠ فلا يكونون مهاجرين تماماولا مواطنين تماما ٠

قال العراقى :من الصعب أن يعيش الانسان بصورة دائمة على ارض غير أرضه وفى رأسه انها حياة مؤقتة ، فلا يستطيع ان يبنى حياة مستقرة على هذه الأرض ٠ وربما تجرفه السنون وهو لا يستطيع العودة الى أرض وطنه لأنه يكون قد تعود على الحياة والدخل من الأرض الجديدة ٠ وفى رأسه فكرة أن حياته على هذه الأرض مؤقتة ولابد أن يعود ٠ وهكذا يدور فى طاحونة مهلكة ٠

ولا أدرى لماذا قلت : « أليست حياتنا على أى أرض حياة مؤقتة ؟! » ٠

فقال نذير وهو يترك مقعده : تعالى ياعزيزتى نرقص قبل أن تهاجمك بعض الهواجس ، وليس من المعقول أن يمضى العروسان ليلتهما الأولى فى مشاجرة ٠

بكل اللغات العالمية تقريبا كان المغنون فى الفرقة الموسيقية يقولون أغانيهم ، وأحيانا الأغنية يغنونها بعدة لغات ، وكنت أريد أن يحيطنى نذير بذراعيه ، وأن أضع رأسى المثقل بالهواجس على صدره · « ذراعاك سياج أمانى ، وصدرك بيتى ، وشفتاك » ·· نظرت اليه ولم يدعنى أكمل حديثى مع نفسى قبلنى ··

قلت هامسة وأنا أبعد شفتى عن شفتيه ألا يقبلنى أمام أحد ·

قال : أريد أن يعرف العالم كله أنى أحبك ·

الكلمة فى هذا الجو الساحر حلوة ، أحبك ، لا أريدها أن تضللنى · لاأريد أن أضلل بها · أرهقتنى الكلمة فى سنين حياتى المتفتحة ، واليائسة ، والمعبقة بالأمل ، ومع ذلك هناك شعور فى داخلى يقول اننى مقبلة على تغيرات عميقة فى حياتى ، الشعور لا أريده أن يضللنى ، ولا أريد أن أضلل به ، أرهقنى هذا الشعور سنين طويلة ،وانتظرت تحقيقه دائما ، ولم يتعد كونه شعورا داخليا ·· ومع ذلك هناك خفقة من قلبى ساخنة ، الخفقة الساخنة ، لا أريدها أن تضللنى · ولا أريد أن أضلل بها ، أرهقتنى هذه الخفقة سنين طويلة ، فى زياراتها المتقطعة · على فترات بعيدة ومتقطعة ، ومع ذلك فى داخلى حنين لها ، منقذتى من وحدتى وغربتى وعذابات السنين الماضية ··

ارتفع صوت المغنى « مرحبا بك فى قلبى » · التقت نظراتى بنظرات نذير · كأن كلا منا يقول للآخر · مرحبا بك فى قلبى · أننا نعيش على الأمل مهما حدث لنا ، حتى وان أصبح الأمل أحد مستحيلات الحياة ، أرحب بك فى قلبى بالرغم من خوفى من الكلمة والشعور · والخفقة الساخنة والأمل ·

ونحن نترك المكان · كانت كلمات أغنية بالفرنسية تأتى الى آذاننا مع صدى مكبرات الصوت · « الحياة كانت جميلة ، عندما كنت بجانبك كل يوم » · كل رجل ساعد رفيقته على ارتداء معطفها بجوار باب الملهى ، هزتنى مشاعر مبهمة ونحن خارجون · كل منا لف حوله معطفه وغطاء رأسه وصمته ، وكلمات الأغنية تبتعد مثل

صدى « اليوم كل شيء انتهى ولم تعد الحياة جميلة لأنى لست معك » · سلمنا على العروسين ، وكل اثنين من مجموعتنا الصغيرة ذهبا فى اتجاه · وضع نذير ذراعه حول كتفى وهو يغنى لحن الأغنية الأخيرة · « الحياة جميلة وأنا بجانبك كل يوم » ·

قلت : الأغنية تقول ، الحيـــاة كانت جميلة · عندما كنت بجانبك كل يوم ·

قال : لكن الآن الحياة جميلة · لأنى مازلت بجانبك كل يوم · أمينة أبقى معى لنتزوج ، أبقى معى ·

مرت فترة صمت الى أن وصلنا الى موقف سيارات الأجرة ، ولم تكن هناك سيارة منتظرة ولا أحد ينتظر غيرنا · قلت الجو بارد فاحتضننى خبأت وجهى فى صدره ، وأعتقد أنه هو أيضـــا كان مغمضا عينيه ، فبعد لحظات سمعنا صوت نفير سيارة أجرة تقف بجانبنا التفتنا اليها ، وابتسم السائق وهو يقول « تاكسى » ·

جلسنا ملتصقين فى السيارة ، رأسى على صدره ، رأســـه على رأسى · هل جو المكان والأنغام العذبة جعلاه يقول لى ، أحبك ·· وحركت مشاعره الصحبة الدائمة لاثنين محبين فى صـــورة صـــديقه وحبيبته فسألنى الزواج ؟! هل انتشى بالخمر فقال هذه المشاعر والتصريحات ، وعندما يفيق فى الصباح سينسى · عندما يفيق الى نفسه يؤنبها ويختفى وينسى ؟! سأسأله فى الصباح عن هذه الكلمات والمشاعر ، شعرت بشفتيه تغوصان فى شعرى ·· رفعت وجهى لتلتقى شفتاى بهما ·

سألنى ، فى أى شيء كنت تفكرين ؟

ـ فى البقاء معك ·

وزادت قوة الاحتضان ·

كان يوما من هذه الأيام النادرة الدافئة فى هذه البلاد ، جاء عفوا ، أو جاء خطأ . تخففت الناس من ملابسها الثقيلة وجلسوا فى المقاهى المكشوفة ، فرحين بدفء يوم وسط شهور الشتاء الباردة .. وكان للجو الدافىء تأثير جميل على أمينة . فهذا هو شتاء بلدها فى أيامه المشـــمسة . أخذت نفسا عميقا وأرادت أن تغنى وتقول لثنائيات المحبين انها أيضـــا تنتظر حبيبها ، وتعجبت من نفسها هل هو حقيقة حبيبها ! فهى بالرغم من اســـتمتاعها بهذا الشعور وهذا الاهتمام العاطفى والفكرى من نذير الا أنها كثيرا ما تشك بحقيقة هذه العاطفة على الأقل منناحيتها . لأنها وحيدة فى مدينة غريبة ويمكن الخلط فى المشاعر ، وأحيانا لا يهمها هذا الخلط فى المشاعر .

وفى هذا الجو الدافىء ومرح الناس فى المقهى الذى تجلس فيه أو خارجه ، نظرت أمينة الى كل شىء حولها نظرة مختلفة تماما عن نظرتها الأولى لهذه البلاد ، نظرت للناس باحتواء عجيب ، وجاءها هذا الشعور النادر الذى تشعر به من وقت لآخر فى حياتها ، وهو أنها قوية . وفكرت لماذا تشعر بقوة هذه الأيام ؟

هل لأن انسانا يحبها لدرجة أنه سألها الزواج ؟ هل لاختلاطها بفتيات ونساء هذه البلاد ورؤية اعتمادهن على أنفســـهن وعدم خوفهن من شىء ومن المستقبل ؟! هل القوة شعور معد ؟

لا شك أن الفرد عندما يعيش مطمئنا أن السقف الذى فوق رأسه لن يقع فوقه بالمعنى المادى والمعنوى . لاشك أنه سيتصرف فى يومه بتعقل وسيفكر لمشاريع مستقبله بلا خوف .. وبالرغم من حريات الشباب فى هذه البلاد الآن أغلبية علاقات الحب الحقيقى فيها التزام . فالفتاة عندما تختار رفيق حياتها فهى تختاره بحرية كاملة واقتناع . لا بسبب انها لا تستطيع أن يكون لها بيت وحدها .. أو انها تبحث عن رجل يعولها .

كانت أمينة مسترسلة فى تأملها عندما جاء نذير وتأسف لها عن تأخره فقالت له أنها كانت تتسلى بمراقبة الناس وحياتهم فى هذه البلاد .

قال : أنا أيضـــا كنت أراقب نفسى وأنا فى طريقى اليك ، لم أكن أتصور أن بعد سنوات طويلة ستعود الى مثل هذه العاطفة التى أشعر بها نحوك · بهذه الصورة التى لم أشعر بها من زمن ، فكرت، هل هى بقايا مراهقة قديمة ، أم هذه العاطفة هى انعاشة أو انتفاضة لشرقيتى ؟!

سألته أمينة ماذا يعنى بجملته الأخيرة ·

قال : أقصد ، أننى نسيت معنى الحب بالصورة التى أحبك بها ·

ــ هل حقيقة تحبنى ؟

ــ لا تظنى أنى أبحث عن مغامرة مختلفة معك · ربما أنا أيضا أفكر بهذه الطريقة عنك · وهل أسألك الزواج اذا كنت أبحث عن مغامرة ؟!

سألت : وصديقتك ؟

ــانتهيت معها تقريبا من هذا الموضوع ·

ــ ماذا تعنى ·· تقريبا ··

ــ يعنى قلت لها انى لا أستطيع الزواج لأننا مختلفان فى أشياء كثيرة ·

نظرت أمينة خلال الزجاج فى المقهى الى الخارج ·· الى لا شىء ، شعرت بغصة تعتصر قلبها وهى تتذكر كلمات حبيبها · انهما مختلفان ولا يستطيع الزواج ·· تذكرت دموعها وغصة قلبها وآلامها · شعرت بآلام الفتاة التى اعتذر لها نذير عن الزواج ، لابد انها تحبه حقيقة فالفتاة فى هذه البلاد لا تتزوج بضغوط مجتمعها أوحالتها الاقتصادية جاءت دموع الى عينيها ، فأمسك نذير بيدها ·

قال : أمينة ·· أنا لم أكذب عليها يوما ، لم أخطىء فى حقها وقد تعاهدنا أول معرفتنا وحبنا أن نكون صادقين وعندما ينتهى الحب بيننا أو من طرف أحدنا فليصـــارح الآخر ولتنتهى العلاقة الحميمة بيننا ونكون صديقين ·

ابتسمت أمينة خلال دموعها ٠٠ صديقان ٠٠ تماما كما قال لها حبيبها ، ولم تستطع الاستمرار فى لعبة الصداقة الجديدة وكان قرارها بالابتعاد ، فهل الفتاة فى هذه البلاد تحتمل فكرة الصـداقة بعد علاقة حب حميمة ؟! أم الانسان هو الانسان بعواطفه ومشاعره فى كل مكان ؟! ٠٠ ولم تستطع أن تسأل « نذير » هذه الأسئلة ، لم ترد أن تسأل فتضطر أن تحكى عن حبيبها هذا الذى قررت أن تنساه فى هذه البلاد ٠ واعتبر نذير دموعها نوعا من الحساسية النادرة المرهفة التى يتحلى بها بعض الناس ٠ وشعر بعاطفة قوية نحوها فقبل يدها عدة مرات ٠

وقال : أمينة ٠٠ فكرى ٠٠ لن أضايقك بسؤالى مرة أخرى ٠ لن أضايقك بأى شىء ، يهمنى أن تبقى علاقتنا هكذا ٠ هادئة حتى تفكرى بهدوء وتختبرى عواطفك ، اذا كنت تريدين الارتباط بى كما أريده بكل أحلامى ٠

خفق قلب أمينة لصـــدق كلماته ، لكنها لم ترد ٠ مرت فترة صمت بينهما ثم سألها : « هل أرسلت لصـــاحبك فى القاهرة أو أرسل لك » ؟ تعجبت من سؤاله المفاجىء وهزت رأسها ٠٠ لا ٠٠ فابتسم بشىء من الفرح وقال : « ستفكرين بهدوء » ٠

●

وفكرت أمينة ٠٠ أليست هى ، ونذير أبناء أمة واحدة كبيرة يعملون على ترابطها ؟! أليســـت الأرض العربية واحدة ٠ فماذا يضيرها اذا هى عاشت على أرض بلده وماذا يضيره اذا عاش على أرض بلدها ؟ فكرت ٠٠ لماذا لا تتزوجه فهل كل يوم ستجد انسانا يحبها هكذا ويطلبها للزواج ،وفى هذا العمر وهى على مشارف الأربعين ؟! لكن هل هى تحبه حقيقة ؟! لابد أنها تحبه ، لماذا تهتم به ، وتعتنى به ، ويخفق قلبها له ، وتشعر بحزن اذا غاب عنها ، وتألمت عندما عرفت أن أخرى تحبه وتريده ، أليست كل هذه المشاعر تعبر عن حبها له ؟!

فكرت أمينة فى كلماته اذا هى وافقت على طلبه ، أن تبقى معه فى هذه البلاد لمدة سنة أو سنتين الى أن ينتهى من عمل رسالته ، ويمكنها فى هذا الوقت أن تعمل فى مصنع العرائس فهم يريدونها هناك ، ويمكنها أيضا اذا أرادت أن تعمل رسالة علمية فى تخصصها الاجتماعى ٠٠ ووعدها نذير أنه سيسأل اذا كان يمكن أن تقدم هذه الرســـالة فى الجامعة الملتحق بها ٠ وبعد السنتين يقرران اذا كانا سيعيشان فى بلدها أو فى بلده حسب الامكانيات العملية ، وقد لاحظت أمينة أثناء تفكيرها أن « نذير » يفضل أن يعيش على أرض بلده ٠ كما قال فى حفلة زفاف صديقه ، أن الرجل الشرقى يحب أن تتبعه زوجته حيث يعيش ويعمل ، وان كان لم يفصح عن رغبته هذه مباشرة ٠

فكرت أمينة فى بلدها ، تذكرت تلك الأيام البعيدة فى فترة أول الشباب ٠ واستكشاف أماكن اللقاء ٠ وحب الأماكن القديمة الحديثة فى الاكتشاف ٠ حتى أصبحت تثيرها تلك الأماكن أكثر من رؤية وجوه من اكتشفتها معهم ، « اننا كثيرا ما يثيرنا الحنين الى تلك الأماكن فنذهب لزيارتها ٠ لا لنسترجع ذكرياتنا فيها ٠ لكن لأنها تثير حنيننا أكثر من ذكرياتنا » ٠

وشعرت أمينة بحب لبلدها وافتقاد ، فهى تحب الأماكن التى جمعتها مع أحبابها وحفرت عليها ذكرياتها مهما كانت ذكرياتها ٠ شعرت بحب لمدينتها وافتقاد لطرقاتها الكبيرة المزدحمة وان كانت تسبب لها أحيانا انهيارا بضجتها وعدم نظافتها ٠ شعرت بحب لأصـدقائها وصـــديقاتها الذين جمعتهم سنين طويلة فى ظروف مختلفة ، جمعتهم ضحكات ٠ وعذابات ٠ فهل يمكن أن تبتعد عن كل شىء ؟ لقد اشتاقت الى تغيير حياتها ، وهاهى فرصة عظيمة تأتيها لتحقيق هذا التغيير ٠٠ لماذا ٠٠ لا ٠٠ ؟! لكنها لم تحلم بهذا التغيير الذى يقتلعها من جذورها ٠

فى نفس اليوم اســـتلمت خطابا من العمة ٠ أخبرتها عن أحوالهم فى البيت بعد أن حضرت الأمريكية خطيبة أخيها ، وهى فتاة لطيفة احضرت معها بعض الأشياء الأمريكية الصنع لتزين بها حجرتها والبيت ، وهى تتصرف ببساطة والأخوة والأخوات يرسلون أبناءهم وبنـــاتهم من حين لآخر ليتمرنوا على اللغة الانجـليزية بالتحدث مع الأمريكية ، وقالت العمة انها ستفسد لغتهم السليمة بطريقتها فى مط الكلمات ، حتى أن العمة أحيانا تعتقد انها «تنونو» مثل قطة ، والكل فرح بهذا الحدث الجديد الذى وقع فى البيت العتيق ٠ وان كانت العمة قد رأت حلما أن هذه الزيجة لن تستمر ، وحدثتهاعن اخواتها واخوتها ، يسألونها لماذا لم ترســـل لهم فى الفترة الأخيرة ، وأخيرا تساءلت العمة اذا كانت أمينة نسيتهم أم أنها مشغولة بالحياة الجديدة ، وترجو الاطمئنان ٠

ولم تطمئن أمينة الى هذا الخطاب ، فالحدث الجديد الذى حدث فى بيتهم أقلقها ، وكيف ستتعايش مع هذه الأمريكية اذا هى عادت واستمرت الأمريكية فى البيت ؟! وشعرت أمينة بضيق ٠٠ هذا الضيق الذى كانت تشعر به بين جدران البيت القديم ، وأجلت عدم موافقتها على الزواج من نذير لتفكر بهدوء أكثر ، ولتعرف أحوال البيت أكثر ٠

وبدأ هذا الحزن الكامن فى داخلها يتحرك ٠وأصبحت صامتة معظم الأوقات ، حائرة فى طريق حياتها ، وماذا تختار ؟ ولماذا توضع أمام اختيارات صعبة فى الحياة فهى تعجب بنذير وصحبته وتحبه أحيانا ٠ لكن فى داخل أعماقها تشعر أنه ليس رجلها الذى تتمنى أن تمضى الحياة برفقته ، فى داخل أعماقها ترفض أن تقتلع من جذورها وتعيش فى بلد غريب لمدة سنوات ثم فى بلد غريب

آخر وان كانت أرضه عربية ، فى داخل أعماقها تحب بلدها وناسها، لكنها تشعر أنه ليس لها مكان فيها أو بين ناســـها ، فى داخل أعماقها تشعر أنهم فى عملها ليسوا فى حاجة قوية الى بعثتها هذه، فى داخل أعماقها تشعر بحنين لحبيبها المصرى كجزء من حنينها الى بلدها وأرضها . ولأول مرة فى حياتها تفهم ماذا تعنى كلمة انتماء ، وسألت نفسها كثيرا فى صمتها هل الانتماء بالأرض أم بالناس على هذه الأرض ؟ وهل هى اذا كانت تحب « نذير » حبا حقيقيا بكل معانيه هل كانت لا تفكر فى الأرض والبلد لأن الانتماء بالحب والعلاقات الانسانية ؟! حائرة .. حائرة فيما تحمله معانى الكلمة الكبيرة « الانتماء » .

●

وفى يوم أخرجتها عفاف زميلتها المصـــرية فى المنزل من صمتها ، أولا حكت لها عن قصة حبها لزميلهم المصـــرى أحمد ، واتفاقهمـــا على الزواج عند عودتهما الى القاهرة · فرحت أمينة بقصة الحب وشعرت بغيرة ، وزاد تحرك الحزن فى داخلها · لماذا لم تلتق هى الأخرى بمصرى ويحبها مثل حب نذير لها ويسألها الزواج ؟! وتشعر بهذا الفرح للمستقبل كما تشعر به عفاف ، لماذا قدرها يعاندها هكذا كأنه عدو لها · كثيرا ما تفكر أمينة بايمان أن قدرها لابد أن يصالحها يوما ويعوضها كل حرمان السنين · فلا تقلق من حاضرها ولا تنزعج من عمرها الذى يضيع ، فهناك غد أحسن تأخر قليلا لكنه فى الطريق اليها ·

وأحيانا تفكر أن هذا هو قدرها ولن ينصلح أو يصالحها ، فتدعو السماء أن تساعدها على تحمله · ثم تبكى وتدعو أن يتغير قدرها العنيد ويصالحها ·

وسألتها عفاف أن تحدثها عن صديقها السورى ، فابتسمت أمينة · لم تتعجب فالجميع يلاحظون أنهما دائما معا · وكانت أمينة تريد حقيقة أن تتحدث عن نذير فمنذ معرفتها به وهى تتحدث معه وكانت فى حاجة شديدة أن تتحدث عنه لتختبر مدى علاقتها وتعلقها به وقد وجدت لدهشتها وهى تحكى عنه أنها تحبه ·

صمتت عفاف قليلا وسألتها : طلبك للزواج ؟

هزت أمينة رأسها · نعم ·

ــ وافقت ؟

قالت أمينة : لم أرد عليه الآن ·· لكنى أميل للموافقة ·

ــ فكرى ياأمينة فهذا قرار صعب ·

ــ أعـــرف ··

سألتها عفاف : مارست الحب معه ؟

ــ لا ··

ــ لا تشعرين برغبة معه ؟

ــ ليس تماما ·· الحقيقة لا أدرى ·

قالت عفاف : أنا لا أتصور أن أمارس الحب مع رجل غير مصرى فهل هذا شعورك ؟

ابتسمت أمينة وهى تقول انها لا تدرى ، ولغرابة المشـاعر الانسانية أنها فى هذه اللحظة بالذات تذكرت حبيبها ، فهى لأول مرة فى حياتها تشعر أن هذا الرجل كان بالحقيقة وليس بالخيال رجلها عرفت معه لماذا تقول امرأة عن رجل بالذات انه رجلها ·

عرفت أن هذا المعنى ليس مجرد كلمة ليس لمجرد رجل تمارس معه الحب فيكون رجلها ·

ليس لمجرد أنه اختارها بعقد يربطهما ، انه شعور عرفته فقط مع حبيبها · لقد ظنت يوما أنها لن تلتقى فى حياتها بهذا الانسان الذى يعطيها كل هذه المشاعر التى قالت عنها يوما صديقة لها ، انها مشاعر تقربك من السماء حتى يكاد الانسان يشـــعر أنه فى الجنة ، وقد التقت بهذا الانسان وشـــعرت حقيقة أنها قريبة من السماء ، حتى أنها وجدت نفسها يوما وفى مثل هذا الموقف المادى فى ممارسة الحب أنها تذكر الله ، وتدعو السماء أن تحفظ لها هذا

الشعور وتبقى لها هذاالانسـان الذى يعطيها المشـاعر الجميلة والصحبة الحلوة وأيضا يجعلها تصل الى السماء وتنعم بالجنة ٠ وقد قال لها حبيبها مثل هذه المشاعر التى شعرت بها معه ٠ هو صاحب التجارب العديدة !

قالت أمينة لعفاف انها لن تفكر فى الزواج الآن من نذير لأنها من ناحية لا تعرفه جيدا ومن ناحية أخرى لا تحبه بما فيه الكفاية ، ربما لذلك لم تشعر برغبة فى ممارسة الحب معه ، وحدثتها أيضا بايجاز بسيط عن حياتها السابقة فى بلدها ، عن الزوج الذى مات ، والخطيب الذى هاجر والحبيب الذى هرب من الزواج فهربت منه ومن كل شىء الى هذه البلاد ٠

وقد تأثرت عفاف ٠

وبالرغم من أنها تصغر أمينة بعشر سنوات الا أنها شعرت بتقارب معها ، وشعرت أنها فى فترة صعبة من حياتها وقررت الا تتركها كثيرا وحدها ، حتى لا تقرر فى غمرة وحدة أويأس أن تقترن بشخص مختلف عنهم ، ولا تحبه بما فيه الكفاية كما قالت لها أمينة ٠

قالت عفاف : لماذا لا تشتركين معنا فى جلساتنا وسهراتنا فى حجرة المكتبة ، كثيرا ما يحضـر تونى الافريقى تسـجيلات لموسيقى راقصة ونسـتمع أو نرقص ، كثيرا ما تجمعنا احاديث شيقة ، مع اخواننا العرب والافريقيين ، أقول لك ، لقد لاحظنا منذ حضورك أنك تتجنبيننا ٠ قال فايز زميلنا المصرى انك لابد متعجرفة وقال أحمد انك متكبرة علينا لأنك لا تدرسـين مثلنا بل تقومين بتدريبات عملية ، ولاحظنا ارتباطك بالسورى وقلنا انه جذبك بعيدا عنا لأنه هو أيضا لا يختلط بنا ٠ أقول لك صراحة ٠ اننا نستثقل دمه ٠٠ أمينة ٠٠ اننا أبناء بلد واحد ولابد أن نكون مثل اخوة وأخوات فى غربتنا ٠ فكرى ٠ لماذ؛ لا تشتركين معنا ٠

ابتسمت أمينة لكل هذه المعلومات ، لقد كانت بعيدة فعلا عنهم وحسـبت أن أحدا لا يلتفت اليها ، وأن كل فرد فى حاله ٠ وقد

شعرت بالفة مع عفاف ووعدتها أن تشـــترك معهم فى ســـهراتهم وجلساتهم ، وفرحت فى أعماقها لقرارها هذا ، فهى ستفكر فى نذير بعيداً عن ضغوط وحدتها وقلقها ، وستختبر عواطفها نحوه ٠ اذا كانت منجذبة له بدافع غربتها ووحدتها أم انها حقيقة تحبه ٠

وكانت أمينة فى الشهر الأخير غير مهتمة بمصنع العرائس مما اثار قلق صديقتها مديرته ، وقررت أيضا أن تذهب بانتظام وتأخذ أمر التدريب والمعرفة بأكثر جدية سواء استعانوا بخبرتها فى بلدها أم لا ٠٠ المهم أن تستفيد من تجربة سفرها ، وان كانت نتيجتها مجرد معرفتها بهذه البلاد وناســـها ٠ ولاحظ نذير هذه التغيرات التى حدثت لأمينة ٠ ولم يبد ملاحظة فكان يشترك معهم أحيانا فى جلساتهم المسائية فى حجرة المكتبة والسامرة يستمعون الى أخبار بلادهم من الراديو ويتحدثون ٠ وكان يتركهم أحيـــانا ليعمل فى رسالته ٠ وقلت لقاءاته مع أمينة وحدهما ٠ وقد علل ذلك بشيئين ٠ اما أن تكون أمينة رفضته ولا تريد أن تجرح مشاعره لحساسيتها ، واما أنها تريدأن تفكر فى طلبه الزواج منها وهى فى حرية كاملة ، فهو يعلم أن مثل هذا الاختيار صعب بالنسبة لها خصوصا انها ليست صغيرة وقد كونت حياتها فى بلدها وكذلك كونت مركزها فى عملها ، ومع ذلك بدأ نذير يقلق ٠

●

الأشـــجار بدأت ألوانها الخضـــراء تظهر ، النهار بدأ يطول والليل يقصر ٠ والملابس خففنا من اثقالها على أجسادنا ٠ جاء الربيع الينا ٠ واحتفـــالا بقدوم ربيع أوروبا قرر طالبو العـــلم والمعرفة من سكان منزل المغتربين أن يقيموا حفلة فى حديقة المنزل ٠

بدأنا الحفلة فى ضـــوء النهار لنســتمتع بألوان الأشجار وشمس قبل الغروب الفاترة ٠ أحضـــر « تونى » أو « أنطوان » الافريقى شـــريطا تسجيليا وقال لنا أنه سيسمعنا ألحانا أوروبية أفريقية الأصل ٠ وقال أن أصل الرقصات الحديثة مستوحاة من ألحان أفريقية ٠ تقدم منى تونى وقال :

ـ اختى ابنة أفريقيا · هل ترقصين معى ؟

وقال نحن نرقص :

ـ اختى · أنت من الشمال · وأنا من الجنوب · أنت بيضاء وأنا أســـود · لكن أمنا واحدة · أفريقيا · أين تعلمت الرقص يا أختى ؟

ـ فى مصـــر ·

قال : وأنا صغير كنت أكره اللون الأبيض · كان يمثل لى الرجل الغريب المستعمر · وعندما نلنا أستقلالنا · وهذا لم يكن بسيطا وسهلا ، كانت مازالت عقدة اللون الأبيض فى نفسى ·· وعندما جاءت بعثات من شمال القارة لتعمر بلدنا · قالت أمى لا تكرههم يابنى فهؤلاء البيض من شمال أمنا الحنون أفريقيا · هم اخوتك وأخواتك ، وهم هنا ليساعدونا ، وليس ليستعمرونا · وهكذا بدأت بالتدريج أحبكم ·

غمرتنا الألحان الراقصة بينابيع من المرح والفرحة · كأننا ننفض عن انفسنا ذكريات الشتاء البارد · وكأنى أنفض عن نفسى كل الذكريات المرة · وتقدم منى نذير لنرقص · قال ونحن ندور مع اللحن :

ـ تونى يقول لك أختى · أنا أقول لك ابنة عمى · الســـنا أولاد عم · على الأخص فى المحنة !

قلت : هل سنفسد الحفلة بالحديث عن المحنة ؟!

ـ هى فى حياتنا وفى نفوسنا · أفســـدت ما فيه الكفاية · فلا يضير أن تفسد حفلة ·

لكنى لمأرد أن أفسد الحفلة · كنت فى حاجة الى جرعة مرح قوية فحولت الحديث الى شىء آخر · عندما بدأت السحب تخفى ضوء الشمس الباهت ، أشعلنا نارا تحت شجرة كبيرة ، وجاءت فرقة موسيقية من الشباب الأوروبى · اتفق معهم أحد النازلين فى المنزل · وكان ضمن الفرقة أفريقى أســود · تبادل الحـديث مع

« تونى » بلغة بلدهم • بعـــدها جلس • بجانبى وقال بشىء من الحـــزن :

ـ هذا واحد من اخواننا يا أختى • لا يريد أن يعود الى بيت أمه •• ويفضل أن يعيش فى طرقات أوروبا يغنى •

قلت : هو سفير لبلادد أيضا •

مصمص « تونى » شفتيه وقال :

ـ ترك دراسته هنا ، هل تدرى كم تكلف أهله لارساله الى بلاد العالم المتحضر ليتعلم ؟!

قلت : ربما يصبح مغنيا مشهورا يؤدى رسالة بأغانيه •

قال : خمس سنوات وهو يغنى فى الطرقات • لم يصبح مغنيا محترما • ربما أقنعه فى يوم من هذه الأيام أن يعود للدراسة أو يعود الى أمه • أمنا الحنون أفريقيا •

صمتنا قليلا لنستمع الى أغانى الفرقة الموسيقية •

قال تونى : هناك أمام بيتنا شجرة كبيرة عالية • قالت أمى لنا انها تريد أبناءها أن تكون جـذورهم فى ارضـــهم مثل هذه الشجرة • مهما ارتفع أحدهم لابد أن تكون جذوره فى الأرض •

وكان لجدى رأى : أن الزنوج لابد أن يعودوا الى أفريقيا ماداموا لم ينالوا حرية فى أمريكا • لكن يا أختى يخيل الى أن أعدادا هائلة من اخوانى الافريقيين قد سجنوا فى بلاد مثل أمريكا ولم يستطيعوا العودة • كأنهم نفوا هناك • منعوا من الخروج • أنا متعب من الشكوك فى رأسى •

قلت : لكنكم الآن يا اخى • تخرجون الى بلاد العالم بارادتكم وأظن انكم تعودون أيضا بارادتكم •

قال تونى : اننا نخرج جماعات لنتلقى العلم فى بلاد العالم المتحضر تجمعنا أحاديث المساء عن مستقبل أفريقيا • ونعود لنعطى ما تلقيناه من علم ومعرفة للجيل المقبل ، حتى لا يتحمل مشـــقة

السفر والاغتراب · نعود باحساس حقيقى أن ننهض بافريقيا ·· وأحيانا تبهرنا حضارة الغرب وأضواؤه فلا نعود الى بلادنا · لكن ما ذنب أمنا الحنون التى ترسلنا للخارج ؟ هل نخذلها ؟ هل نقول لها : بيتك قذر يا ماما · فلا نريد العودة ؟! أم نعود اليها بأحدث الطرق لتنظيف المنزل ؟! هل ترقصين يا أختى ··

وقمنا لنرقص ، فقد بدأت الرقصات مرة أخرى حول النار المشتعلة وأنغام الفرقة الموسيقية وغناء الافريقى المصاحب للفرقة وسألنى تونى :

ــ هل ستعودين الى أمنا الحنون يا أختى ؟

ــ نعم ·· طبعا ··

اقترب منى · أحاط خصرى بذراعه · قال : أنا أيضا سأعود ·· أوه أفريقيا ·· ودار بى مع اللحن وهو يردد · أوه أفريقيا ·· الى أن انتهى اللحن ·· أوه أفريقيا ·

وعندما اختفت الشمس كانت السحب القاتمة تملأ السماء ، وانصرفت الفرقة الموسيقية لتلحق بموعد آخر · وقال أحد الطلبة العرب لـ « تونى » : « هكذا تكون الحفـــلات · أن تحضر فرقة موسيقية وان كان لمدة ساعتين وليست مثل تلك الحفلات الصغيرة التى تقيمها لنا بتسجيلاتك القديمة وهذه العبارة التى تقولها كلما وجدت منا جمعا · سأحضر بيرة ونعمل حفلة » ·

ضحك تونى وهو يقول : ألم أخرجكم من صـــمتكم المميت أحيانا فى هذه الليالى الباردة الأوروبية ؟! وقال العربى للجميع بصوت مرتفع : « الأفضل أن نكمل حفلتنا فىحجرة المكتبة داخل المنزل · عندى لكم مفاجأة » · وصمت قليلا · والكل قد التفت اليه ليعرف المفاجأة · قال : « شريط تســـجيل لأحدث أغانى المطربة فيروز » · وهللنا للفكرة ·

جلس تونى بجانبى وسألنى :

ــ هل هذه مغنية من بلادكم ؟

ـ نعم ··

ـ خسارة ·· اننى لا أفهم العربية ·· لكن الصوت جميل · يمكننى أن أتأثر ·· ما اسم هذه المغنية يا أختى ··

ـ فيروز ··

سألنى : ماذا يعنى الاسم بالانجليزية ·

ـ تيركواز ··

قال تونى بفرحة : تيركواز ، هذا حجر كريم · أنا أحب هذه الدرجة من اللون الأزرق · ثم التفت للجميع وقال مهللا :

ـ ما رأيكم ·· سأحضر بيرة ونعمل حفلة لنســـتمع الى السيدة تيركواز وضحكنا ··

ـ تونى ·· اننا فعلا فى حفلة ··

ـ آه ·· نسيت ··

ثم قام وهو يقول : « على أية حال سأحضر بيرة مادمنا فى حفلة » · وخرج ·

صوت المطربة الشجى أشعل حماسة أبناء الدول العربية أو أثار أشجانهم وحنينهم لأوطانهم ودخلوا فى مناقشة · ثم مشاجرة ·· بدأت عندما قال « فايز المصرى · أن مصر مصدر الاشعاع للبلاد العربية والافريقية أيضا · فارتفع صـــوت أحد العراقيين متهكما وقال : « وتحطمت الطائرات عند الفجر » فقام أحمد منتفضا ، وقد احمرت وجنتاه منشدة الانفعال واقترب من العراقى وهو يقول : « لا تساعد الدعاية القذرة » ·

قال العـــراقى : « ألم تتحطم طائراتكم عند الفجـــر وكان الطيارون سكارى ؟! » ·

قال أحمد منفعلا : « كذب لم يكن أحد سكران · وهذا الكتاب الذى صدر ضمن مجموعة كتب قذرة ليحطم معنوياتنا ونفوسنا · ولابد أن تفهم أننا صامدون ومستعدون أيضا » ·

ابتسم العراقى وقال :« هل مازلتم فى مرحلة الصمود ؟ أم مرحلة الردع ؟ أم أية مرحلة تطلقون اسمها على عام ٧٣ هذا ٠ ؟!

وقام « فايز » ليمسك بأحمد الذى كان يهم بضرب العراقى وتدخل نذير مدافعا عن المصريين فاتهم العراقى السوريين بالتراخى والتخاذل وشتمه نذير وضاع صوت « فيروز » وسط زعيقهم ٠٠ وضاعت فرحة « تونى » بالبيرة التى أحضرها ٠

وفجأة لمعت السماء بضوء قوى ، ودوى صوت رعد مرعب ، وهطلت أمطار لم أرها من قبل ٠ صمت الجميع ٠ صمت أيضا صوت « فيروز » التسجيل انتهى أو توقف ٠ قمت مع آخرين الى النافذة ٠ وقفنا صامتين فى دهشة أمام تغيرات الطبيعة المفاجئة ٠

قال تونى ساخرا منا : « هذه الأمطار لا تساوى شيئا مقارنة بامطار أفريقيا ورعد سمائها » ثم تحدثوا جميعا عن الجو بنفس حماس حديثهم فى السـياسة ، وتعجبت وأنا أدور بنظراتى بين حماسة وجوههم ، وكل يحكى عن جو بلاده ٠ من لحظات فقط كنت أتوقع أن تحدث مشاجرة بالأيدى ربما شعر « تونى » بنفس شعورى فقال وهو يمصمص شفتيه أن العرب مثل الافريقيين قلوبهم طيبة ٠ لكنهم يتحمسون لدرجة الشجار من أجل مصلحة بلادهم ثم التفت الى وقال : « افتقدت أمنا الحنون يا أختى ٠٠ أوه ٠٠ أفريقيا » ٠

وبعد الحديث الحماسى عن الجو ساد الصمت بين الموجودين ٠٠ ربما من تعب الحفلة المبكرة ٠ أو من حماس الأحاديث ٠ بعضهم ترك المكان الى حجراتهم فى المنزل الكبير ٠ وبعضهم سحب كتابا أو مجلة من المكتبة فى الحجرة ٠

قال فايز بعد أن فتح كتابا ليقرأ :

– ايه بعد أن شاب شعرنا ، عدنا نعمل أبحاثا وندرس لغة أجنبية ٠

ضحك تونى وكان جالسا بجواره فقال له فايز :

ــ حتى عندما اتحدث بلغتنا تضحك ٠ماذا يضحك فى كلماتى هل فهمتها ؟

قال تونى : أحبك يا أخى ٠ وأعرف ان كل ما تقوله مسل ٠

قال فايز : افرض اننى كنت أقول أن أمى ماتت ٠ فهل فى هذا شىء مسل ؟!

قال تونى بجدية : أمك لن تموت أبدا ٠٠ أفريقيا لن تموت أبدا ٠٠

لكزه فايز وقال : يا أخى ٠٠ تعبت رأسنا بأمنا الحنون ٠

ضحك تونى : أوه ٠٠ أفريقيا ٠٠

قال فايز : أنت هنا وسط أوروبا ٠ أجمل البلاد وأجمـــل البنات ٠ ٠

قال تونى : لا يوجد أجمل من بلاد أفريقيا ولا أجمل من بنات أفريقيا ٠ هل ستبقى فى هذه البلاد يا أخى ٠

قال فايز : لى زوجة وطفلة تطعا سأعود اليهما ٠

قال تونى : ستعود أولا من أجل أمنا أفريقيا ٠

خبط فايز كفا بكف وقال كمن يحدث نفسه :

ــ كنا نتشاجر من لحظات بسبب مستقبل الدول العربية ٠٠ مستقبل أمتنا ٠ الآن يحدثنى الافريقى عن أمنا أفريقيا !!

قام « تونى » وهو يقول أنه سيذهب ليحدث صديقته الأوروبية المصبوغ شعرها ٠٠

وسأله « فايز » أن يعرفه بصديقته هذه التى يتحدث عنها كثيرا ٠

فضحك « تونى » ٠

وقال له « فايز » : أمنا واحدة ياتونى ٠ عرفنى بها » ٠

ضحك مرة أخرى وهو يخرج من الحجرة ويردد « أوه .. أفريقيا » .

ان حب الافريقى لقارة أفريقيا كلها يشغلنى . فهو لا يتحدث فقط عن بلده فى الجنوب الغربى من القارة . بل يتحدث دائما عن أفريقيا ككل . وليس كجزء . يتحدث عن الجزء الجنوبى الذى مازال مستعمرا كأنه يتحدث عن بلده انها مازالت مستعمرة مع انها نالت استقلالها فى الستينيات . ومن أحاديثنا المتفرقة من حين لآخر . يجعلنى أفكر فى معنى حقيقة الانتماء . الذى يشغلنى منذ شهور .. ويوضح لى هذا المعنى . فهل الانتماء بالناس المجتمع .. الناس أحباؤنا . الناس التقاليد والنظم . الناس السياسة . أم الانتماء بالأرض أولا وأخيرا وفى معناها المحدود . الوطن ؟!

و « تونى » دائمـــا فى أحاديثنا المتفرقة يعتقد أن الانتماء الحقيقى بالأرض . ويشـــبه هذا الانتماء بالجذور . فهناك ناس جذورهم أرضية . وهؤلاء هم الذين ينتمون الى أرضـــهم ولا يستطيعون الحياة بعيدا عنها ، وهناك ناس جذورهم فى الهواء ، لا يرتبطون بأرض مثل النباتات ذات الجذور الهوائية . يمكن نقلها من مكان الى مكان فى العالم . لكن من الصعب تأقلمها فى المناخ الجديد . فهى تحتاج الى نفس الجو الذى نقلت منه . وقد اهتممت بحديث الجذور مع « تونى » وفكرت فيه كثيرا .

فمنذ فكرت فى الارتباط بالسورى أو منذ سألنى ، وأنا أفكر فى هذا الشىء الذى بلوره « تونى » فى أحاديثه معى . بل انه كثيرا ما يجعلنى أشعر بحنين خفى الى أرضى .

عندما عاد « تونى » الى الحجرة ســـألته : « هل تحبها يا تونى » ؟

قال وقد بدأ على وجهه هم :

ـ المشكلة يا أختى أن أمى ستغضب اذا أنا تزوجت شقراء مصبوغ شعرها وأوروبية .

سأله فايز : أمك أفريقيا ، أم أمك أنت ؟

قال : الاثنتان ··

سألته : وهى ·· تحبك جدا ؟

قال تونى : جدا ·· جدا ·· وتفخر بلونى الأسود ، أمام أصدقائها وصديقاتها · وعندما نسير معا تتأبط ذراعى كأنها تتأبط ذراع أمير · لكنى أحيانا أشعر أنها تحبنى لأنى الشىء غير المألوف ·· هذه البلاد المتحضرة حصلوا على كل شىء مفروض أن يحصل عليه الفرد العادى فى الحياة · وأعتقد أنهم ملوا المألوف فأصبحوا يبحثون الآن عن الشىء غير المألوف · ومن ناحية أخرى لا أريد أن أعيش هنا · وهى أشك أنها تتحمل الحياة فى بلدى لفترة طويلة · ولا أريد أن أترك أطفالى السود يسيرون هنا مع أمهم الشقراء ويشير اليهم الناس ويقولون : أبوهم أسود · أين هو أبوهم الأسود ؟ بينما أكون أنا فى بلدى التى تحتاج الى ، هل تدرين يا أختى · بعض الافريقيين السود يتزوجون البيضاوات بسبب عقدة اللون لا أكثر · يعتقدون أنهم بزيجاتهم هذه استطاعوا غزو البيض ، نادرا ما تنجح زيجاتهم لأنها غير مبنية على الحب · مبنية على عقدة اللون لا أكثر ·

قلت : تونى · لا تغالط · اننا نرى زيجات كثيرة هنا ناجحة أو تبدو كذلك بين الافريقين السود والأوروبيات البيضاوات ·· العالم الآن لم يعد يحظر على الأجناس الاختلاط ببعضها ·

قال : نعم · حدثت لخبطة فى العالم · ليست فقط فى السياسة بل فى كل شىء · واختلطت الأجناس ببعضها · أختى · هل جذورك أرضية ؟!

هززت رأسى · نعم · قلت :

ــ ربما لم أكتشفها الا عندما بعدت عن أرضى ·

نزلت أمينة الى حديقة منزل المغتربين وجلست أمام منضدة صغيرة من هذه المناضـــد التى يضـــعها « ماكس » بواب المنزل العجوز فى الأيام الدافئة المشمسة ويبيع للجالسين زجاجات البيرة والمياه الغازية ويطلق على هذه المناضد « كازينو ماكس » ٠

بجسده الطويل النحيل المنحنى قليلا اقترب « ماكس » من أمينة وألقى تحيةالصباح ٠ ردتها مبتسمة ٠

قال : الجو جميل اليوم ٠٠ هه ٠٠

قدمت له أمينة سيجارة ، وأشعلت أخرى وهى توافقه على جمال اليوم قلب السيجارة فى يده ٠

قال : سيجارة عربية ٠٠ هه ٠٠

ثم وضعها خلف أذنه ٠ قال : لم تسألينى اليوم عن البريد ؟

قالت : استلمت قريبا خطابين من عائلتى ولا أنتظر كل يوم خطابات منهم ٠٠

قال وهو يضع يده فى جيبه ثم يخرجها بخطاب :

ـ واليوم أيضا ٠٠

أخذت أمينة الخطـــاب · فتحته · وجدته من أخيها الذى ســـيتزوج الامريكية · وكانت متلهفة أن تعرف أخبارهما · لكن « ماكس » لم يتركها لتقرأ قال :

ـ الجو حار اليوم ·

قالت : جو اليوم هو شتاء بلدى ·

قال : أسمع أشياء غريبة عن بلادكم · هل أحضر لك شيئا ؟

وافقت أمينة حتى تصـــــرفه عنها · وطلبت زجاجة مياه غازية ·

بدأ أخوها خطابه باعتذاره عن عدم ارســـاله لها من قبل لانشغاله بحضور الأمريكية ·وقد اكتشف انه لا يحبها فى القاهرة كما كان يحبها فى « شيكاجو » حيث الجامعة التى كان فيها ·· رأيقن انه كان يحبها كجزء من مجتمع جديد مختلف · وصـــورة عادية حولها اطار مذهب مبهر · وعندما خرجت الصـــورة من اطارها المذهب بدت له باهتة · باردة · وأحيانا لا تحتمل · وهى أيضا قد شعرت بالرغم من الترحيب الذى وجدته من العائلة انها مثل السمكة خارج مياهها لا تستطيع أن تعيش أو تتنفس · فهى لا تحتمل الحياة فى القاهرة بالرغم من انبهارها بالآثار القديمة ومنطقة الأهرام والأزهر وأخبرته أن القاهرة لا تصـــلح للمعيشة لكن فقط للسياحة فى أماكنها الأثرية ·

وقال أنهما لم يتزوجا رسميا · وقد اتفق على هذا معها قبل أن تحضر للقاهرة · على أن ترى أولا اذا كان يمكنها أن تحتمل الحياة معه وفى بلده · قال أنها غالبا ستعود الى بلدها قريبا ··

عاد « ماكس » بزجاجة « بيبسى كولا» قال وهو يفتحها :

ـ أظن لا توجد بيرة فى بلدك ·

قالت : توجد كل المشروبات الروحية ·

قال « ماكس » وهو ينصرف كأنه يحدث نفسه : « أحد الطلبة العرب قال لى يوما انه لا توجد بيرة فى بلادهم » ·

نظرت أمينة الى الخطاب مرة أخرى ، وقد شعرت بشىء من الارتياح غن احتمال عودة الأمريكية الى بلدها · ليس لأنها لا تحب الأجانب · هى تحبهم وتحترمهم · لكن مسألة الاقتران بهم هذه لا تحبذها ، وعلى أية حال فكل فرد له مزاجه الخاص فى مسألة الحب والزواج ، وقررت أن تكتب لأخيها مباشــرة بدون تدخل بآرائها · وتذكرت خطـــاب « العمة » وما قالته عن حلمهـــا أن زواج أخيهـــا بالأمريكية لن يتم · وابتسـمت · وقد لاحظ نذير ابتسامتها وهو يقترب من المنضدة التى تجلس خلفها ، وسألها اذا كان يمكن أن يشاركها جلستها · فأشارت الى المقعد الآخر مرحبة به ·

سألها : منتعشة هذا الصباح بالجو ·· أم بالخطاب ؟!

قالت : الاثنان ··

سألها : من صاحبك ؟

ابتسمت أمينة لمشاعر الغيرة التى بدت عليه وأعطته الخطاب · تردد قليلا ، وبدأ يقرأ · ومن حين لآخر يهز رأسه موافقا على كلام أخيها · ولم تدر لماذا أعطته الخطـــاب · هل بدافع خبث أنثوى · أم بدافع حب صديق لصديقه لا يريده أن يقع فى مشكلة مشابهة ؟! وأن تبعد عن رأســـه تماما فكرة زواجه من الفتـــاة الأوروبية !؟ وجاء « ماكس » بزجاجة بيرة وضعها أمام نذير أثناء قراءته · فنظر اليه الأخير ، وقال له انه لم يطلب بيرة ·

قال ماكس : الذى يقرأ خطابا لا يخصه يحتاج لزجاجة بيرة لتساعده ·

قال نذير : ماكس ، أنت · كثيرا ما تتدخل فى أشياء لا تعنيك وقد نبهتك الى هذا كثيرا ·

ضحك « ماكس » وهو يغمز بعينه لأمينة وقال :

– صديقك يغار من الخطابات التىتأتيك ، وقد لاحظت انه وهو يبحث عن خطاباته يمسك بخطاباتك ويقرأ اسم الراسل خلف الظرف · وقد نبهته الى هذا كثيرا ·

نظرت أمينة الى نذير بدهشة وابتسمت ·· ولم يجد ما يقوله فابتسم · وسار « ماكس » وهو يقول « الرجل الشرقى غيور · ويتزوج من امرأتين فى وقت واحد ·· هه ·· » وشعر نذير أن « ماكس » يعنيه بجملته الأخيرة فهو يعرف صـــديقته الأوروبية ويلاحظ علاقته بأمينة · فقال لها لولا أنه يحترم كبر سن الرجل لقام بضـــربه · ولم يعجبه قولها ان « ماكس » رجل ظريف ·· وسألها ماذا ستفعل اليوم · فقالت انها ستكتب خطابا لأخيها وبعد الغداء ستنزل الى وسط المدينة · لترسله وتشترى بعض احتياجاتها ·· وانتظرت أن يقول لها نذير انه سيذهب معها فى جولتها حتى لا تعود وحيدة أو مجرد أن يكون بصحبتها · لكنه لم يقل شيئا من هذا · قال انه سيبقى فى المنزل ربما يطالع قليلا ويســـتمع الى الموسيقى ·

كثيرا ما تختلط الأمور فى رأس أمينة · ويختلط تقـــديرها للعلاقات ، متى يكون لها الحق فى سؤال رجل أن يصحبها الى مكان ما · ومتى لا يكون لها هذا الحق · متى تغضب أو يكون لها حق الغضب ومتى لا يكون · متى تعاتب · أو يكون لها الحق فى العتاب ومتى لا يكون · عندما كانت مخطوبة والأمور واضحة مع الرجل الذى أحبته وخطبها لم تواجه هذا الخلط فى التقدير ، فكانت تسأله أن يصحبها الى مكان تريده · كانت تجد أنه من حقها أن تسأله · من حقها أن تغضب وتعاتب وربما بدأ هذا الخلط منذ بداية علاقتها بحبيبها فى بلدها · فكان يتعجب كثيرا اذا هى غضبت أو عاتبته لشىء ما · وفى يوم انتظرها لتعود معه من مشوار كانت تقضى فيه بعض مشترياتها وتأخرت عليه · فغضب وقال لها انه ليس ســـائقا تؤجـــره حتى ينتظرها هكذا · ولم تسأله بعدها أن يوصلها الى مكان أو ينتظرها فى مكان لتعود معه فى سيارته · وكثيرا ما كان يعدها أن يمضى المساء معها ثم لا يتحدث ويقول لها فى اليوم التالى انه انشغل بعمل · أو كان مع أصدقاء · فى أول الأمر كانت تغضب وتعاتب وتسأله لماذا لم يحدثها ليعتذر · ثم بدأت تفكر هل لها الحق فى الغضب والمعاتبة أم ليس لها الحق · خصوصا فى الشهور الأخيرة قبل سفرها عندما تميعت العـــلاقة

بينهما ولم تعد تدرى على اية ارض تقف معه ، وماذا تكون بالنسبة له • والآن مع نذير ، هل علاقتهما تعطيهـــا هذا الحق فى هذه المشــاعر • وهل علاقة الحب بينهما حقيقية فيكون من حقها أن تعتبره رجلها ويكون له الحق أن يعتبرها فتاته المقربة ؟!

قالت عفاف : يا أمينة ستتعبين كثيرا فى حياتك اذا أنت فكرت فى حقيقة الأشياء • وهل هذا حقيقى أم غير حقيقى • ومن الحقيقة تبحثين عن الحق • هل من حقك كذا أو كذا • العلاقات بين الناس تأخذ شكلها الطبيعى هكذا بلا تفكير • أنا أحب أحمد • هو يحبنى •• هذا شىء طبيعى ينمو بيننا • وشىء طبيعى أن أســـأله أن يصحبنى الى مكان • وشىء طبيعى أن أغضب اذا هو لم يفعل أو يعتذر • وشىء طبيعى أن يغضب هو أيضا اذا أنا لم أفعل شيئا يريده وشىء طبيعى أن يكون بيننا عتاب • لم أفكر يوما اذا كان من حقى هذا أم لا •

صمتت أمينة قليلا وهما سائرتان فى الطريق تتفرجان على معروضات المحلات التجارية وتوقفتا أمام نافذة محل •

قالت أمينة : أنت مازلت شابة ياعفاف ، ورحمتك السماء من تجارب سخيفة متميعة كالتى مررت أنا بها • ربما لذلك لا تفكرين فى هذه الأشياء •

نظرت اليها عفاف متعجبة وكادت تصرخ :

ـ وأنت الست شابة مثلى ؟! والله الذى ينظر الينا ليحسبك أصغر منى كل ما فى الأمر انك واجهت مشكلات وتجارب سخيفة كثيرة فاعتقدت انك أصبحت كبيرة •

والتفتت عفاف الى سيدة أجنبية كانت تقف بجوارهما تتفرج على المعروضات وسألتها أن تنظر اليهما وتقول رأيها من منهما أصغر من الأخرى • ابتســـمت المرأة وهى تدور بنظراتها بينهما وقالت انها لا تجد فرقا كبيرا بينهما • كلتاهما شابتان • واحدة

سمراء والأخرى بيضاء ٠ وتعتقد انهما متقاربتان فى العمر ان لم تكونا فى نفس العمر ٠ وابتسمت مرة أخرى وهى تقول لهما أن ينعما بالحياة ولا تفكرا فى مثل هذه الأمور فالشباب ليس مرحلة من العمر ٠ انه شعور بحيوية وحب للحياة وابتسمت وهى تتمنى لهما حظا سعيدا ٠ وسارت ٠

قالت عفاف : هل سمعت ٠ يعجبنى منطق هؤلاء الناس فى الحياة ٠

قالت أمينة : مهما كان منطقهم فهناك حقيقة فى العالم كله ٠ فرصة الحياة للمرأة تقل كلما كبرت فى السن بينما فرصة الرجل فى الحياة تزداد كلما كبر ٠

قالت عفاف : الرجل أيضا فرصته تقل ٠ أرجوك يا أمينة ارحمى رأسك من التفكير فى هذه الحقائق ٠ أنا أكبر أحمد بثلاث سنوات ٠ ولا أشعر بهذا الفارق حتى وان كان يصغرنى بعشر سنوات ٠

وسارت الصديقتان تمرحان وتشترى كل منهما ما تحاجه وما تستطيع شراءه بدون أن يؤثر على ما معهما من نقود لبقية الشهر ٠٠ الى أن تعبتا ٠

●

« هيه ٠٠ هيه ٠٠ هيه ٠٠ ماذا فعلت بى حتى أحبك هكذا ٠٠ » ٠

« هيه ٠٠ هيه ٠٠ هيه ٠٠ ماذا فعلت بى حتى يمكننى أن أترك العالم من أجلك » ٠

« دع حبك يغمرنى ٠ مثل قوة ضوء الشمس الذهبى » ٠

« دع حبك يغمرنى ٠ مثل حنان ضوء القمر الفضى » ٠

ومثل هذه الاغانى كان يغنيها احد الشباب ، بمصاحبة « جيتار » فى هذه السيارة السياحية الذاهبة فى رحلة نظمتها

احدى شركات السياحة المنتشرة فى هذه البلاد ، ليمضى المواطنون والأجانب عطلة نهاية الأسبوع فى واحدة من البلاد الجبلية البعيدة ٠٠ وكانت الرحلة ليومين ، وضمن المشتركين فيها مجموعة من منزل المغتربين ٠ عفـــاف وأحمد ٠ أمينة ونذير ٠ فايز وتونى الافريقى ٠

قام « فايز » الى مقدمة السيارة وهو يقول انه سيغنى أغنية مصرية ٠ ضـــحك تونى فقال له فايز أن عليه أن يغنى هو الآخر أغنية لأمه الحنون أفريقيا ، واقترب فايز من المغنى عازف الجيتار وسأله أن « يدندن » أى نغم وهو سيغنى وارتفع صوته الأجش ٠

« أدور ليه على جرحى ، وصاحب الجرح مش فاكر »

« وأقول ياعينى ليه تبكى مادام الليل مالوش آخر »

« عذاب الجرح يحرمنى من الدنيا اللى أنا فيها » وطول الليل يرجعنى لدنيا كنت ناسيها » ٠٠

صفق الركاب ، وصفق تونى وهو يسأله أن يترجم هذا الكلام الجميل للانجليزية ، وضحكت عفاف ٠ أما أمينة فقد تأثرت بكلمات أغنية « عبد الوهاب » وشعرت بحنين لشىء غامض ٠ وربما كانت أحلامها الليلة السابقة لها تأثير مباشر على نفسيتها ،فهى وان كانت لم تتذكر تلك الأحلام تماما ، الا أنها رأت وجه خطيبها ٠٠٠ رأته فى أكثر من حلم وكان واضحا ٠ وصوته أيضا كان واضحا وان كانت لم تتذكر ماذاقال ٠ ثم رأت وجه حبيبها ، وتعجبت أن الوجهين متشابهان ٠ وفى الصـــباح الباكر قبل أن تذهب الى السيارة السياحية سألت « ماكس » البواب العجوز عن الخطابات، فقال متذمرا أنه لم يمض ليلته فى مكتب البريد ٠

عاد فايز الى مقعده بجانب تونى وسط التصفيق وقام تونى ليقبله فلكزه قائلا انه ينتظر قبلة من حسناء ٠ وقال نذير لأمينة وقد لاحظ تأثرها من كلمات الأغنية : ان الأغانى العربية حزينة تثير الأشجان ، وأحيانا الضحك ، ولم تعلق ٠

وصلت السيارة الى مدينة صغيرة فى واد تحوطه جبال ·· قال المشرف على الرحلة أن مثل هذه المدن تنفصل عن العالم وقت الشتاء ، عندما تكسو الثلوج المنطقة · أما وقت الربيع والصيف فتكون مثل هذه المدينة · مدينة للحب والأحلام ، نظرت أمينة خلال نافذة السـيارة الى الجبال التى تكسوها الأعشاب والأشـجار بدرجات اللون الأخضـر ،وبيوت صـغيرة فوق الجبال ألوانها مبهجة · نزلت المجموعة أمام فندق صـغير بجواره بحيرة · قال المشرف على الرحلة انها احدى البحيرات الجميلة فى هذه المنطقة. وشعرت أمينة بانتعاش وحب لكل شىء حولها ، وهى تنظر الى هذه المناظر الطبيعية الرائعة وتقول فى نفسها ، سبحان الله ·

ذهب فايز وتونى مع مجموعة ليصعدا أحد الجبال ، وذهبت مجموعة أخرى الى جولة فى المدينة · واختار العشـاق الأربعة الذهاب الى البحيرات ·

●

« ربما رأيت المكان فى صور الأفلام ولكن الزمن لم أعرفه · لا أريد أن أغمض عينى لأطبع فيهما كل ما أراه · عيناى أصبحتا عدستين لآلة تصوير · وذاكرتى فيلما ملونا الأسود لعينيه وملابسه ·· الأخضر فى الحشائش المستلقى فوقها الأصفر لردائى · الأزرق للمياه أمامنا · كل الألوان زاهية · نظر الى نذير وسألنى أن أقترب منه · اقتربت وهو يمد لى يده وأجلسنى بجواره وهو مستلق اقترب وجهى من وجهه ، لمس وجهى بيده تحسس حول عينى قال :

ـ أحب هذه الخطوط حول عينيك ، تعطى لوجهك جمـالا خاصا · هذه الخطوط التى سببها القلق · التعب وتعمق الفكر ·

أبتسمت · قلت : أو تعمق العمر ·

ـ تخافين مرور السنين ؟

هززت رأسى ·· نعم ·

جذبنى اليه · قبلنى همس ·· « لماذا ؟ » ابتعدت قليلا ·

قلت : الذكريات تكثر · والآمال تقل عندما نتقدم فى السن ، وهذا ما بدأت أشعر به ·

جذبنى مرة أخرى اليه ·قال : ياحبيبتى اننا من عمر واحدة، لم نعشها أبدا ·

عندما يغمرنا هذا الشعور الذى نحسه من أعماقنا · نشعر به فى كل خلية منخلايا جسدنا · نشعر أننا أصبحنا فى خفة الطيور · نشعر بعظمة الحياة عندما تتوافق نبضاتنا مع نبضات آخر · هذا الشعور المسمى بالسعادة · نظن انه لا يحدث على الأرض ، وليس له زمن فى زماننا · فنظن اننا فى مكان خارج الكون · واننا فى زمن خارج الزمن · هكذا شعرت طول اليوم مع نذير ·

وعندما استيقظت بعد منتصف الليل · لم أجد « عفاف » فى فراشها بجوارى فى الحجرة التى نزلنا فيها معا ·قمت · وضعت معطفى فوق رداء نومى وخرجت الى شرفة كبيرة · وجدت « نذير » هناك ينظر الى الليل والجبل · اقتربت منه · وكأنه وجد حلما تحقق أمامه بصورة خيالية فاحتضننى · غمر وجهى بالقبلات وهو يهمس فى اذنى · انه كان يدعو السماء أن أذهب اليه فى هذه اللحظة ، قلت أننى قلقت ، ولم أجد « عفاف » فى الحجرة ، فقال انها ذهبت مع احمد ومجموعة أخرى الى ملهى ليلى · سألته لماذا لم يوقظنى لنشاركهم · قال انه أراد فعلا أن يوقظنى لكن لأبقى معه سرنا فى الشرفة الكبيرة الصامتة الى مقعد ممتد من القماش ·· ضمنى اليه · ضممته الى · وبدأت قبلاتنا هادئة · حنون · مشتاقة ·· وبدأت تلك المشاعر القديمة تعود الى · كأنها تأتينى من سرداب عميق · صوتها يأتى الى مثل الصدى ·· اخرجينى لأعيش ·· لأجعلك تعيشين · يحبك تحبينه ·لا تخافى · خذى بيدى لأخرج · ثم بدأ صوت مشاعرى يخفت · يبتعد · وقلت هامسة لنذير : لا أستطيع · هنا · لا أستطيع » · سألنى : لماذا · قلت : لا أدرى· ابتسم وهو يقول : « ياحبيبتى الشرقية · أحب خجلك وأحييه ·

معى فى الحجرة غريب ومعك فى الحجرة عفاف · عدينى أن نتم كسر هذا الحاجز بيننا عندما نعود · سأدبر مكانا بعيدا عن المنزل لنلتقى فيه · عدينى ياحبيبتى » ·

هززت رأسى · واعدة · منتشية · أكاد أبكى من نشوتى · احتضننى · لم أحتج لشىء فى العالم سوى هذا الحضن الدافىء · الجبل يحتضن المدينة · نذير يحتضننى ، والليل يحتضننا كلنا » ·

●

كان « فايز » يقترح على عفاف وأحمد أن يعلنا خطوبتهما فى حفلة وانه سيشترى لهما خاتمى الزواج كهدية · وهلل « تونى » للخبر الذى سمعه وقال انه سيحضر بيرة لهذه الحفلة وزجاجة رائحة عطرية غالية للعروس · وكان الجميع يضحكون · مبتهجين من أثر الرحلة ومن تعليقات « فايز » واشارته الى أمينة ونذير بقوله أن هذا المنزل سيشهد افراحا كثيرة وكانوا قد وصلوا الى المنزل فى هذه الحالة من المرح · واستقبلهم « ماكس » بجوار الباب الرئيسى للحديقة وهو يبتسم ·

قال : أجازة سعيدة ·· هه ··

ثم التفت الى نذير وقال :

ـ الآنسة تسأل عنك كل ساعة منذ الأمس · ويبدو أنها ثائرة · فأرجو أن تحدثها الآن لأنها قالت اذا لم تحدثها ستأتى لك وان كان فى منتصف الليل · يبدو أنها ثائرة · أرجو أن تحدثها لأنى لا أريد مشاجرات فى المنزل ·

نظرت أمينة الى نذير · وسارت مع المجموعة · وذهب نذير الى مكان التليفون وهو يقول هامسا كأنه يحدث نفسه ، سأحدثها ·

●

كانت المحادثة التليفونية التى قام بها نذير لصديقته الاوروبية مثل قنبلة زمنية · انفجرت بعدة أرقام أدارها فى قرص التليفون ، سألته لماذا لم يعد يذهب اليها فى عطلة نهاية الاسبوع ؟ ولماذا لم يحضر اليها هذا الأسبوع كما وعدها عندما طلبته منذ يومين فى التليفون ·

فقال انه كان مع أصدقائه العرب فى رحلة ·

صرخت بأنه كاذب وقالت أن صديقا لهما رآه كثيرا مع فتاة يعتقد أنها من بلاد البحر الابيض المتوسط وليست من بلادهم ·

ولما سألها ضاحكا كيف عرف الصديق جنسيتها ·

صرخت فى أذنه أنها لا يهمها من تكون · وأنها تريده أن يذهب اليها فى الحال ، واذا لم يذهب ستحضر هى اليه وهذا لن يكون فى صالحه ·

وضع نذير سماعة التليفون · وقف لحظة حائرا ينظر الى باب الحديقة والى باب المنزل · ثم اتجه الى باب الحديقة وخرج ·

فى طريقه اليها كان يعد فى رأسه ماذا سيقول لها · فكل انسان حر فى عواطفه وليست ملكا لغيره · العواطف اما أن تلتقى بعواطف أخرى وتتفق معها وتنسجم معها · واما · لا · وأحيانا تنجذب عواطف انســان مع آخر لفــترة ثم تموت أو تفتر لعــدم انسجامها مع عواطف هذا الآخر · وفى هذه الحالة على كل منهما أن يراجع نفسه ويبتعد · فهو لا يحب أن يستعبد انسانا آخر باسم العواطف أو باسم أى شىء كان · سيقول لها صراحة وبهدوء أن عواطفه تحولت الى أخرى · دماؤها مثل دمائه · شرقيتهما واحدة وطبائعهما منسجمة ، وأرضهما واحدة وقضيتهما واحدة · سيقول لها بهدوء · أنه لاداعى للثورة فهو لا يحب هذه الثورة المجنونة من النساء · وأنها حرة فى عواطفها ويمكنها أن تقابل آخر من أبناء بلدها · دماؤهما واحـــدة وأرضـــهما واحدة ويمكنهما أن أن يستقر معا بدون مشاكل · سيقول لها · انهما قد اتفقا على هذا منذ بداية علاقتهما الا يستعبد أحدهما الآخر باسم العواطف ·

وعندما وصل نذير الى منزل صديقته ٠ كانت قد هشـــمت بعض الأطباق واناء زهور كان قد أهداه لها ٠ ومزقت ملابســـه الموجودة عندها ٠ وكسرت فرشاة أسنانه ٠ وألقت بشبشبه « الخف العربى » من النافذة ٠ ولسوء حظها راها شرطى كان يســـير بالصدفة فى الطريق ، فصعد اليها وكتب لها مخالفة وغرامة مالية لسوء الخلق ٠ فبالرغم من أن هذا الشىء الذى ألقت به من النافذة لم يصـــب أحداً ٠ الا أنه كان من الممكن أن يؤذى أحد المواطنين الآمنين فى الطريق ٠

ووصل نذير والشـــرطى يغادر المسكن ٠ ولا يخفى انه قد اضطرب لرؤيته ٠ خاف أن تكون صديقته قد فعلت شيئا ضـــارا بنفسها واتهمته بأذيتها مما يسبب له مشكلة كبيرة فى بلد غريب ، وحاول أن يتذكر بعض الآيات القرآنية لتساعده على هذا الموقف ، ولم يذكر سوى سورة الفاتحة وسورة الاخلاص ، فقرأهما فى سره قبل أن يفتح باب شقتها بالمفتاح الذى قد أعطته له ٠

وعندما وجدها على هذه الحالة الهستيرية حاول ان يبتسم وهو يقترب منها فابتعدت عنه صارخة « اذهب الى عشيقتك الجديدة » حاول أن يهدئها ويحتضنها فضربته ثم استكانت فى أحضانه باكية، وهى تقول بضعف لميره فيها من قبل ٠ « تتركنى الآن وانا حامل فى طفلك ؟ » ٠

واهتزت مشـــاعره من الأعماق وقام ليصنع لهما قهوة ٠ فصمتت ثورتها ودموعها لهذا الاهتمام الذى أبداه ، ثم سألها أن تحكى له الخبر وهى مبتسمة ٠ فهو يعرف أنه طفله ، ويعرف تماما اليوم الذى تكون فيه ٠ كانا الاثنان فى شك ٠ ويعرف تماما انها ليست على علاقة بغيره ٠ وهكذا تبخرت من رأسه كل الأفكار التى كان سيقولها عن حرية العواطف وحبه الجديد ٠ وقال أنه لن يتركها أو يترك طفله ٠ ثم سألها اذا كانت حقيقة تريد منه طفلا ٠

فقالت أنهـــا تريد أن تحتفظ بالطفـــل حتى وان لم يرد أن يتزوجها ، ورجته الا يتركها على الأقل فى شهور حملها ٠

واهتزت مشاعره بحب ومسئولية ، واحتضنها طول الليل ٠

وفى الصباح طلب أمينة من تليفون فى الطريق ، وشعر بحنين جارف لها وهى تسأله بلهفة ماذا حدث له ٠ وسألها أن تقابله فى المقهى بعد أن تنتهى من المصنع ٠

●

لم تستطع أمينة أن تمنع ابتسامتها وهى تسأل نفسها هل فتيات أوروبا يقمن بهذه الحيلة أيضا ليتزوجن أحباءهن ؟! لكن الفتاة كما قال نذير لا تصر على الزواج منه الآن اصرارها على الطفل ٠ وهذا مما يجعل الموقف أكثر جدية ٠ لكن اذا كانت مصرة على الطفل ٠ لماذا ثارت كل هذه الثورة على الأب ؟ ربما حيلة الفتاة الأوروبية أقوى لأن مجتمعها لا ينبذ الطفل غير الشرعى ٠٠ ويأخذ الطفل لقب أمه ويعيش فى أمان مع أهلها وفى مجتمعه ٠

وتساءلت أمينة فى نفسها ٠ هل طفل نذير حقيقى ؟ لقد وجدت أن مشاعره اهتزت حقيقة بحب ومسئولية ٠ وتعجبت من مواقف الرجال فى مثل هذه الحالة ، وحزنت فى نفسها أن حبيبها لم تهتز مشاعره ٠ بحب ومسئولية نحوها بعد أن قامت ٠ بحيلة الطفل ٠ بل اهتزت مشاعره للوجه المضاد ٠ ولم ترد أن تسرد لنذير قصتها ٠٠ لم ترد أن تشككه فى طفله ولم ترد أن تشككه فى نفسها أيضا ٠ فلم يعرف أحد حيلتها التى قامت بها يوما ٠ سوى صديقتها المقربة فى بلدها ٠ وهى قد قامت بهذه الحيلة تبعا للمثل القائل : كل شىء مشروع فى الحب والحرب ٠ وليس لأن طبيعتها مخادعة٠

أشعلت أمينة سيجارة وسألته : ستتزوجها ؟

قال : مسألة أن يكون لى طفل ٠ شىء يبهجنى ويزعجنى فى نفس الوقت ٠

سألته مرة أخرى : ستتزوجها ؟

ـ أمينة · قلت لك من قبل لا أستطيع ، ولا أحب أن أتزوج من أجنبية ، هذا شيء صعب بالنسبة لى · ولها أيضا ·

قالت أمينة بشيء من اللامبالاة ·

ـ على أية حال المرأة فى هذه المجتمعات يمكن أن يكون لها طفل بدون زوج ولها الاختيار أن تحتفظ به أو تسلمه لرعاية الدولة حسب قوانينهم ·

وانفعل نذير :

ـ أعرف · ·أعرف ·· لكن طفلى أنا · العربى الأصل · كيف أسلمه لدولة أجنبية · كيف أتركه يكبر هنا ويصبح من رعاياها ·· كيف ؟ وإذا كان ولداهل أتركه ليجند فى جيش بلد أجنبى ·· تخيلى إذا قامت حرب واشتركت هذه الدولة ضدنا ، وأرسل ابنى ليحاربنى ·

ولم تتمالك أمينة نفسها ،فضحكت ، ونظر اليها نذير بغيظ ودهشة · وسألها ما الذى يضحك ؟

قالت : لا تخف ، العالم حريص الآن على الا تقوم حرب عالمية الا اذا كانت أم ابنك يهودية صهيونية · وأيضا فى هذه الحالة أعتقد اننا سننتهى من مشكلة حروبنا مع اسرائيل قبل ان يجند ابنك الذى لم يولد بعد ، ولم تعرف اذا كان ولدا ·

لم يستطع نذير أن يجارى ضحك أمينة ·

قال بحزن : أمينة · ·لابد أن تفهمينى · أنت بالذات لابد أن تفهمينى ··

قالت : نعم لابد أن أفهمك أنا بالذات · انك استمريت معها بحكم التعود · ثم الآن ·· الطفل · لابد أن أفهم بشرقية عواطفنا ماذا يعنى الطفل ·

ـ أمينة ·· ساعدينى ··

وكادت تصرخ وهى تسأله · ·كيف ؟ ثم نظرت حولها الى الناس الجالسين فى المقهى يتسامرون · يتهامسون · يضحكون · كانا يفعلان مثلهم منذ فترة ليست بعيدة · وشعرت بحزن مباغت يداهمها ·

قالت : تزوجها · مادمت تريد أن ينتمى الطفـــل اليك ·· تزوجها ·· وستحل الأيام مشكلة التعايش معها ·

– الأيام لا تحل شيئا · اذا لم نضع حلا لمشاكلنا ربما الأيام تزيدها تعقيدا ·

– أعتقد انها فى حاجة لوجودك معها الآن ·

هز رأسه موافقا ولم يتحدث · قامت أمينة وقالت انها فى حاجة أن تسير وحدها ·

قرب المقهى لمحت صديقه السورى الذى حضرت حفل زفافه · لحظة فكرت أن تناديه وتعود معه الى المقهى ليشترك فى حل مشكلة صديقه نذير · والتفتت الى الجهة الأخرى · تظاهرت انها لم تره ·

●

دخل « خالد » صديق نذير السورى الى المقهى ووجد« نذير » على هذه الصورة المشتتة الحزينة • ولما سأله الخبر حكله قصته مع صديقته الأجنبية « سوزان » •

قال خالد : تورطت يا أخى • أقل لك نصيحة •

— أرجوك لا تتبول فى رأسى •

— رأسك فيها ما يكفى !

ابتسم نذير أخيرا وقال له « تفضل قل النصيحة •

قال خالد ، تزوج أمينة ، ألست تحبها • وتحبك قد لمحتها تسير وحيدة فى الطريق مكدرة •

— أقول لك عن مشكلتى مع سوزان • تقول لى وج أمينة !

انفعل خالد قال : ماذا تريدنى أن أقول لك ! ألعبالك • تحب سوزان •• اذن تزوجها وخذها معك سوريا تأكل كبة بول •

— والله يا أخى أنا مالى فى مزاح الآن •

— فكر بتعقل •• نذير • الطفل ليس مشكلة فى جع هنا • وأنا عند رأيى تزوج أمينة •

قال نذير : تظننى لم أفكر فى زواجى بها · وطلبتها أيضا ·

ـ ورأيها ؟

ـ كانت الأمور تسير على مايرام · وجاء موضوع سوزان لخبطكل شىء ·

ـ اللعنة · هل حكيت لها القصة ؟!

لم استطع أن أداريها ·

ياسلام على الشهامة السورية ·

لا تسخر من بلدنا ·

أنا أسخر منك ·· يا ابن ··

اخرس واتركنى الآن ··

ن اغضب منك ·· سأتركك لكنى لن أغضب منك ·

ام نذير وشتمه ··

●

لبد امينة تحتمل هذه الاحباطات من الحياة من الظروف من النا، أن تكون فى القمـــة وتحبط هكذا · تقع على أرض الواقع البة الملوثة بالأحزان ·

« من غبائى وكثرة أحزانى · وترديد سؤالى · لماذا فى كل شىء أمس وأول أمس · شعرت أننا ارتبطنا أكثر · نمت أحتضن رته وكلماته ونشوة متخيلة أننا نمارس الحب » ·

لفذ نسمات الليل الباردة · نزلت دموعها فى الطريق · من البرالتى تصيب ليل أوروبا · من الأحزان التى تصيبها بدون مبر لم يعد شىء مبهجـــا وظريفا · انها فى مثل هذه المواقف لطة تتذكر كل الحوادث المحبطة فى حيـــاتها · تفتح أوراق الـ القديمة · الزوج الذى مات · الخطيب الذى هاجر ،

وحبيبها الذى قرر أن يكونا صديقين · هلستدور فى بلاد العالم تبحث عن أمل وحب وصحبة وبيت ؟!

« لماذا يكون الاحباط هو قدرى ؟ أى شخصية ماساوية هذه التى أعيشها ؟! قرأت عن الشخصيات المأساوية فى روايات الكلاسيكيات ، أفزعتنى ، أبكتنى وكرهتها · لن أكونها · سأقاوم · لن أكونها · لكن الى متى سأقاوم وأستطيع المقاومة ؟ ياحبيبتى يا أمينة · » ·

واحتضنت نفسها · لأول مرة يجتاحها بعنف هذا الشعور بالغربة · أحيانا نشعر أننا غرباء على أرضنا · فى بلدنا · وبين ناسنا · وأحيانا لا نشعر بهذه الغربة فى الأماكن البعيدة عن ديارنا · نكون غرباء حقيقة بلا صحبة · أو عندما نفقد هذه الصحبة التى نستشعر فيها الدفء بالعاطفة والأحاديث والحب ·

شعرت أمينة ببرودة أسرعت الى المنزل توجهت الى حجرة المكتبة والمسامرة · وجدت « عفاف » وأحمد وبعض النزلاء العرب يحاولون الاستماع الى اذاعة عربية · الصوت مصرى · اللهجة مصرية · ابتعد الصوت · اقترب · يبدو أنه نهاية نشرة أنباء أو تعليق من اذاعة صوت العرب المصرية · اقتربت أمينة من الراديو فى شوق، لتسمع أى شىء من بلدها · وعن بلدها · ظهرت أغنية « بلادى ·· بلادى ·· لك حبى وفؤادى ·· » ابتعد الصوت · اقترب ·· « مصر يا أم البلاد ·· » اهتزت مشاعر أمينة · ارتعش جسدها بحنين جارف · مؤلم ·

خرجت من الحجرة لتخفى دموعها · وتساءلت لماذا يذيعون هذه الأغنية ؟ وقد تعجبت عفاف من تصرفات أمينة فهى لم تلق عليهم تحية ولمحت دموعها ·

« ماذا أفعل فى هذه البلاد ماهو الشىء القوى الذى جعلنى أترك دفء بلدى ودفء صحبة ناسى وأصدقائى · ماذا أفعل فى هذه البلاد ؟! الأمل فى التغيير · الهروب من الانتظار · محاولة

فك حصار دائرة الأشياء المنتظرة حولى ٠ وفى داخل نفسى ٠ ماذا أفعل فى هذه البلاد ؟! » ٠

فتحت أمينة باب حجرتها ٠ لا ٠ انها ليست حجرتها ٠ هذه الرائحة الرطبة ٠ وهذه البرودة ليست حجرتها ٠ حجرتها فى بلدها ٠٠ رائحتها ليست رطبة ٠ دافئة بأشيائها وذكرياتها وعواطفها وعواطف ناســــها ٠٠ شـــعرت بغربة فى الحجرة ٠٠ تركت لدموعها العنان ٠ نظرت فى النتيجة المعلقة على الحائط ٠ من فترة لم تنظر اليها ٠ كم مضى من الوقت ٠ وكم بقى لها فى هذه البلاد ؟ لماذا لا تترك كل شىء وتعود لبلدها ؟! الى كل شىء هناك ٠ وتركت لدموعها العنان ٠

« لكن أنا هنا ذات قيمة ٠ لا أحد يسألنى كيف أخبار عواطفك ومتى سترتبطين ٠ ومتى ستصنعين بيتا والعمر يجرى ٠ أنا هنا بعيدة عن أشواك الكلمات والنظرات ومشـــاعر الاحباط الحقيقية والحقد ٠ أنا هنا ذات قيمة أمينة فى أوروبا ــ هكذا يقولون فى بلدى ــ أمينة فى أوروبا تعيش حياة عريضة ٠ جميلة لماذا أتعجل العودة ٠ لم أحضر هنا لأحب وأحبط وأبكى جئت هنا لأتعلم شيئا ٠٠ لأكون شيئا ، ولأبتعد عن كل ما يضايقنى لترحمك السماء من العبط ٠

عيشى يا أمينة أوروبا ٠٠ اخواتك وصـــديقاتك وقريباتك اللاتى عندهن كل شىء مما تحلمين به ٠ يحسدنك على ما انت فيه الآن ٠ أمينة فى أوروبا ٠ عيشى يا أمينـــة أوروبا واســـتمتعى بحسدهن ٠ اذا عدت الآن سيقولون حتى فى السفر فشلت ٠ لن أكون غريبة مع الغربة ٠ الآن لى صديقات وأصدقاء هنا ٠ عيشى يا أمينة أوروبا ٠ » ٠

●

قال بيتر هانز الانسان فى يده سعادته وشقاؤه ٠ عندما يحب يجد الحب ٠ عندما يكره يجد الكراهية ٠ عندما يتواءم يجد الوئام

.. عندما يفرح يجد الفرح . عندما يحزن يجد الحزن . وكان حقيقة أن المشاعر التى تضفى علينا أو يضفيها الناس علينا ، انما هى فى الحقيقة نابعة من داخل نفوسنا نحن . فهى انعكاس لما نعطيه أو نشعر به .

قالت أمينة : لابد أن يكون الفرد قد وصل الى حد من القوة حتى يستطيع أن يصنع فرحته وحزنه أيضا . ولا يتأثر بالمؤثرات الخارجية ، لكن ألا تشعر أن هذا المنطق خاطىء . لأن هناك ظروفا خارجية أحيانا تكون أقوى من ارادتنا .

قال بيتر هانز : ياعزيزتى لابد أن نحتفظ فى نفوسنا بجزء من النضارة ، نجعل هذا الجزء الصغير لا يمسه أحد من البشر أو الظروف الخارجية . حتى تكون لنا القدرة على الفرح والحب . هذا الجزء البرىء فى نفوسنا اذا استطعنا الاحتفاظ به سيجعلنا دائما قادرين على الحب والدهشة . ببساطة قادرين على حب الحياة .

●

أصبحت أمينة تتهرب من « نذير » فى الأوقات التى يأتى فيها الى منزل المغتربين . تحييه وتمضى ، أو تتحاشى المكان الذى يجلس فيه وحده ، حتى المقهى الذى كان يلتقيان فيه لم تعد تذهب اليه . أصبحت تذهب الى مقهى آخر عندما تكون فى وسط المدينة ، أو عندما تريد أن تروح عن نفسها ، وتشرب قهوة وتراقب الناس . تلتقى أحيانا بعفاف وتجلسان فى المقهى الذى اكتشفته ، وقد عرفت عفاف بقصتها ، وقالت بدورها لاحمد وفايز اللذين اهتما بمشكلة أمينة وان كانا قد لاحظا أنها لا تتحدث فيها . واعتبرا الحكاية كانت مجرد نزوة . ومن عهد أمينة على نفسها ، ومن كلمات صديقها الأوروبى « بيتر هانز » كانت تقاوم الحزن اذا تحرك داخلها . وتستمتع بوحدتها اذا لم تجد صحبة مع أصدقائها .. تسير وحيدة فى الطرقات . تذهب الى السينما أو المسرح . وأحيانا بصحبة عفاف وأحمد وفايز . وقد دخل فى الصورة «بيتر

هاينز » الذى كان يحب الحفلات الموسيقية الكلاسيكية وكان يصحبها الى هذه الحفلات عندما عرف انها تحبها أيضا · وفى المصنع أصبح اهتمامها بالدراسة والتمرين والملاحظة أكثر · واهتمت بكتابة الخطابات لاخوتها واخواتها وصديقاتها · تحكى عن الأشياء الجميلة التى تراها وتعيشها ، وتشترى الكتب · وتقرأ ·

ولم تخف أمينة دهشتها عندما وجدت « نذير » أمامها فى المقهى الذى أصبحت تذهب اليه ·

قال : لمحتك فى الطريق عن بعد · هل يمكننى أن أجلس ؟

ـ أهـــلا ··

ـ تهربين منى ؟

ـ أبدا ·· كيف حال دراستك ، وصديقتك ؟

تنهد نذير ، أشعل سيجارة ، قال : هل تدرين ماذا يصنع الندم فى نفسية الانسان ·

ـ ······

قال : يخربها ، يدمرها ·

ـ وأحيانا يطهرها ··

ـ فى هذه الأيام فكرت كثيرا فى موضوع الندم · تساءلت

لماذا يفعل الانسان أشياء يندم عليها فيما بعد · ولماذا يندم ؟!

ابتسمت أمينة ··

قالت : أحيانا يتصرف الانسان بدافع من الغرور أو العناد أو الحمق · أو الغباء فيندم بعد فترة ، أو بعد أن يزول هذا الدافع، وأحيانا تحيطه ظروف تجعله يتخذ قرارا سريعا بدون أن يفكر ، فيندم عندما تخف حدة الظروف المحيطة به ·

قال : هل يمتنع الانسان عن التصرف فى أى شىء قبل أن يوازن كل أموره ؟

ـ نعم ، وعندما يتخذ قرارا لابد أن يتحمل مسئولية قراره ونتائجها ٠

ـ لم أعد أعرف أين الصواب وأين الخطأ ؟

ـ فى يوم ما ستعرف ٠

ـ أحيانا الصواب الذى أظنه صوابا بعد حين أجد أنه خطأ ٠٠ وأحيانا الخطأ الذى أظنه خطأ بعد حين أجد أنه كان الصواب ٠

قالت أمينة : كل منا يمر بهذه المحنة فى فترات من حياته ٠

ـ أى محنة ؟

ـ الصواب والخطأ ٠

ـ أحيانا أريد أن أبكى ولا أستطيع ٠

ـ نذير ٠٠ لو استسلم الانسان لفكرة الندم لن يستطيع أن يعيش حياته ٠

ـ الليل هبط ٠ هل يمكننى أن أرافقك الى المنزل ؟

ـ ستبقى هناك ٠٠ أعنى فى المنزل ٠

ـ نعم ٠ قررت أن أبقى هناك ٠ لم أستطع أن أركز فى عملى وأنا متواجد عند سـوزان ٠٠ اتفقت معهـا أن أذهب اليها فى الاجازات الأسبوعية ٠

وفى الطريق الى منزل المغتربين كان الصـمت رفيقهما ٠٠ وعندما اقتربا من الحديقة الكبيرة المحيطة به ٠ قال نذير :

ـ أمينة ٠ لا تتهربى منى ٠ نحن صديقان على أى حال ٠

قالت : هل تسمع ٠ عصفور الليل بدأ يغرد ٠ أمس كانت أول ليلة أسمعه فيها يغرد ، أسمع صوته ٠ مثل البلبل فى بلدنا ٠٠ اسمع ٠٠ لا ٠٠ انه شىء آخر ، ليس مثل البلبل ٠

قال : أحب صوته فى هذه البلاد · معلنا عن الربيع واقتراب الصيف ·

— هل تسمع ·· كل طائر يغرد فى الليل يسمونه عندليب أو طائر ليل ·

— أنت طائر ليل ، تحبين الليل · تنتعشين فيه · تغردين مثل طيوره ·

— ليس كل طيور الليل مغردة · بعضها مخيف · بعضها محبوب ·

— أنت عصفور الليل المغرد · المخيف أحيانا · المحبب دائما الى نفسى ·

جرت أمينة فى الحديقة الى باب المنزل ، وصعدت السلم مسرعة الى حجرتها تلهث · ولم تدر اذا كانت هاربة منه · أم فرحة بعودته الى المنزل ·

جلست فوق مقعد فى حجرتها ·قامت · خلعت معطفها ·· فكرت أن تخلع ملابسها · لم تفعل · نظرت فى المرآة · مسحت وجهها بمنديل · وضعت بعض الماكياج · خرجت من الحجرة ، ونزلت الى حجرة المكتبة والمسامرة ، كان الباب مغلقا وصوت « فيروز » يصدح بأغنية ،.عندما فتحته جاءها الصوت واضحا · « وعدونى عيونك بالنوم ·· رجعوا سهرونى · راح اليوم ·· وميت يوم · ما عادوا سألونى » والتقت عيناها بعينى نذير · ونظرت العيون الموجودة فى الحجرة اليهما الى نظراتهما المتبادلة · وغنى فايز مع صوت « فيروز » ·· « ياحبيبى لا تغيب كثير ·· تتأخر ليلية » ··

ابتسمت له أمينة تحييه · تحيى الموجودين · وصفق «تونى» الأفريقى مرحا وقال وهو يترك مقعده انه سيذهب ليحضر بيرة ويقيمون حفلة · ضحك الموجودون · وكانت سهرة لم يسهروها منذ وقت طويل ، مع الأنغام العربية والأوروبية والأحاديث الضاحكة ·

وكان نذير مرحا . قال هامسا لأمينة انه من زمن لم يشعر بهذا المرح وأنه حقيقة افتقدهم .

قالت : « نحتفل بعودتك » .

ونظر اليها نظرة طويلة ، فهمت منها كلمات كثيرة ، وخفق قلبها . وكانت أحلام ليلها وردية ، أنعشتها فى صباح اليوم التالى وان كانت لم تذكرها جيدا .

●

خلف مائدة صغيرة فى بيت أنيق ، جلست أمينة مع مديرة مصنع العرائس وزوجها مدعوة للغداء . بعد أحاديث عن المصنع والمجتمع ترك الزوج الصديقتين .

سألت أمينة صديقتها ، هل تتاثرين بأحلام الليل ، أم انك من النوع الذى لا يحلم كثيراً ؟

قالت ماريا : كل فرد يحلم .. كثيرا ما أنسى أحلامى فى الصباح .

ـ أنا أذكر أحلامى وأتأثر بها .

ـ أمينة عزيزتى . لابد انك بدأت تشعرين بحنين لوطنك .

ـ ربمـــــا .

ـ كيف حالك مع صديقك السورى ؟

ـ كيف عرفت ؟

ـ أخبرنى بيتر بعلاقتكما . وانه فى الفترة الأخـــيرة لاحظ انك على غير مايرام ، ولم يعد براكما معا .

ـ لم أخبر بيتر بشىء .

ـ الرجل المجرب يرى ويفهم .

ـ لذلك كان يصحبنى الى الحفلات الموسيقية ليخرجنى من وحدتى دون ان يشعرنى ٠٠ انسان نبيل ٠٠ بيتر ٠٠

وحكت امينة باختصار لصديقتها عن قصتها القصيرة ٠ قالت انها لم تعد تهتم الآن ، وانها على أى حال كان من الصعب عليها أن ترتبط برجل غير مصرى أو أن تعيش على أرض غير أرض بلدها ٠ وافقتها « ماريا » على رأيها ونصحتها للمرة الثانية منذ صداقتهما ألا تترك بلدها ٠ فالوطن يحتاج لخبرة أبنائه خصوصا فى الفترات الحرجة ٠

سألت أمينة : هل تظنى أن وجودى هنا ودراســـــتى لفن العرائس له فائدة لوطنى ؟!

قالت ماريا : لن تشـــعرى بهذه الفائدة الا عندما تعودين لوطنك وتمارسين خبرتك ٠ أم اننا لم نفيدك فى شىء ؟

ـ استفدت نعم ٠ لكن أحيانا أفكر أن مشـــروع مجموع الشركات التى أعمل بها فى انشاء مصنع للعرائس نوع من التهريج ٠٠ هل نحن الآن فى حاجة الى مصنع عرائس أم مصنع اسلحة ؟!

ـ كلاهما ضرورى ٠

ـ ماريا تقولين هذا لأنك ٠

قاطعتها ماريا : أقول هذا لأنى مررت بتجربة حرب وكان الأطفال فى أحلك الأيام ظلمة ويأســـا يبحثون عن أشياء جميلة يلعبون بها ٠

ـ أحيانا أشعر بخزى من نفسى ٠ ومن الذين أرسلونى هنا وبلدى فى حالة حرب ٠ وأفكر فى العودة ٠ أنا آسفة لحديثى هذا ٠

ـ وأنا سعيدة بحديثك هذا لكن ثقى أن وجودك هنا له فائدة كبيرة سواء فى مصنع العرائس أو فى هذا المجتمع ٠

ـ نعم تجربة كبيرة ٠ أول مرة ابتعد فيها عن بلدى لمدة طويلة وأواجه العالم وحدى ٠

قالت ماريا : أخبرني بيتر أن لك رغبة فى عمل دراسات عليا فى تخصصك الاجتماعى أمس فقط أخبرنى انه سأل فى الجامعة اذا كان يمكنك الحصول على منحة دراسية وعلم انه لا يعطونها لكن يمكنك على اى حال تسجيل رسالتك وسندبر الأمر ٠

– أشكرك وبيتر على هذا الاهتمام ٠

– تستحقين كل اهتمام ٠

●

« كنت أسير بجوار فندق كبير ورأيت رجلا خيل الى انى أعرفه ٠ ظهره ٠ كتفاه ٠ رأسه ٠ أعرفهم جيدا ٠ اضطربت قليلا ٠ هززت كتفى وسرت ظهور الرجال تتشابه ٠ لماذا أفكر فيه ٠ وأى ريح مؤلمة يمكن أن تقذفه الى هذا البلد ٠ فى صباح اليوم التالى دخلت عفاف الى حجرتى وقالت لى أن رجلا مصريا ينتظرنى فى حجرة المكتبة والسامرة ولم تسأله عن اسمه أخذت حقيبتى ونزلت ٠٠ وجدته يقف أمام نافذة ٠ ظهر هذا الرجل وكتفيه ورأسه أعرفهم جيدا ٠ هو من رأيته بالأمس يدخل الفندق ٠ الرجل الذى أحببته يوما وعبر عن حبه بخطوبتى ! ثم ترك كل شىء وهاجر يأسماء لماذا شياطين الأرض تتبعنى ؟!

التفت الى ، وقفت ملتصقة بالأرض ٠ اضطربت ٠ جلست على مقعد قريب اقترب ٠ ربما شعر اننى لن أمد يدى بالسلام فلم يقدم يده ، وجلس على المقعد المقابل ٠ كأن من الصعب أن يبدأ الحديث أو أسأله ماذا تريد منى الآن !

قال : عدت من أسبوعين الى بلدنا ٠ سألت عنك فى البيت ٠ قالت لى عمتك انك مسافرة وأن أبتعد عن طريقك ٠ سألت عنك فى العمل وعرفت انك هنا ٠

وسألته نظرتى : ماذا تريد منى ؟

قال : ضمن رحلتى العملية بلاد قريبة من هنا فجئت لزيارتك٠

وسألته نظرتى : ماذا تريد منى ؟

قال : جئت اليك ربما تغفرى لى · تعذبت كثيرا طوال تلك السنوات الخمس ·· صورتك أمامى دائما · وبالذات نظرة عينيك يوم سألتينى اذا كان الخبر صحيحا وأجبتك بالايجاب · منذ ذلك الوقت ونظرة عينيك تطاردنى ،مثل نظرة عينى غزال جريح عندما لا تقتله رصاصة الصياد فقط تصيبه بجرح · نظرة متألمة · حزينة باكية بلا دموع · نظرة تحمل حزن الدنيا · هكذا كانت نظرة عينيك التى طاردتنى ·

وسألته نظرتى : ماذا تريد منى ؟

قال : أقول لك هذا التشابه لأنى رأيته بعينى · قبل سفرنا الى كندا · ذهبنا · أعنى مع زوجتى وأصدقائنا الى رحلة صيد غزال فى صحراء مرسى مطروح · عندما طاردت غزالا وصوبت اليه رصاصة لم تقتله · جرح ونظر الى · ورأيت نظرة عينيك ·· صرخوا فى أن أصـــوب رصاصة أخرى اليه لم أستطع وبكيت ·· منذ ذلك الوقت ونظرة عينى الغـــزال · التى هى نظرة عينيـك تطاردنى ·

وسألته نظرتى : ماذا تريد منى ؟

قال : كانت أسعد أيام حياتى معك · الانســـان لا يعرف سعادته الا بعد أن يفقدها أو يتركها بحمق ·

قمت · قلت : سأحضر قهوة ·

تركت الحجرة الى المطعم · ربما لأســـتعيد كلماته ·أو لأستعيد قوتى لحظة غريبة هذه التى كدت أجن يوما لألقاها منذ خمس سنوات قبل أن يهاجر · أن يعود الى ، ويقول لى أن أسعد أيامه كانت معى ويعود الى ·

وهاهو يعود الى · لكن بعد أن خمدت كل المشاعر الجميلة ، كانت حقيقة أسعد أيامى معه ، سنتان لم يشك أحدنا فيما يحمله للآخر من مشاعر جميلة · تحدثنا عن خطوبتنا واحتفلنا بها فى

العائلة ، لكننا لم نضع خاتمى الخطوبة فى اصبعينا . اتفقنا على أن تكون الخطوبة الرسمية مع عقد القران ، وفجأة عرفت أنه اختار أخرى ليتزوجها ، عرفت أن عائلته تدخلت فى هذا الاختيار . عرفت أن والد الفتاة رجل أعمال من الذين أثروا فجأة وبوقاحة ، وأن شركته التى يديرها فتح لها فرعا فى كندا ، وهذا الفرع عرض على حبيبى كصفقة للزواج ، لامكانياته وموهبته .

لم أدرك أن هذا الجزء الصـــغير من الانتهازية فيه سيكبر فجأة . لم أكن أدرك أشياء كثيرة فى الحياة .

كان يريد سيارة . وكنت أريد أولا بيتا . واختلفنا . وانفتحت له أبواب الحظ السعيد . فوجد الفتاة والسيارة والبيت والمنصب الكبير والسفر الى كندا ، لم أدرك أشياء كثيرة فى الحياة . أنا أيضا أستطيع أن أتذكر نظرة عينى المتألمة الحزينة وأنا أسأله هل هذا الخبر صحيح . هل كنت تعرفها وأنت تحبنى ، وماذا فعلت بك لتتركنى ؟

فى أول الأمر ثرت ولعنته . وحقدت على المجتمع الذى لا يختار فيه سوى الرجال ، لا يقرر فيه سوى الرجال ، وعندما بدأت أفهم طبائع الناس عذرته . ليس هو الملام بل أنا التى لم افهم أفكاره ونوع الحياة التى يريدها والمرأة التى يتزوجها . عندما بدأت أفهم عرفت أنها ليست أنا . خمدت ثورتى وحقدى ، لكنى لم أســـتطع أن أنزع هذا الجزء من الحزن الذى استكان فى نفسى . فماذا يريد منى الآن ؟!

عدت الى حجرة المكتبة والمسامرة بفنجانين قهوة ، وضعتهما على المنضدة أمامنا . جلست وأخيرا خرج صوتى وسألته :

ـ ماذا تريد منى الآن ؟

ـ الحياة بدونك فظيعة .

ـ ربما الحيـــاة فى كندا فظيعة ، فخيل اليك انها بدونى فظيعة .

ـ أمينة ٠ ٠أنا مستعد أن أترك عملى وزوجتى ٠ وكل شىء ونبدأ من جديد فى بلدنا ٠

ـ أعرف أن لك طفلة ٠

هز رأسه بالايجاب ٠

قلت : كان يمكن أن تكون طفلتى ٠

ـ أمامنا الوقت لننجب خمسة أطفال ٠

ـ أجهضت كل أطفالى ٠٠

أمسك يدى ٠٠

قال : أدتقدت حكمتك ٠٠

سحبت يدى من يده ٠

قلت : الحكمة لا تصلح لزماننا الآن

ـ ماذا يصلح ؟

ـ ما اخترته أنت ٠٠

ـ أنا مستعد أن أترك كل شىء ٠

ـ كل منا أصبح له طريق مختلف ٠٠ لماذا تريد أن تفسد حياتك الآن بعد أن صنعتها ؟

ـ أريد أن أصلح حياتانا معا ٠٠ أنا أخطأت فى حقك وحقى أيضا ٠ وأريد أن أصلح هذا الخطأ ٠

ـ بخطأ آخر ؟

وساد الصمت بيننا ٠٠

قالوا لى وقتها ألا أحزن ٠ فالذى حدث لى ٠ أحسن لى ٠ ولم أستطع أن أشرح لهم عواطفى ٠ وأننى أحببته بالرغم من عيوبه ٠٠ وأن فى داخله جزءا طيبا خيرا ٠٠ وهذا ماجذبنى اليه ٠٠ قلت

أعرف أن ما حدث لى · احسن لى · لكنه ايضا ، جرح لى ·· والانسان دائما يجد مبررا لتصرفاته · يجد مبررا لفشله ، فالذى يكون أحسن الناس عندما يخرج من حياتنا يصبح أرذلهم · والذى نحمد السماء على لقياه · نحمد الله على ابتعاده عندما يسىء الينا ·

قال : أنا لست سعيدا فى حياتى · كونت ثروة من عملى · واستقليت بالعمل ، لم أعد شريكا لحماى · فكرت أن أعود الى بلدنا وأبدأ مشروعا جديدا ، وأبدأ حياتى من جديد · وفكرت فيك أنت بالذات ·

— تظن الناس فى أنتظارك دائما · ورهن أشارتك ؟!

— فكرت فيك أنت يا أمينة · وفكرت فى عمل مصنع للعرائس فى بلدنا من أجلك أنت · عندما علمت أنك هنا تدرسين هذا الفن ، قررت أن يكون هو مشروعى ، عرضــــت الفكرة على هيئة ادارة مجموع الشركات التى تعملين بها · قلت لهم الشرط أن تكونى أنت مديرته · شكروا فيك · وطلبوا منى أن أكتب لك · وفضلت أن أحضر بنفسى · ولا أنكر اننى كنت أعلم أن مشروع المصنع ضــــمن خططهم المعطلة لعدم الامــــكانيات المادية لذلك تقدمت بامكانياتى ، من أجلك أنت يا أمينة ، أرجوك صدقينى ·

نظرت أليه : لم أستطع تصديقه أو تكذيبه ، ولم أستطع انكار فرحة فى داخلى ·

قلت : اذا كان هذا المصنع سيفيد بلدنا الآن أنا مستعدة أن أقدم خبرتى ودراستى التى استفدت منها هنا · لكن لا تفكر يوما اننى سأعود اليك أو أبدأ حياتى من جديد معك ·

— يوجد رجل فى حياتك الآن ؟

ـ يوجد أو لا يوجد ابعد عن راسك هذه الفكرة ٠

ـ هل يمكننى أن ادعوك للعشاء الليلة ؟

ترددت قليلا ٠٠

قلت : هل يمكن أن تدعو معى صديقة لى هنا وخطيبها ؟

ـ حتى لا نتحدث ٠٠ أو ٠٠ لا أتحدث فى أحاديث خاصة ٠٠ يمكن أن تدعى من تشائين ٠٠ سأنتظركم فى فندق ٠

ـ أعرف ٠٠ رأيتك بالأمس هناك ٠

نظر الى متعجبا ٠ كاد يقول شيئا ٠ صمت ٠ خرج على أن نلتقى فى المساء ٠

مع الأنغام نسيت أمينة تماما أين هى فى بلاد العالم · ظنت أنها فى ملهى ليلى فى بلدها · وهاهو خطيبها يقف أمامها مادا يداه لتراقصه · مع الأنغام تقوم فرحة ·· تتمايل ·· تبتعد عنه · تقترب منه · مع الأنغام تبتسم · ترد على ابتسامته المميزة التى تملأ كل وجهه · تملأ حياتها ومستقبلها وأحلامها الوحشية · مع الأنغام تهتز ، وكأنهما لم ينفصلا خمس سنوات ولم تهتز الأرض من تحت قدميها مرارا · مع الأنغام تنجذب الى صدره · تضـــع رأســـها على كتفه ، مع الأنغام يهمس فى أذنها ·· « أحبك ·· سأعوضك كل عذاباتك ، كل ما فاتك » · مع الأنغام تعود الى الواقع ·· تدرك انها فى بلد بعيدة عن بلدها · وهذا الرجل الذى ترتكن على صدره ويحيطها بذراعيه ليس خطيبها · كان فى زمن ماض ·· وهذه الأنغام تذكرها فقط ·· بما كان · وهذا المكان يذكرها فقط · بما كان · ابتعدت قليلا عنه · نظرت الى وجهه · تذكرت صورته مع التى اختارها فى مجلة مصورة ·

آهة عالية فى داخلها ، اذا صرخت بها ستدوى فى المكان · ستطغى على صوت الأنغام · وكل ضجة العالم · وقفت بلا حراك ·· سألها ماذا بها · قالت : متعبة · وذهبت الى المنضدة · كانت عفاف وأحمد يرقصان · وسألها مرة أخرى وهو يشعل لها سيجارة ماذا بها ·· لا شىء ··

وأدركت وياويلها مما أدركته ، أن حبيبها الأخير فى بلدها شـبه هذا الرجل الذى كان خطيبها فى أشياء كثيرة من الملامح والتصرفات · أدركت أن أحلامها التى رأت فيها الوجهين متشابهين ما كانت الا تنبيها لها · فهل أسقطت تماما من حياتها صـورة خطيبها الذى هجرها فلم تدرك هذا التشابه الا الآن ؟ وهل كان حبها الأخير امتدادا لحبها لهذا الرجـل الذى يجلس أمامها الآن محدقا فى وجهها بنظرة متسائلة لتغير مزاجها المفاجىء !

آهة ·· عالية من الأعماق · اذا صرخت بها ستدوى فى المكان · ستطغى على صوت الانغام · وكل ضجة العالم · لكنها بارعة فى اخفاء حزنها وآهاتها ، بارعة فى التظاهر بالقوة ·

وفى نهاية السهرة · سألها اذا كان يمكنه أن يرسل الى مكان عملها ويخبرهم بموافقتها على ادارة مشروعه فى انشاء مصـنع العرائس · قالت انها موافقة ، لكن لابد أن تكون موافقتها على أساس من الحقيقة · أن يرسلوا لها هم بالمشـروع ، وتخبرهم بموافقتها · قالت أن الأيام علمتها ألا توافق شفويا أو عاطفيا على شىء ، وفهم ماذا ترمى اليه · وقال لها للمـرة الثانية فى ذلك المساء · أنه سيعوضها كل عذاباتها · وكل مافاتها · هزت كتفيها وسارت مع صديقيها ··

●

قال « فايز » بصوت مرتفع فى المطعم انه بعد أن علم من أحمد أنه وأمينة ورجلا مصريا وعفاف قد سهروا سهرة فاخرة فى ملهى ليلى لا يجرؤ طالب علم أو موظف فى هذا البلد أن ينظر الى المكان من الخارج ·فقد قرر أن يسلى نفسه فى وحدته بشراء آلة عرض سينمائية مادام أصدقاؤه المقربون لا يدعونه فى سهراتهم الفاخرة، ومع ذلك فهو يدعوهم هذا المساء الى مشـاهدة الافلام الروائية القديمة التى سيشتريها اليوم ·

ابتسمت أمينة وهى تضع فنجان الشاى أمامها ، ونظر اليها نذير الذى كان يشاركها فى المنضدة الصغيرة المجاورة للمنضدة التى يجلس خلفها فايز وأحمد وعفاف · سألها بصوت منخفض :

– أمينة · من هذا الرجل الذى كنتم معه بالأمس ؟

نظرت أمينة بدهشة وبها شيء من الفرح لغيرته ·

قالت : خطيبى السابق ·

– لماذا حضـــــر هنا ؟ وكيف عرف مكانك ؟ ولماذا تخرجين معه ، وفى ملهى ليلى ؟!

قالت : هذه أشياء تخصنى وأعتقد أنها لا تهمك ·

أشعل نذير سيجارة ولاحظ فايز غيرته ، فأخذ يحكى بصوت مرتفع من خياله عن السهرة الفاخرة التى حكاها له أحمد عندما عادوا بعد منتصف ليلة الأمس ، ثم قال موجها الحديث لأمينة انه يود أن يعمل معها فى مصنع العرائس الذى ســـــينشئه لها رجل الأمس وأنه سيحول دراسته الى هذا الفن ، وأن « عفاف » أيضا أبدت رغبتها فى العمل معهم ، وأن مصر ستمتلىء بالعرائس ·

قال نذير – وأنصاف الرجال ··

وأنتقض أحمد غاضـــــبا وهو يقـــــول : ماذا تعنى يا نذير الشؤم ؟ »

قال نذير : أعنى ما أعنيه ، واحترم نفسك ·

وقام فايز يمسك بأحمد حتى لا يهجم على نذير ويضربه ·· وحدثت حركة هرج فى المطعم وتساؤل ·

قالت أمينة وهى تنظر الى نذير : الأفضل أن تعتذر ·

قال غاضبا : أعتذر عن قول الحقيقة ؟ أن يترك رجل خطيبته ويهاجر وراء المال تاركا بلده فى محنتها · ثم يعود ليشترى خطيبته السابقة وأبناء بلده بالمال الذى جناه ، وياليته يقوم بمشروع يفيد بلده ·

اهتزت أمينة بالغضب وماتت الكلمات على شفتيها ، وقال أحمد غاضبا وهو يحاول الافلات من قبضة فايز « أخرس ، لا تتحدث عن بناتنا وعنا بهذه الطريقة » ·

قال نذير بهدوء محاولا السيطرة على غضبه :

ـ أحمد · أنا أحترمك ، وأحترم بناتكم ·

ثم نظر الى أمينة وهو يقول :

ـ وغضبى ماهو اللا غيرة عليكم · وتحذير لكم من الذين يتركون أحباءهم ووطنهم بدافع المصلحة الشخصية · ثم يعودون ليستغلوهم أيضا بدافع المصلحة الشخصية ·

وقام واتجه الى أحمد · أمسك برأسه وقبلها ، وقبل فايز · ثم التفت الى أمينة وقال :

« أنا آسف » · وترك المطعم وتمنت أمينة أن تنشق الأرض وتبتلعها ·

●

توقعت أمينة أن تجد « نذير » ينتظرها فى محطـــة المترو واضطربت قليلا لهذا التوقع · ماذا تقول له بعد أن اتهمتها غيرته· هل هو يغار حقيقة على بلدها أم يغار عليها ؟ وماذا يريد منها الآن ويريد الأخرى والطفل ؟ · ولم تعد تفهم ماذا يدور فى عقول الرجال ، وماذا تقرر أفكارهم · وزادت حيرتها وعدم فهمها بمقابلة الرجل الذى خطبها يوما وهجرها ، ثم عاد يطلب الصفح ويقول انه سيعوضها « بأى شىء سيعوضنى هذا المخبول · وهل يمكن ان يعوض انسان بالمال والمركز عن حب وأمل فقدهما ؟! » ·

لم يظهر نذير · شعرت براحة لعدم ظهوره ، فهى لا تحب أن يبدأ يومها بمشاجرة ، هزت كتفيها لقد بدأ اليوم فعلا بمشاجرة واغتمت ·

قال لها رجل الاستعلامات عند مدخل المصـــنع أن المديرة تنتظرها فى حجرة مكتبها · ذهبت اليها مباشرة · وكان آخر شىء تتوقع رؤيته هذا الصباح · خطيبها السابق · قالت المديرة انها

ليست فى حاجة لتعرفهما ببعضهما ، وانه اتصل بها تليفونيا ٠٠ بالأمس ليزور المصنع وفضل أن تكون أمينة بصحبته حتى تشاركه فى التشاور على معدات المصنع الذى سينشئه فى بلدها ٠

كانت « ماريا » فرحة وهى تتحدث وتوقعت أن تجد أمينة مسرورة لهذا المشروع ٠ وفوجئت بوجومها ٠ صحبتهما المديرة فى أرجاء المصنع ومعرض العرائس واقترح الرجل على أمينة أن ينشئوا فى مصنع القاهرة معرضا مشابها يحكى قصة تطور الملابس العربية أو تحكى العرائس على الأنغام الموسيقية قصة من القصص الشعبى المصرية ٠

وعند الظهيرة سـلم عليهما ، وقال لأمينة انه سيسافر فى المساء وسيعود الى القاهرة قبل نهاية هذا العام ليبدأ فى تنفيذ مشروعه ٠والى اللقاء فى القاهرة ٠

جلست أمينة مع مديرة المصنع فى حجرتها ٠

قالت ماريا : صديقتى العزيزة ستصبح مديرة لمصنع عرائس مثلى ٠ وستدعونى لزيارته ٠

قالت أمينة : هذا أقل شىء يمكن أن افعله لك ٠

– ألم أقل لك لابد أن تستفيدى وتفيدى من دراستك وخبرتك هنـــا ٠

– نعم ٠٠ نعم ٠٠

– لا أجدك مسرورة ٠

– ليس تماما ٠٠

– تعرفين هذا الرجل ٠

– قليلا ٠٠

– قال انه يعرفك جيدا وتحدث عنك حديثا طيبا ٠

ابتسمت أمينة ٠ قالت : هذا الرجل كان خطيبى فى يوم ما ٠

نظرت اليها ماريا بدهشة وسألتها : « أمينة ، وماذا حدث ؟ »

ـ هاجر مع أخرى بعد حرب ٦٧ · هو يعيش فى كندا ·

ـ أعتقد أن هذا ما يجعلك لا تثقين فى مشروعه ·

هزت أمينة رأسها موافقة · حاولت أن تبتسم وهى تقول :

ـ هذا الصباح تشاجر السورى غيرة علينا من مشاريع الذين يتركون بلدهم فى وقت الشدة ويعودون ليستفيدوا منها ومنا ·

أشعلت المديرة سيجارة وقالت : وأنت ماهو موقفك ؟

ـ منه أم من مشروعه ·

ـ الاثنان ··

ـ هو انتهى تماما من حياتى · وعودتى الى بلدنا لا تعنى عودته لى أو عودتى له · أما عن مشروعه فانا أشك أنه سينفذه ·

ـ واذا نفذه ··

ـ ساقوم بالعمل ·· عزيزتى أنا من النوع الذى يفصل بين مصلحة العمل والعواطف ·

ـ هذا ما كنت سأقوله لك ·

●

عادت أمينة وقت الغروب الى منزل المغتربين ، وكانت مرهقة ·· هذا النوع من الارهاق النفسى الذى يؤثر على الجسد فيشعر الانسان انه محمل بأثقال مبهمة · دخلت الى حجرة المكتبة والمسامرة لتسمع الأخبار من الاذاعة أو لتستمع الى بعض الموسيقى من اسطوانة تحبها · وجدت « عفاف » ومعها أمرأة مصرية قدمتها لها · وكانت المرأة تبكى · فى حوالى الثلاثين من عمرها وتبدو اكثر من عمرها ، وجهها مرهق من أثر تعب ومهانة ·

من هذا النوع من البشر الذى عندما تسمع قصة حياته أو مأساته تهون عليك مشاكلك وتحمد الله انك لم تصل الى هذه الحالة ·· لم تستطع أمينة أن تندمج معهما فى الحديث ، واتجهت الى جهاز « الراديو » الكبير · لم تستطع أن تلتقط اذاعة عربية ·· شـــعرت بخمول فلم تقم لتحضر اسطوانة موسيقية تحبها تضعها فى الجهاز · أثناء بحثها عن أخبار من بلدها بين محطات الاذاعة كانت تأتيها كلمات المرأة الباكية ، وفهمت انها زوجة ولها طفلان حضرت بهما الى زوجها الذى يعمل فى هذا البلد ربما يرق قلبه لهما ويعود معهم أو يستبقيهم معه ··

ولم ترد أمينة أن تسأل المرأة ماذا ستصنع فى هذا البلد أو كيف توصلت عفاف الى معرفتها · قامت بهدوء وتركت الغرفة · وصعدت الى غرفتها ·· لا تدرى لماذا الخمول الذى اعتراها ·· لا تدرى لماذا الحزن فى نفسها · هل بسبب آمالها التى لا تتحقق · أم أحلامها سريعة الذوبان · هل بسبب طموحها الخاطىء فى هذه الحياة · أم بسبب الأيام التى تضيع منها فى قصص حب فاشلة · مبتورة · عندما يعترى الانسان الحزن تتحرك كل أحزانه · فتحت الراديو الصغير بجوار فراشها · فتحت كتابا لرواية قرأت ولم تدر كم من الوقت مر عليها · شعرت برغبة فى النوم فاحتضنت حزنها ونامت ·

●

« فى الحلم كنت فى بلدى · قالوا لى عن ظهور مرض غريب، رأيت وجوها لأطباء أعرفهم · سألتهم عن نوع هذا المرض · قالوا انه يأكل الجسد · يتلاشى الجسد تماما · وجاءت امرأة تبكى ، كان وجهها يشبه وجه المرأة الباكية التى كانت مع عفاف · قالت للأطباء أنها استيقظت فى الصباح ولم تجد زوجها بجـــانبها · تلاشى · أكله المرض · اختفى · قلت للأطباء الذين أعرفهم · لابد أن تجدوا طريقة للعلاج والوقاية · قالوا أن هذا المرض قديم لكنه انتشر هذه الأيام ويصيب الرجال ، وليس له علاج مؤكد ·

رأيت صديقتى المقربة تضحك بسخرية ، قالت · هذه خدعة جـــديدة من الرجال لتبرير اختفـائهم · اخـــتراع مرض يأكل أجســـادهم ·

بالرغم من أن الحلم ضـــايقنى الا أننى ضحكت فى الصباح عندما تذكرته · لابد أنه يوجد شىء فى اللاشعور يســـلينا فى أحلامنا عندما ننام ونحن نحتضن أحزاننا · وربما أثر فى دون أن أدرى وجه المرأة الباكية التى رأيتها واختفاء زوجها أو هجره لها أو اهانته لها · ومع ذلك شعرت بالقلق ، ماذا حدث للرجال فى بلدى ؟! » ·

●

قالت أمينة : من زمن لم تظهر هنا ·

قال نذير : قلق ، حائر واتحاشاك ·

ابتسمت أمينة : لأى سبب ؟

قال : المشكلة يا أمينة اننا التقينا فى وقت متأخر ، فى عمر يكون الانسان قد كون عاداته وزاد ارتباطه بأرضه وناسه · وهذا ما تسميه أنت بالانتماء تجاوزا · انما هى عادات وارتباطات تتكون مع الانسان فى رحلته مع الحياة · اذا كنا التقينا مثلا منذ عشر سنوات ربما كان الموقف مختلفا ، ربما كان حديثنا عن المستقبل اكثر · وكانت اشباح الماضى لاتهددنا ، وكان التقاؤنا أكثر جدية ومرحـــا ·

قالت أمينة : لقاؤنا هو حصيلة هذه السنوات العشر · لماذا تقول هذا الكلام الآن ؟

ـ لأنك يوم قلت انك قابلت خطيبك السابق ، شـــعرت أن الأرض تهتز بى · وأنك تنتمين اليه اكثر ، وكنت خائفا أن أسأل عنك أو أراك · خائفا أن أجدك عدت اليه مثلا · أو تركت كل شىء وعدت معه لبلدك لتديرى له هذا المصنع الذى تحدثتم عنه ·

ضحكت أمينة : هكذا ٠٠ بهذه البساطة !؟

– أمينة ، أنا حائر ٠٠٠أحبك ، وايضا أريد طفلى ، أفكارى تكاد تمزق رأسى ٠

– حسبت انك أخذت قرارك من مدة ٠ وعلى أى حال ، كلامك مضبوط فأنا أنتمى لأرضى وناسى ، ولا أحب أن أعيش بقية حياتى على أرض غير أرضى ٠

– متوقع منك هذا الكلام ، من حقك كأنثى أن تدافعى عن كبريائك ، أنا أقدر هذا ٠

تحاشت أمينة نظرة عينيه ٠

قال : في هذا العمر المفروض للانسان فى المجتمع الذى يسير بخطى طبيعية أن يجد الاستقرار والراحة فى حياته ٠ ويكون هذا العمر للانتاج العملى وليس للحيرة العاطفية ٠

– لا تسقط الحيرة الفردية على وضع مجتمعنا ٠

– لا أسقط بل هى الحقيقة ، وأنت مثل واضح لنفسك ، تعيشين حيرة عاطفية بسبب حيرة مجتمعك وعدم استقراره ، اذا لم تكن قد قامت حرب ٦٧ وماترتب عليها ، كنت تزوجت خطيبك الذى خاف على نفسه من الوضع الحائر وهاجر ،وكنت الآن مستقرة لا تضيعين الوقت فى الحيرة بل فى الانتاج ٠

– لاداعى لذكر هذا الماضى كل لحظة ، وعلى أى حال أنا لست حائرة فى شىء ٠

وتحاشت أمينة نظرة عينيه ٠

●

« عندما ننتظر يتركز تفكيرنا على موضوع انتظارنا ٠ وربما لا نلتفت لمرور وتغير الزمن من حولنا ، لذلك تبادلنا نظرات الاستغراب وتعبيرات الدهشة عندما كنا نتناول طعام فطورنا ودخل احد العراقيين الى المطعم وقال بصوت مرتفع ٠

« ياعرب ·· اليوم هو الخامس من حزيران ،يونية ، ذكرى نكسة العرب السادسة » ·

حدثت همهمة بيننا · وقال العراقى : « اليوم مساء ستحضر مجموعة من الناس المهمين فى هذا البلد وعرب غيرنا · وسنقيم ندوة نتحدث عن قضيتنا ، وهذه الندوة متبعة فى هذا المنزل منذ عامين · فأرجو أن يكون الجمع مجتمعا فى حجرة المكتبة » ·

ننتظر · نتابع التطورات السياسية والأخبار · ونفكر ·· كيف سينتهى موضوع قلقنا · وتمر الأيام ونحن لا ندرى انها تمر علينا ، وأحيانا يصيبنا الملل من انتظارنا ، وندرك وقتها أن هناك زمنا قد مر علينا ، عندما نرى طفلا لم نره من زمن قد كبر فجأة ، أو نقابل وجها ترتبط ذكراه بأحداث تلك السـنوات الماضية · أو نسمع كلمات مثل · هذه الذكرى الـ ·· كذا للنكسة ، ولا نصدق أو نصدق ونحن نتعجب كيف مر هذا الزمن علينا ؟!

ربما انتظارنا للنتيجة انها لابد أنتكون أو أنها قد تكون قريبة يجعلنا لانلتفت الى مرور الزمن · كبرنا وكبرت همومنا ومتاعبنا ، وذهبت عذرية آمالنا وأحـلامنا · ونحن ننتظر ، وفترات القلق والانتظار العامة · تزيدها فترات الانتظار والقلق الخاصة ، أحيانا أفكر ألا أعود الى هذه الأرض المنتظرة القلقة ، وأحيانا يجرفنى الحنين اليها · وأقول أن فى فترات يأسنا المريرة يمكن أن يتحقق الأمل ·

وفى المساء حرص العرب الموجودون فى منزل المغتربين على حضور الندوة ، تحدثنا مع الغرباء عن قضيتنا والعراقى الذى هاجمنا يوما أنشد شعرا مؤثرا ناضجا عن قضيتنا · وتعجبت · اننا فى النهاية عرب · أصـحاب أرض واحدة وقضـية واحدة ومصالح مشتركة · وترجم الشعر الى لغة الاغراب · فصـفقوا وتمنوا لقضيتنا نصرا ·

وبعد انصراف الضـيوف من أهل البلد ، وبقى معنا بعض طلاب العلم والعاملين العرب تشاجرت البلاد العربية فى صورة

أبناءها على بعد أميال من أراضيها · من الذى كان السبب فى هزيمة يونيو ؟!

وجاء « تونى » الافريقى من الخارج · سألنى عن هذا الجمع وهذه المشاجرة · واستمع الى بأهتمام · ثم وقف على مقعد ·· صفق بيديه حتى يلتفتوا اليه ، قال : « أصدقائى العرب الآن وقد انتهيتم من ندوتكم · وذكرى آلامكم واتهاماتكم ، لابد أن تمرحوا قليلا لاستقبال مستقبل مشرق ، سأذهب وأحضر بيرة ونقيم حفلة »·

البعض ضحك · والبعض قال جادا انها ليست مناسبة ·· والبعض قال أن « تونى » على صواب لنقيم حفلة ونزيل التوتر · وهكذا أداروا شرائط تســـجيلية لأغانى فيروز وعبد الحليم · وأحضر « تونى » مع اخرين زجاجات البيرة والمياه الغازية والبيبسى كولا لاحتفالنا ، وقال أحدالسوريين الذين حضروا من خارج المنزل، أنهم سيرقصون الدبكة ويغنون · أفسحنا المكان من المقاعد والمناضد ·· ورقصوا الدبكة على الأنغام اللبنانية · ثم جلســـوا يغنون الأغنية المشهورة السورية « يامال الشام » · وارتفع صوتنذير بالغناء · لاحظت أن له صوتا عذبا ، كان يقود الغناء والآخرون يردون عليه ، لاحظت أن نظراته تنصب على وهو يغنى « طال المطال ياحلوة تعالى » ·

لم يغمرنى هذا الشعور بالفرحة أنه يخاطبنى · يناجينى · لم تهزنى نظرة عينيه الحائرة الحزينة · كانت حيرتى أكبر ·· وحزنى أعمق » ·

●

**بعد هذه اللقاءات والأحداث المثيرة للعاطفة والحزن والذكريات** القديمة استلمت أمينة ثلاثة خطابات اعتبرتهم نقطة تحول هامة فى حياتهـــا ·

الخطاب الأول من العمة ·

أخبرتها عن محادثة خطيبها السابق التليفونية · وانها ردت عليه بسخافة وقالت له أن يترك أمينة فى حالها ويبتعد عن طريقها· وكم كانت تود أن تمد يدها خلال سماعة التليفون لتخنقه · ودعت عليه أن يتشرد فى الأرض لاعتقادها أن سفر أمينة ماهو الا نوع من التشرد فى الأرض · فلو كان تزوجها واستقرت فى بيت لها ما كانت تعذبت هذا العذاب فى الوحدة والاغتراب ، وأخبرتها عن سفر الأمريكية خطيبة أخيها ·

وهذا ما تنبأت به فى أحلامها ، أن هذه الزيجة لن تتم ·· أخبرتها عن فرحة أمها ونصيحتها لابنها أن يتزوج واحدة من بنات بلده ·

« وفك ضيقة بنت من بلدك لأجل أن ترزق أمينة بمن يفك ضيقتها » ·

أخبرتها أن أخاها لم يحزن لهذا الفشل ووعد أمه أن يتزوج من مصرية · وفى نهاية الخطاب الطويل الذى به أخبار اخواتها واخوتها وأولادهم وبناتهم · كتب لها أخواها اللذان يعيشان فى البيت عدة كلمات تعبر عن الشوق اليها وانتظار عودتها لأن البيت بدونها بلا بهجة ، ويكفى أنه لم توجد فى البيت زهرة واحدة منذ سافرت · فلا أحد غيرها يفكر فى شراء الزهور ·

والخطاب الثانى من مدير الجزء الذى تعمل به فى مجموعة الشركات ·

أخبرها عن مشـــروع خطيبها الســابق · فهو يعرفه ويعرف قصتهما لأنه صديق لها ، أخـــبرها أن مجلس الادارة وافق فى اجتماعه الأخير على تنفيذ مشروع مصنع العرائس وأن الرجل قد أرسـل اليهم برقية بعد مقابلتها يخـــبرهم بأنه سيبدأ فى تنفيذ المشروع ، وبعد دراسة وجد أنه سيشترى المعدات من بلد أخرى أوروبية ، وعليها أن تسافر الى هذه المدينة التى أخبرهم بها الرجل ·· كتب لها اسم المدينة والعنوان الذى ستذهب اليه هناك · وأن

الشركة ستساهم ببعض النفقات · وكتب لها اسم رجل لترسل له عن موعد وصولها للمدينة الجديدة لينتظرها · حسب انتهائها من منحة المصنع التى تتدرب به الآن ·

وعلى أى حال لابد أن تنتهى من كل هذه الأعمال خلال ثلاثة شهور ، وأن تعود الى القاهرة أول سبتمبر القادم ، ومع الخطاب تذكرة طائرة مفتوحة تستطيع أن تستخدمها من المدينة التى هى بها الآن الى المدينة الثانية ثم الى القاهرة ·

والخطاب الثالث من صديقتها المقربة ·

بعد كلمات الأشـــواق وسلام بقية الصديقات وأن جلساتهن تنقصها الحيوية بدونها · أخبرتها أنها قابلت « فؤاد » أحد زملائهم أيام الدراسة فى كلية الآداب ، وسألها عن صديقاتها اللاتى استمرت معهن منذ أيام الدراسة الجامعية· واهتم بالسؤال عن أمينة عندما قالت له انها صديقتها المقربة ، وانها الآن فى أوروبا فى منحة تدريبية · وعرف منها أنها لم تتزوج بعد ·

باختصار عرف الخطوط الواضحة فى حياتها ، وسألها أن تكتب لأمينة تسألها اذا كانت توافق على الزواج منه · وعبرت الصديقة المقربة عن فرحتها لسؤال زميلهم القديم « فؤاد » ، وسألته بالتالى عن حياته الخاصة ، وعرفت أنه مطلق ، فقد تزوج لمدة عام واحد · ولم يوفق ولم ينجب ،وأنه لم يتزوج مرة ثانية ليس لأنه تعقد من الزواج بل لأنه لم يجد التى تناسبه ، وأنه معجب بأمينة منذ أيام الدراســـة ويمكن قد أحبها لكن ظروفه المادية وقتها لم تساعده على اظهار حبه وطلبه للزواج منها ·

وانشغل كل بحياته . وهو الآن فى مركز محترم فى عمله ، يملك سيارة وشقة ، وقالت الصديقة أن هذين الشيئين المهمين فى الحياة الآنجعلاها تفرح بطلبه أكثر ، وهى بدورها ترجو أمينة أن تفكر · وأن ترسل لها موافقة مبدئية الى أن تلقاها عندما تعود الى أرض الوطن قريبا ان شاء الله وأخيرا قبلات البنت والولد وزوجها وجميع الصديقات ، وبين قوسين وقبلات « فؤاد » ·

من الخطابات الثلاثة الهامة التى وصلت أمينة وجدت أن أرض وطنها صالحه الآن لتعود اليها · فى عملها ينتظرها عمل هام ومركز محترم · فى بيتها ليس هناك من يثير ضيقها او يزيده فقد رحلت الأمريكية · وكلهم فى شوق الى عودتها واحيائها للبيت ، وفى حياتها الخاصة ، هناك رجل ينتظرها ، واضح فى طلبه ·· يملك امكانيات ومسئولية طلبه · يعجب بها من زمن ويريد أن يتزوجها الآن ·

تذكرت أمينة تقاطيع وجه « فؤاد » وجسده ، تذكرته فى رحلاتهم وحفلاتهم أثناء الدراسة · وكلمات بسيطة ، تخيلت انها أيضا كانت معجبة به · أن تشعر المرأة انها مرغوبة من رجل وتشعر أنها معجبة به أيضا ينتشى شىء فى داخلها ، وهذا ماشعرت به أمينة ، وأصبحت من وقت لآخر تسترجع صورة « فؤاد » الذى لم تره منذ خمسة عشر عاما وتحلم أحلام يقظة معه ·

« فى وحدتى أرى صورتى معه ، أرى عناوين صور كثيرة ، أراها مثل الصور فى حركة الكاميرا السينمائية فى فيلم لتبين وتحكى عن أحداث كثيرة تحدث بلا كلمات · صور متلاحقة فى أماكن مختلفة · فى دار لسينما أو المسرح ونحن نغادر المكان ·· يحيط كتفى بذراعه ، أو ·· أتعلق بذراعه · فى حفلة أو زيارة

يقدمنى لمعارفه · أو ·· أقدمه لمعارفى · أو ·· لا يقدم أحدنا الآخر لأنهم يعرفوننا · فى سهرة أصدقاء يرفعون كؤوســـهم تحية لنا ولارتباطنا · أبتســـم بفرحة · فى الظهيرة أحمل أوراق عملى ومجلات وجرائد اليوم وأنزل مسرعة لأنه ينتظرنى أمام مكان العمل، ألوح لبعض معارفى بالتحية · كأنى أقول لهم هذا ·· هو ·· فى بيتى معه · أتخيل حجرات قليلة · حديثة البناء · جديدة الطلاء وحجرة المعيشة المبهجة الألوان وجلساتنا المسائية معا · وأحاديثنا عن يوم عملنا ، ورغبته فى انجاب طفل وترددى لأننا كبرنا على الانجاب . رؤوس عناوين كبيرة تلاحقنى من وقت لآخر فى أحلام يقظة » ·

وذات مساء شعرت أمينة بوحدة موحشة فاسترجعت صورة « فؤاد » فى خيالها واحتضنتها فى عينيها قبل أن تنام ، وتعجبت من خفقة قلبها لهذا التخيل · لقد تخيلت ذراعه يحوطها وهمسه فى أذنها ، وشفتيه تقبلانها وتقبله ، ونامت تلك الليلة نوما هادئا بلا خوف · وربما بلا أحلام ، وتمنت أن تمضى هذه الشهور بسرعة لتعود الى أرض وطنها ، فحياة الوحدة فى بلاد أوروبا لم تعد تحتمل ·

وقد ردت أمينة على الخطابات الثلاثة . وأخبرت صديقتها المقربة بموافقتها المبدئية على الارتباط بفؤاد !

●

منذ حددت أمينة موعد سفرها الى الدولة الأوروبية الثانية التى ستزورها فى رحلتها والوقت يمر بها سريعا وبطيئا أيضا ·· سريعا وسط الأصدقاء والصديقات وفى المصنع · وبطيئا وهى تتأمل الأشياء حولها والأحداث التى عاشتها ، فهى من هذا النوع من الناس الذى يكره وداع الأشياء والأشخاص · وفى الأســـابيع القليلة الباقية لها فى هذا البلد ، كثرت الدعوات لوداعها · فتيات مصنع العرائس أقمن لها حفلة شاى فى مقصف المصنع ، وقدمن لها الهدايا وكلمات وداع وأمل فى الترحيب بها مرة أخرى فى بلدهم

٠٠ وكانت كلمة « ماريا » المديرة مؤثرة حتى أن الدموع جاءت الى عينى أمينة ولم تستطع اخفاءها ٠

وقد دعتها « ماريا » فى حفلة خاصـــة فى بيتها ، ودعت أبناءها الثلاثة وزوجاتهم ٠ ولم تتعجب أمينة لزواج الشبان فى سن مبكرة ، لم تعد تتعجب لمظاهر اعتماد الشباب على أنفسهم وامكانية الزواج المبكر فى بلادهم ودعاها أيضا « بيتر هانز » فى منزله وتعرفت لأول مرة على زوجته ٠ وقد حاول « خالد » الســورى صديق نذير أن يجمع بينهما فى حفلة أقامها مع زوجته الكويتية لكن « نذير » اعتذر عن الحضور فى آخر لحظة ٠ وقد علق « خالد » على صديقه أنه أكبر مغفل صادفه فى حياته ٠ أما زوجته الكويتية فقد حدثت أمينة عن المدينة التى ستذهب اليها لأنها زارت معظم بلاد أوروبا ٠ وأعطتها أسماء المحلات الكبرى لتشترى منها ملابس وأشياء تنفعها وفى كلمات هامسة نصحتها ألا تفكر فى نذير لأنه انسان مشتت الفكر غير مريح فى معاشرته بشهادة صـــديقه ٠٠ وتمنت لها حظا سعيدا فى المدينة الجديدة التى ستذهب اليها ٠٠ وأمنياتها ان تلتقى برجل أحلامها فى القريب وأن ترسل لها عن كل أخبارها ٠

فى مثل هذه اللحظات تتذكر أمينة « فؤاد » زميلها القديم الذى ينتظرها وتشعر بشىء من الأمان والفرحة المنتظرة ٠

أما صديقتها عفاف وأصدقاؤها فى منزل المغتربين فهم كل مساء تقريبا يقيمون حفلة ٠ يصر « تونى » الافريقى أن يجتمعوا تكريما لاخته ابنة أفريقيا التى سيفتقدونها حتما ٠ وفى احدى هذه الحفلات المسائية قابلت أمينة « وائل » المصـــرى الرابع فى بيت المغتربين الذى لم تلتق به منذ ان حضرت وقال أنه سيىء الحظ لأن الظروف لم تواته للتعرف على ابنة بلده سوى يوم جاءت ويوم وداعها ، لأنه كان فى عمل تدريبى فى بلدة أخرى من الدولة ٠٠ وتعجب لأنها سترحل سريعا مع ان الذين يحضـــرون الى منزل المغتربين يمكثون سنة أو أكثر ٠ وكل يوم تقول لها عفاف انها ستفتقدها ، وعزاؤها انها ستلتقى بها فى بلدها العام القادم على الأكثر ٠

ـ ستدعينى فى فرحك ياعفاف ٠

ـ وأنت ستدعينى فى بيتك لأنى أعتقد انك ستتزوجين قبل عودتى مع أحمد ٠

وكانت أمينة قد حدثت « عفاف » عن خطاب صديقتها المقربة وطلب « فؤاد » زميلها القديم ، وقد فرحت عفــاف للخــبر لأن صديقتها لن تترك هذا البلد وقلبها حزين من قصة حب فاشلة بل بأمل كبير أن تلتقى ربما ٠بالرجل الحقيقى فى حياتها ٠

●

« نظرت اليه ، وخيل الى اننى لم أره منذ سنوات ، وانه قد كبر فجاة وظهر الشيب فى شعره ، وسألنى أن نذهب الى المقهى الذى كنا نتقابل فيه منذ شهور مضت ٠ نظرت الى الاشياء فى المقهى ٠ الصور المرسومة فوق الجدران ٠ المناضد الجميلة الألوان ٠ الواجهة الزجاجية كل هذه الاشياء أرها للمرة الأخيرة ، ونذير يدخن بهدوء وعمق حتى يخفى ما بداخله من توتر ٠ أردت أن أضع رأسه المثقل بالهموم على صدرى لآخر مرة ،وأقول له ان الأيام ستحل مشاكلك ومشاكلى أيضا ٠ ولم أفعل ٠ ابتعد فىحديثه عن قصتنا ، وقصة صديقته التى ستنجب له طفلا وأنا بدورى لم أسأله عنها ٠ تحدث عن رسالة الدكتوراه التى أوشك على الانتهاء منها ٠ تحدث عن عمل ما ٠ لقد بدأ يعمل ليزيد دخله ٠ وشعرت أنه بصورة ما بدأ يرتبط بهذه الأرض أكثر ٠

عند الغروب سرنا فى طرقات المدينة ٠ خطواتنا بطيئة ٠ خالية من الحيوية ٠ كانت الطرقات غير مزدحمة معظم الناس فى أجازاتها الصيفية ، يسافرون الى البلاد الجبلية والساحلية ٠ وشعرت بوحشة بافتقاد لشىء مجهول لا أدرى ماهو ٠ ربما لتلك الأيام التى بدت بعيدة جدا ٠ عندما كنا نمرح ٠ وكنت أشعر معه اننى أصغر من عمرى الحقيقى بعشر سنوات ٠

الطرقات التى نسير فيها لم تتغير ٠ المحلات وواجهاتها المضيئة لم تتغير المقاهى بألوانها المبهجة ٠ لاشىء تغير ٠ لكن النظرة مختلفة

شعرت أننى قفزت هذه السنوات العشر التى رجعت بها من عمرى
.. كبرت فجأة وربما أصبحت أكبر من عمرى أيضا .

حسبت انه سـيعود معى الى منزل المغتربين . لكن عندما وصلنا الى المحطة الكبيرة لخطوط المترو ، مدلى يده بالسلام وقال انه سيأخذ المترو فى الاتجاه الآخر ، وفهمت انه سيذهب الى حبيبته أو صديقته . مددت يدى بالسلام . قال انه يتمنى لى التوفيق فى حياتى . وسألنى أن أكتب له . قبلنى فوق جبهتى قبلة سريعة باردة وذهب كل منا الى الاتجاه المخالف .

شعور مختلط انتابنى وأنا أجلس فى المترو حزن . راحة . قلق . لم أكن أتصور يوما من تلك الأيام التى كان يبثنى فيها حبه واصراره على الارتباط بى . اننا سنفترق بهذا الصمت والحزن والقبلة الباردة . استرجعت صورة « فؤاد » حتى لا أشعر بوحدة .

فى المقعد الخالى بجوارى فى المترو تخيلته يجلس ، ذراعه حول كتفى وكلمات يقولها . اخيرا التقينا . فكرت أن هناك أشخاصا يلتقى الواحد بالآخر الحقيقى فى حياته بعد مشوار قصير ويبدآن مشوارهما الطويل فى الحياة معا .

وهناك أشخاص يلتقى الواحد بالآخر بعد مشاوير طويلة فى الحياة . فهل سنلتقى بعد كل تلك المشاوير الطويلة التى قطعها كل منا بعيدا عن الآخر ؟! لا يعرف أحدنا شيئا عن الآخر . هل سـنوفق معا ؟! ويكون أخيرا . هو . وأكون أخيرا . أنا . بالنسبة له ؟! ماذا تخبئه لى الأيام ؟! .

قلقت قليلا من سؤالى الأخير . فانا أخاف دائما مما تخبئه لى الأيام من تجاربى معها . وأحاول أحيانا أن أصدق انها لابد تخبىء لى شيئا جميلا بعد كل المشاوير الطويلة التى قطعتها فى حياتى .. وعاد الى اطمئنانى عندما عدت الى منزل المغترين ووجدت « عفاف » وأصدقائى فى انتظارى لأجلس وسطهم فى الدفلة المسائية اليومية » .

جلست أمينة فى الطائرة • مشاعر مختلطة تجتاحها • فرحة • خوف توتر ، مثل تلك المشاعر التى شعرت بها منذ شهور وهى تترك بلدها الى هذا البلد الذى تتركه • وقد شــــعرت وهى تترك منزل المغتربين كما شعرت يوم تركت منزلها فى القاهرة • كأنها تودع ناسها لمجهول مرة ثانية وتعجبت من نفسها ، أنها قد تعودت الى حد ما على المعيشة فى هذا البيت ، وأن أصدقاءها وصديقاتها فى هذا البلد مثل أهل لها •

قالت « ماريا» وهى تودعها فى المطار • « سماء بلدنا تبكى لأنك تتركينها » •

وقال « بيتر هانز » : « ستعودين مرة أخرى ، سنراك مرة أخرى، هنا بيتك فى أى وقت تحضرين » •

وبكت عفاف •

كانت السماء كثيرة السحب ، لم يكن الجو حارا تماما ، ولا باردا تماما ، كانت بالجو كثافة من الرطوبة والأمطار الصيفية • كان الجو يوحى بوحدة وغموض مما جعلها ترتجف قليلا وهى فى طريقها الى الطائرة •

نزلت أمينة فى المطار الجديد ، وكان الرجل الذى أرسلت له عن موعد حضــــورها والذى حدثها تليفونيا ، يقف ينتظرها • عرفته بالأوصاف التى قالها عن نفسه وربطة عنقه البنفسجية •

انتقلت حقيبتيها بسهولة من المطار الى سيارة فاخرة • جلس الرجل معها فى المقعد الخلفى • كان للسيارة سائق لاتقل ملابســـه فخامة عن ملابس الرجل الذى استقبلها • سألت أمينة أين ستكون اقامتها • قال لهاالرجل ان السيد « منصور » قد حجز لها فى فندق من الدرجة الأولى فى هذا البلد • ثم أخـــرج من جيبه شيكا بمبلغ كبير ،يمكنها أن تصرفه من بنك الفندق وقال أن السيد قد ترك لها هذه النقود لمصاريفها الخاصة • أجفلت أمينة لحظة ، فالسيد « منصور » هذا هو خطيبها الســـابق • قالت للرجل أن معها ما يكفيها من نقود • فقال وهو يعطيها «الشيك» : أن هذه أوامر «السيد» وهو لابد

أن ينفذها · أخذته من يده · سألته « هل السيدهنا ، أم سافر · وهل سيأتى هذه الأيام ؟ » ·

وأخبرها الرجل أن السيد قد سافر من فترة · وانه لن يحضر فى الوقت الحالى بسبب أعماله فى « كندا » · وأوصى أن يقدموا لها كل التسهيلات ، وأن الرجل سيكون المرافق لها أثناء اقامتها وزيارة مصانع العرائس ،وشراء المعدات اللازمة ، فالسيد قد دفع جزءا من المال اللازم ، وسيدفع لهم الباقى عند الاستلام ، هى ستنتقى وتشترى، وهو سيأتى وقت الاســـتلام ، سألته كم ستستغرق اقامتها فى هذا البلد ·

قال : « حوالى الاسبوعين واذا أردت أن تمكثى أكثر لتقومى ببعض النزهات الخاصـــة ، فقط أن تخطرى الفندق وعلى أى حال فالسيد قد ترك لك حرية التصرف والمكوث هنا » ·

قالت أمينة ساهمة : « أسبوعان · هذا يكفى لأنى أريد أن أعود الى القاهرة فى سبتمبر » ·

وقفت السيارة أمام فندق فاخر والحجرة التى صـــعدت اليها كبيرة · جزء منها به الفراش والجزء الآخر بهمقعدان وثيران وكنبة تصلح لفراش · قال الرجل انه يرجو أن تعجبها الحجرة وتجد الراحة فى الفندق ، وانه سيتركها لتستريح من رحلة الطائرة وسيعود اليها عند الغروب ليذهبا الى العشاء فى بيت مدير أكبر مصنع للعرائس فى أوروبا ، فالسيد قد أوصى أن يوفروا لها جوا عائليا وصحبة دائمة · ألا يتركوها وحدها حتى لا تضجر ، وناولها الرجل كراسة صغيرة أنيقة بها برنامج لزيارتها فى المدينة · لم تنطق أمينة بكلمة من شدة انبهارها ودهشتها فقط شكرت الرجل وهو يذهب ·

نظرت أمينة حولها · كل شىء يحيطها فخامة وثراء · هاهو « السيد » قد بدأ يعوضها عن هجره لها · عن عذاباتها وابتسمت · خلعت معطفها الخفيف وحذاءها · دارت فى الحجرة حافية · من شهور لم تستمتع بالسير حافية القدمين هكذا لم تكن أرض حجرتها فى بيت المغتربين مغطاه بمثل هذا السجاد الفاخر ·

فتحت باب الحمـــام ، وقفت مبهورة أمام اللون الوردى لطلاء الحمام ومحتوياته · غسلت وجهها فى هذه الفخامة · غيرت ملابسها، وعلقت فى الدولاب ما ستستعمله منها · دارت فى الحجرة تكتشــف الأشياء · فتحت جهاز التليفزيون · جلســت فوق المقعد الوثير قامت · أدارت رقم الخدمات من التليفون · طلبت قهوة · أشعلت سيجارة · وشعرت بوحدة فخمة تلفها · دق جرس التليفون · جرت اليه · وكان صوت « السيد » · عبر البحار والبلاد طلبها ليقول لها « حمد الله على السلامة » · ليقول لها انه سيحدثها كل مساء ليطمئن عليها وليعرف أخبار انجازاتها ، وأى شىء تريده · شكرته على المكان الذى اختاره لاقامتها · وكان لا يصح أن يترك لها نقودا · قال الرجل الذى كان خطيبها أن هذا أقل شىء يمكن أن يقدمه للانسانة الوحيدة التى أحبها حقيقة وظلمها · قال أن هذه المدينة مرتفعـــة الأسعار ولا يريدها أن تشعر بأى ضيق مادى ·

قالت انها تقبل هذه النقود على انها ســلفة اذا احتاجتها ستصرفها وستدفعها له فى بلدها · واذا لم تحتجها ســتترك له « النــيك » كما هو مع الرجل المرافق ، وتحت الحاحها خاف أن يغضبها فوافق · قال انه يود أن يكون معها فى هذه الفترة لولا أعماله التى تعطلت بغيابه وتعجبت من نفسها وهى تضع السماعة · انها أيضا كانت تود أن يكون معها ·

●

جاء الرجل المرافق فى موعده تماما ، ومن خلال زجاج نافذة السيارة الفاخرة شاهدت أمينة معالم المدينة · وفى بيت فخم كان لقاؤها مع رجل الاعمال الكبير وعائلته · قالت زوجة الرجل لأمينة أن السيد منصــــور قد تحدث عنها كثيرا وأنها أعجبت بهاقبل أن تقابلها ، وتود أن تكون صــــديقتها فى هذه الفترة القصيرة وأنها سترافقها فى أى مكان تود الذهاب اليه وقد وضعت برنامجا للترفيه فى الفترات التى ليس بها عمل ، وحدثتها عن معالم المدينة التى ستزورها بصحبتها ، وتحدثت أمينة مع الأسرة الصغيرة حديثا وديا، شعرت براحة وسطهم · هذا الجو العائلى المرح المتفاهم يثيرها ·

هذه البيوت الجميلة المبهجة تثيرها . تختلف الاثارة للانسان فى كل مرحلة من مراحل عمره .

وبدأ تنفيذ برنامج زيارة أمينة منذ الصباح التالى فى الساعة التاسعة .

انها فى هذه المدينة ليست فى حكم الطالبة الصغيرة التى تتمرن على عمل وتدرس هذا العمل وتسكن فى منزل للمغتربين مع طلبة بعثات تعليمية أو تدريبية . انها فى هذه المدينة كبيرة . خبيرة . تتنقل فى سيارة فاخرة ، واشترت بعض الملابس التى تليق بظهورها بين أصحاب الأعمال ودعواتهم فى المطاعم الفاخرة . وخروجها مع السيدة الأنيقة التى قدمت لها صداقتها وصحبتها . كانت مظاهر الاحترام والتقدير تحوطها خصوصا وهى تنتقى مايلزم شراؤه لمصنع العرائس الذى ستشرف عليه فى بلدها . انها باختصـــار فى هذه المدينة وسط هؤلاء الناس مديرة لها خبرة . وان كانت مديرة لمشروع لم ينفذ بعد .

واستمتعت أمينة بمكانة لم تعرفها من قبل . وتحقق لها حلما لم تحلم به من قبل . لكنها كثيرا عندما تعود فى المساء الى حجرتها الفاخرة فى الفندق تفتقد دفء صحبة أصدقائها وصديقتها فى منزل المغتربين . تفتقد أحاديثهم . تفتقد الحديث بلغتها ، وسرعان ما تأتى المكالمة المسائية عبر البحار والبلاد ليحدثها « السيد » بلغتها ، كما لو كان لا يريدها أن تشعر بأى افتقاد حتى للغتها .

وأصبحت أمينة تنتظر هذه المكالمة المســائية بشوق ، وعندما تعرف من البرنامج المعد لها أن فى الليلة التالية سهرة فى مكان تخبره بها فيطلبها فى وقت متأخر قليلا . وتساءلت هل هو يطلبها كل يوم ليطمئن عليها حقيقة . هل هى حقيقة تنتظر صوته هو بالذات أم فقط لتتحدث بلغتها ويخرجها من وحدتها ؟!

لقد أدرك الناس فى المدينة السابقة هذه المشكلة . لذلك جعلوها تسكن مع ناس من بلدها ومن بلدان عربية حتى لا تشعر بهذا الافتقاد

.. لكن لأن المدة كانت طويلة · وربمـــا لأنها بحكم بعثة تدريبية اعتبروها طالبة · تذكرت« نذير » ذات مساء · ذكراه كأنها كانت فى سنين مضت · كأنها كانت فى أول شبابها تبحث عن مغامرة حب فى بلد غريب · مغامرة وانتهت وتعجبت أيضا من نفسها ، انها لم تعد تسترجع صورة « فؤاد » وتحلم أحلام يقظة معه · يومها المليء لم يترك لها فراغا للتخيلَ واسترجاع صورة لم تر صاحبها منذ خمسة عشر عاما صوت « السيد » فى المساء وحديثه أبطل هذا التخيل فى عقلها بل أصبحت أحلامها لا تخلو منصورة هذا الرجل الذى يحدثها كل مساء ، وان كانت فى الصباح لا تتذكرها واضحة ·

●

« آه من ويلات الحب الفاشل ، والأحلام المبتورة والأمل غير المؤكد من كان يسمع الصرخات فى داخلى يوم تلقيت الاهانة باختياره أخرى وهجرته · لا يصدق هذا البذخ الذى يعيشنى فيه · قالت صديقتى المقربة وقتها اننى لم أبك الرجل الذى مات كما أبكى الرجل الذى هاجر · قلت بقسوة اليأس لأنه مات وانتهى · الناس تظن أن هول الصدمة يكون خفيفا كلما كبر الفرد وأدرك بالتجارب طبائع الناس · نعم تكون خفيفة فى الظاهر فقط · عميقة مؤلمة لا يظهرها الفرد كلما كبر ، لكنها تؤثر فيه أكثر · لقد تمنيته كثيرا · !كن هل كان يمكننى أن أسعد معه ؟! · وأنا وسط كل هذا البذخ المقرون باسمه ،تمنيت أن يكون هو معى ، فى هذه الحجرة · فى هذد المدينة الثرية الصاخبة · نسير معا · نعمل معا · ليس غريبا أن يطلقوا عليه « السيد » حتى اننى أيضا عندما أتحدث عنه أقول مثلهم ·

آه من ويلات الوحدة والأحـــلام المســـتحيلة والخيانة غير المقصودة · من كثرة ما شـــعرت بالوحدة · من كثرة ما وقفت ، وسرت ، ونمت وحدى · من كثرة ما خنقتنى وقرصتنى وعضتنى وحدتى ، أتمنى المستحيل فى صحبة دائمة · بل فى صحبته الدائمة لكنه تعود على الأسفار وربما الخيانة ، وحياتى لم تعد تحتمل .. وقررت أن أنهى مهمتى فى هذه المدينة فى الوقت المحدد ولا أمكث يوما واحدا أكثر · أسبوعان مرا كأنهما شـهران من كثرة ما زرت

من مصانع وأنجزت فى اختيار الآلات · أسبوعان مشحونان بالنزهات والمقابلات · تعبت وخفت · خفت من التعود على هذا البذخ والفخامة والأحـــلام الحقيقية والوهمية أيضا · خفت من التعود على هذا الصوت الذى يأتينى كل مساء عبر البحار والبلاد · خفت أن تدفعنى وحـــدتى فى هذا البلد الى التعلق به · لكن ألم تدفعنى اليه حتى تمنيت أن يكون معى لأنه يبدى اهتماما وحبا ، ويدق على مشاعرى القديمة لتظهر ؟! · وفى آخر مكالمة تليفونية « طقطقت » فى اذنى قبلاته · وقال انه سيأتى الى بلدنا فى آخر ديسمبر من هذا العام لينفذ مشروع مصنع العرائس · وسألنى لآخر مرة أن أفكر بجدية فى العودة اليه · وقلت له كاذبة اننى سأفكر » ·

●

فى الطائرة للمرة الثالثة ، بنفس المشاعر المختلطة ، فرحة · حزن · توتر · وشعور جديد بالطمأنينة · صور الوجوه تداخلت واختلطت · هذه الوجوه التى قابلتها أمينة خلال الشهور الماضية وتأثرت بها وأثرت هى فيها · صور الوجوه التى تنتظرها فى بلدها، وتعجبت عندما وجدت صـــورة حبيبهـــا الذى قـــررت أن تتركه قبل سفرها تظهر لها ضمن الصور · هزت رأسها لتبعد هذه الصورة فهى لن تعود اليه · لقدسافرت أمينة وهى انسانة مهلهلة النفس والجسد من التعب والاحباط وخيبة الآمال · وهى تعود بصـــورة مختلفة · قوية النفس والجسد وان كانت فى الأيام الأخيرة شعرت بالتعب الجسدى الا أنه سرعان ما كان يذهب بتناولها الفيتامينات وعصير الفواكه · هى الآن تعود الى أرضها انسانة جديدة تماما · مختلفة عن التى سافرت · هى انسانة منتعشة ،مقبلة على الحياة وتحقيق الأحلام الكبيرة ، وبالرغم من أن ظهور خطيبها السابق قد أحزنها وأدهشها ، الا أنه قد أعاد اليها الكثير من كرامتها المجروحة ·· باهتمامه ·· بمشروعه بالبذخ الذى عاشت فيه · بطلبه أن تعود اليه · وهى ان كانت تبعد عن تفكيرها هذا الطلب الا أنه قد أعاد الى نفسيتها شيئا ، شيئا مكسورا أصلح · ليس العيب فيها وليس الخطأ منهـــا ·

لقد ظلت فترة طويلة تعتقد أن خطيبها تركها لأخرى لأن بها عيوبا لا تحتمل ، وأن حبيبها لم يرد الارتباط بها لنفس الأسباب ، فأحبطت لدرجة المرض • لكن ليس العيب منها أو فيها •

وإذا كان المصنع لن ينشأ ، وإذا كانوا لن يستفيدوا من خبرتها • يكفى أن هذه الرحلة قد أعادت لها الثقة فى نفسها • باتقانها وخبرتها فى عمل تحبه • بالحياة بين ناس مختلفين عن ناسها •• بالعواطف • بالحب بالصداقة ، بنذير ، بخطيبها السابق ، وحتى طلب « فؤاد » الذى لم تره منذ خمسة عشر عاما •

فكرت أمينة وهى فى الطائرة ، هل ستجد « فؤاد » ينتظرها فى المطار استبعدت الفكرة لكنها محتملة ، فهى قد أرسلت لأخ من أخوتها برقية عن موعد وصولها وهو بالتالى سيخبر صديقتها المقربة •• وهى محتمل أن تخبر « فؤاد » ، لم تستطع أن تأكل شيئا من عشاء الطائرة • كانت جائعة لكنها لم تستطع أن تأكل ، شربت عصير فاكهة وقهوة • نظرت خلال زجاج نافذة الطائرة ورأت الهلال لأول مرة تنظر الى الهلال وهى فوقه ، ابتسمت الطائرة فى مستوى أعلى من هذا الكوكب الجميل الذى سيكتمل بعد أيام ليكون بدرا ، أين • ومع من سترى الهلال بدرا ؟! • واستبشرت برؤيته وقالت الدعوات كما تعودت كلما رأت الهلال • وكانت دعواتها فى الطائرة أن تغير حياتها حقيقة فى بلدها ، فى كل شىء • فى كل شىء •• وعندما اختفى الهلال أدركت أنها تقترب من الأرض • قالت المضيفة انهم فوق الأراضى المصرية • وخفق قلب أمينة • أغمضت عينيها واعترتها رغبة شديدة فى النوم •

وربما كان مصدر الضجة فى منتصف الليل فى مطار القاهرة هذه المظاهرة العائلية من اخوة واخوات أمينة السبعة وزوجاتهم

وأزواجهن وبعض أولادهم وبناتهم والعمة ٠ وكانوا ينادون عليها وهم خارج الجمرك ٠ وقد استخدم أحد اخوتها نفوذه واستقبلها عند الطائرة ، واخرجها بســـهولة من الجمرك وحمل عنها حقائبها وتعجبت أمينة لهذا الاستقبال الشعبى وفرحت به ، هى حقا لها مكانة عندهم وقد أوحشتهم حتى انهم لم ينتظروا الصباح ليروها ٠ وزادت ثقتها فى نفسها لقد اشترت حقيبة وملأتها هدايا لهم من هذه النقود التى اعتبرتها سلفة من خطيبها السابق ٠ وأخبرتها احدى اخواتها أن صديقتها المقربة اعتذرت عن الحضور وستذهب اليها فى اليوم التالى ، وارتاحت أمينة لعدم ظهور « فؤاد » وسط هذا الجمع ، فهى تريد أن تراه بعد أن ترتاح من تعب الأيام السابقة والرحلة ٠

●

نظر الى « فؤاد » بشىء من الدهشة والشك ، ثم ترك مقعده ومد يده بالسلام ،وقال أن شكلى أصبح أوروبيا ولم يعرفنى · ولما جلست فى المقعد المقابل له من المنضدة الصغيرة نظر الى شعرى الذى قد صففته فى الصباح وسألنى : هل أضع فوق رأسى باروكة ؟

ابتسمت بضيق وقلت :

ـ أنت أيضا شكلك تغير ·

وضع يده فوق رأسه تحسس شعره الذى امتلأ بالشعيرات البيضاء ·

قال : يظهر على الرجال كبر السن لأنهم نادرا ما يصبغون شعورهم أو يضعون باروكات ·

شعرت بالضيق من أول كلمات نطق بها ·

جاءت فتاة تسألنا ماذا نطلب ؟

قال : « آيس كريم » ثم نظر الى مؤكدا طلبه ·

قلت : « لا أحبه » ·

طلب لنا شايا وحلوى ·

نظر الى • قال : أصبحت أكثر جمالا •

ابتسمت لمجاملته •

قال : بعض النســـاء كلما كبرن فى السن يزددن جمالا مثل النبيذ المعتق

واستسخفت مجاملته •

قال انه عندما علم من صديقتى المقربة التى قابلها بالصدفة اننى لم أتزوج أو فشلت خطوبتى وأشياء من هذا القبيل ، فكر فى تلك اللحظة وقال لنفسه ، مادمت أنا خالية وهو مطلق ، ونعرف • بعضنا من زمن لماذا لا نتزوج ؟! كدت أقول له ان هذا لا يكفى لكنى صمت وبدأت أتأمل كلماته وملامحه •

قال : أنه أصبح مديرا ، وقد تعب كثيرا فى طريق عمله ، وكان يرفض هذا المنصب المسئول لكنهم ألحوا عليه •

ابتسمت • قلت : أن الحاح الآخرين لا يكفى لكى يصبح الفرد مديرا •

وابتسم لملاحظتى ••

قال : أن مرتبه أصبح كذا •• وقد تنازلت زوجته السابقة عن الشقة وأخذت الموبيليا الخاصة بها • وتركت له هذه التى أحضرها • قال : أننى بالطبع سأكمل الناقص ، ثم ابتسم وهو يقول : « أو نؤثثه معا » • ولم أعلق •

سألنى عنمرتبى ،ولا أدرى لماذا أردت أن أثير أحلامه ، فقلت : له بلا أرقام أن مرتبى كبير ، وعندما يتم انشاء مصنع العرائس الذى سأكون مديرته سيقفز الرقم الى أعلى • ولاحظت بريقا فى عينيه •

تحدث « فؤاد » عن أيام الدراسة والزملاء والزميلات والذين مازال يقابلهم • تحدث عن حكايات قديمة كنت قد نسيتها تماما ، وتعجبت أنه مازال يتذكرها •

سألنى عن حياتى الخاصة ولماذا تركت خطيبى ، وفهمت أن صديقتى المقربة أخبرته اننى التى تركته ، وأكملت الكذبة ٠

نظر فى ساعته وسألنى اذا كنت أريد أن أتناول طعام العشاء كنت أشعر بالجوع لكنى لم أرد أن أبقى معه مدة أطول ، وشكرته معتذرة ٠

عندما دفع الحساب لميترك بقشيشا للفتاة وقال أن هناك على كل طلب عشرة فى المائة خدمة ٠ لماذا ندفع أكثر ؟

ونحن خارجان من المكان وضع ذراعه حول كتفى ٠ شعرت كأن ذراعه خشبية ٠ انزعجت للفكرة ٠ ابتعدت ٠ ابتسمت فى نفسى، كم كانت ذراعاه تحوطانى فى أحلام اليقظة التى داهمتنى من شهور عندما علمت بطلبه !

وقف بسيارته فى جانب من كورنيش النيل ٠

قال : أنا أتشرف بأن أتقدم لك أطلبك للزواج ٠

نظرت اليه وكدت أضحك ٠

قال أنه وهو فى طريقه الى مقابلتى كان يفكر اننا من المفروض أن نتقابل لنتفق على زواج ابنه من ابنتى أو العكس ، وليس على زواجنا نحن ، ولم أعد أحتمل حديثه ، فسألته أن يوصـــلنى الى المنزل ٠

قاد سيارته ببطء وحذر ، وقال أنه لا يفهم لماذا يقود الناس سياراتهم بسرعة ، هذا يفسد السيارة ويعرض من فيها للخطر ٠ قال انه يستخدم سيارة الشركة فى أوقات العمل ، وكثيرا ما يخرج مع أصدقائه فى سياراتهم ، أما سيارته فهى لمشاويره الخاصة جدا ٠

سألنى هل أحضرت معى سيارة من أوروبا ؟

ضحكت . ضحك مجاريا لضحكاتى ثم سألنى لماذا أضحك ؟ ٠

قلت : أحضرت معى تجربة وخبرة ٠

هز رأسه معجبا أو مستنكرا ، لم أفهم ٠

سألنى عن اخوتى وأخواتى ، وزوجـــاتهم وأزواجهن وماذا يعملون وأين يسكنون ، وفهمت انه يريد أن يعرف المستوى المادى للأسرة ، وكانت اجاباتى ساخرة مقتضبة ٠

أمام باب المنزل نزلت ، ترك سيارته ، دار حولها ووقف أمامى ٠٠ نظر الى المنزل القديم وقال : لابد اننا نسكن هنا من زمن ٠٠ بالايجارات القديمة ، ولا ندفع أكثر من عشرة جنيهات ان لم يكن أقل أمسك يدى بكلتا يديه وقال انه سيحدثنى ، شعرت أن يدى فى علبة خشبية ، سحبتها وسرت ٠

اعترانى انقباض وكآبة لا حدود لهما ، شعرت أن جسدى ثقيل وأردت من يحملنى لأصعد درجات السلم الذى زاد من انقباضى ٠٠ من ساعات فقط كنت أحلم اننى أودع هذا البيت القديم ! وكانت احلام يقظتى منذ شهور اننى سأقفز خفيفة من فرحة اللقاء الأول ٠ !

سألتنى ٠ عمتى اذا كنت قد تناولت طعام العشاء ، أم أتناوله معها فهى تنتظرنى ،قبلتها وقلت لنتناوله معا وسألتها عن أمى قالت انها ذهبت لفراشها وأخواى فى الخارج وصديقتى المقربة تحدثت وقالت أن أحدثها عندما أعود ٠

أخذت التليفون الى حجرتى وجلست أمامه صامتة ٠

شعرت بحنين جارف للرجل الذى أحببته وتركته قبل سفرى ، شعرت بحنين مثل الألم لعاطفة حقيقية وحضن أحبه ٠ رفعت سماعة التليفون لأطلب الحبيب الذى اشتقت اليه طوال الشهور الماضية دون أن أدرى ، أدرت رقمين ووضعت السماعة ، ماذا أقول له ؟ أو كيف سيستقبل صوتى ؟ وأنا التى قررت هجره ، أبعدت فكرة مناداته وبكيت حنينى وافتقادى ، دق جرس التليفون ، رفعت الســـماعة بشوق متخيلة أن حبيبى استجاب لحنينى وشعر اننى عدت فطلبنى ! وكان صوتا غريبا على أذنى ، صـــوت « فؤاد » وانكمش الحنين وتراجع الشوق فى داخلى ٠

قال « فؤاد » انه طلبنى لنتحدث اكثر ، قال اننى لم اجبه على طلبه الزواج منى والمفروض ننى أعرف مقدما عن طلبه ولابد أننى فكرت فلماذا لم أجبه عندما سألنى ؟

حاولت أن أكون هادئة ٠

قلت : لابدأن يعرف كل منا الآخر اكثر ، افترقنا سنين طويلة وتغيرنا ، فلابد أن يعرف كل منا الآخر واذا كان يعجب بهذا التغير ٠

قال : تريدين حبا وعواطف ٠٠ بسيطة ٠٠

قلت : ربما هذا أصعب شيء أريده ٠

زام ٠٠ لم يرد ٠

قلت : اننى أريد أن أنام ٠

سألنى متى نتقابل مرة أخرى ٠ كدت أقول له لاداعى ، لكنى أردت أن أعطى لنفسى فرصة أخرى ٠ ربما أول لقاء حكمه خاطىء ٠

واتفقنا على أن نلتقى بعد يومين »

●

فكرت أمينة ، ماذا تريد من نفسها ،من الرجل ، من العمل ، من الحياة عموما ، ربما هذه أول مرة فى حياتها تجلس مع نفسها وجها لوجه وتفكر بصراحة وجدية ، ولا شك أن تجربة الشـــهور التى أمضتها فى أوروبا ، فى مجتمعات مختلفة وبين ناس جادة تفرق بين اللهو والعمـــل ٠ بين الأحـــلام والواقع قد عمقت من مشاعرها وتقديراتها للأمور والحياة ، حقيقة لقد عادت أمينة الى أرض وطنها وهى تحلم أن تستقر عواطفها وتصنع حياتها الخاصة مع انسان جديد وان كانت صورته فى ذهنها لم تكن واضحة لكنها ولأول مرة فى حياتها تشعر أن صدمة لقائها به ليست فى الحقيقة صـــدمة لأحلامها ، بل على العكس ، كان لقاؤها به هو توضيح صورة أحلامها التى تريد أن تحققها مع الرجل ، وما كانت موافقتها المبدئية على الارتباط به قبل أن تقابله الا هروبا مـ نحيرتها العاطفية وخوفها من

وحدتها فى بلدها وفى عمرها ، وقد تأكدت بعد مقابلته أن الحيرة العاطفية والوحدة أهون عليها من الحياة مع رجل لا تنسجم معه ٠٠

ففى اللقاءات الثلاثة التى تمت بينها وبين « فؤاد » كانت تريد أن تعرف هل يمكن أن تكون صحبته متفاهمة حلوة فكريا وعاطفيا ؟ ووجدت أن « فؤاد » ومركزه العملى وما يملكه من امكانيات للمعيشة حلم الكثيرات لكنه ليس حلمها هى ، وعندما أفصح عن هذا وسألها لماذا لا تريد الارتباط به مع أنه يملك ماتتمناه أية امرأة عاقلة ، ابتسمت ولم تغضب ، لا يصح أن تغضب ، فهو على أى حال كان يؤنسها بخياله فى تلك الأيام الشديدة الوحدة فى غربتها ٠

لقد تأكدت فكرة أمينة فى مسألة الارتباط بالرجل ، فهى ليست مجرد تحقيق حلم البيت الخاص بها ٠ لكن من تعايشه فى هذا البيت ٠ فهى بامكانها أن تقترض من اخوتها أو من بنك بضمان عملها وتشترى شقة جديدة أو تدفع مقدم ايجار ، لكنها تبحث عن الصحبة ، فهى من هذا النوع من الناس الذى يبدو انه يحب الوحدة والانفرادية ، لكنها فى حقيقة نفسها ومشاعرها تشتاق لصحبة دائمة محببة . وهذه لم تجدها مع ، فؤاد » عندما تنضج المرأة عاطفيا وفكريا لا تحتاج لوقت طويل مع الرجل حتى تفهم اذا كانت تستطيع الحياة معه ٠ أم ٠ لا ٠

وكانت أمينة فى اللقاءات الثلاثة مع « فؤاد » تنظر اليه أحيانا وتتساءل هل يمكن أن تحتمل شفتيه فى قبلة ، وكانت الاجابة – لا – قاطعة ، فالشفاه فى نظرها مفتاح للعلاقة الكاملة ، وتأكدت أمينة خلال هذه اللقاءات مع « فؤاد » وبعض المحادثات التليفونية معه ، أن أحلامها التى تريد أن تحققها مع الرجل كانت مع حبيبها الذى تركته قبل سفرها ، فالتوافق والتكامل الفكرى والعاطفى وأيضا المادى كانوا معه ، باختصار الصحبة المتوافقة الحلوة كانت معه ، لكنها كانت خائفة من الحياة والمستقبل واقترابها من عمر الأربعين ، فتصرفت بحمق وعصبية وقررت أن تتركه ، لم تساعده على التخلص من عقدة الماضى فى حياته ، وتصرفت بعنجهية الكبرياء وقالت له أن يذهب الى طبيب نفسانى ليعالجه ٠

أدركت أمينة وهى تواجه نفسها بصـــراحة وجدية انها وان كانت قد أعطته الحنـــان الذى افتقده فى أمه ، الا أنها لم تعطه الاطمئنان والثقة فى المرأة التى يحبها وتحبه ، وقد أفزعته بكذبتها التى سببت لهاكل عذاباتها معه ، فاذا كانت قد فهمت شخصيته وعقدته من الارتباط ما كانت ضـــيقت عليه الخناق بكذبتها انها «حامل » فى طفلة ٠

أثناء مواجهة أمينة لنفسها وبعد رفضها لطلب « فؤاد » فكرت كثير أن تتصل بحبيبها وتعتذر إه عن تصرفاتها معه ، بل وتعتذر له عن الكذبة التى أفسدت علاقة حبهما ٠ لقد حسبت أن علاقة حبها هذه انتهت تماما بسفرها وابتعادها عنه لكنها لم تنته فى داخلها ، فقد كانت تتذكره بحنين غامض من وقت لآخر فى غيابها وفى أحلامها ، هى لم تحب الســـورى ، كانت الغربة والوحـدة والافتقاد العاطفى ، كل هذه الأشياء جذبتها اليه ، اذا كانت أحبته حقيقة ، اذا كانت أحلامها معه ، ما كانت تترك علاقتهما تنتهى بسهولة ، حتى خطيبها السابق الذى ظهر لها عارضا عليها العودة ومازال عرضه ساريا ، انتهى تماما من حياتها العاطفية ، وان كان مازال مؤثرا فى حياتها العملية . أما التشـابه فى بعض الملامح والتصرفات بينه وبين الرجل الذى أحبته حقيقة والذى اكتشفته واضحا عندما التقت به فى أوروبا ، فهذه مصادفة لا أكثر ، وليس استمرارا لحب خطيبها السابق ، اذا كانت مازالت تحبه لفرحت لطلب عودته لها وكانت عادت اليه فعلا ، وكثيرا ما نختار أشخاصا متشابهين ونحبهم لأننا نرتاح ونحب هذا الشـــكل الخارجى أو التصرفات المتشابهة النابعة من داخلهم ٠

كل هذه الأفكار واجهتها أمينة ٠

وفكرت كثيرا فى حبيبها ومع ذلك لم تحدثه ، فضلت أن تنتظر قليلا لتختبر حقيقة شوقها وحنينها اليه ، وربما يكونان بســـبب عودتها الى أرضـــها ومرورها كثيرا على الأماكن التى جمعتهما معـــا ٠

●

« شـــعرت بغبطة منتظرة ، فى هذا الوقت ما بين الغروب والليل وأنا أمر بجوار هذا المكان الجميل على شاطىء النيل ، هذا الكازينو وهذا الطريق الذى لم أمر به منذ شهور طويلة ، أشعر وأنا أمر بمثل هذه الأماكن التى جمعتنى بحبيبى ، أشـــعر بغبطة منتظرة ، اننى سألتقى بحبيبى وتعود أيامنا أجمل مما كانت أيامنا، تعود مع وعى أكبر وفهم أكثر ، وفى مثل هذه اللحظات انظر الى السماء وأدعو أن تحقق لى غبطتى المنتظرة · وأكون متفائلة » ·

وأجلت أمينة فكرة الاتصال بحبيبها ، أعطت لعملها اهتماما أكبر ، انهمكت فى الاعداد لانشاء مصنع العرائس ليكون أول مصنع من نوعه وجودته فى الشرق الأوســـط انهمكت فى كتابة تقارير الخبرة التى اكتسبتها واشتركت مع أحد مهندسى مجموعة الشركات التى تعمل بها فى الاعداد للبنـــاء ، وفى أحد اجتماعات اللجنة المعينة للمشروع اقترح أحد المديرين تأجيل المشروع قليلا لانه ليس بأهمية مشاريع أخرى معروضة للتنفيذ ، ودافعت أمينة عن أهمية مصنع العرائس ، ولعب الأطفال ، واســتعارت كلمات من حديث صديقاتها « ماريا » مديرة مصنع العرائس الذى اكتسبت منه خبرتها فتحدثت عن أهمية لعب الأطفال فى تنمية عقولهم حتى وقت الحروب، واستمعوا اليها باهتمام ووافقوا على البدء فى تنفيذ انشاء بناء المشروع خصوصاً أن برقية وصلتهم من السيد « منصور » تخبرهم بموعد وصول معدات مصنع العرائس الى ميناء الاسكندرية فى أول نوفمبر القادم

وقد وضع اسم « أمينة سالم » فى كشف الترقيات وكان امام اسمها « مديرة » بين قوسين ·

●

قالت أمينة : المفروض انك صديقتى المقربة تفهمين شخصيتى وما أريد تحقيقه لماذا تثورين لأنى رفضت الارتباط بفؤاد ؟

قالت رجاء : ولأنى صديقتك المقربة لابد أن أواجهك وان كانت المواجهة قاسية لقد ضـــيعت ســـنين حياتك فى البحث عن الحب

والعاطفة وتقاذفتك أمواج الحياة وأنت لم تقاوميها ، وقلنا هذا سوء حظ ٠

قالت أمينة مقاطعة :

ـ مسألة سوء الحظ هذه لم تعد تستهوينى ، ربما من زمن كنت أعترف بهاوأحيانا أستمتع بما يكون فيها من مصادفات عجيبة ، غريبة ، وكان استمتاعى نوعا من الأمل ٠ انه مادام يوجد سوء حظ فى قوانين الطبيعة فلابد أن يتغير الى حظ حسن مثل قوانين الطبيعة فى التغير دائما ، أما الآن فمسألة الحظ عموما لم تعد تستهوينى ٠

قالت رجاء : معك حق ، لكن الآن ونحن فى هذا العمر الذى يقترب من الأربعين لابد أن نعيش حياة عاطفية مستقرة ، اننا لانحتمل تقلب العواطف فى هذا العمر ٠

ـ أعرف اننا لا نمسك بخيط واه ونقول اننا شباب دائما حتى وان لم يبد علينا حقيقة عمرنا ٠

ـ لكننا أحيانا نمسك بخيط واه ونقول الأحلام تتحقق فى أى عمر ٠ فهل أحلام عمر العشرين ٠٠ يمكن أن تتحقق فى الأربعين ؟

ـ لم ٠ لا ٠ ؟

ـ لكن هل يوجد الوقت الآن لتدخلى تجربة حب جديدة مع احتمال فشلها ٠٠ أمينة ٠٠ هذه فرصة لتستقرى عاطفيا ٠

ـ لا أخفى عليك ياصديقتى ان هذه المشكلة تشغلنى أحيانا ٠٠ كثيرة ، بالرغم من فرحتى وانهماكى فى مشروع عملى الجديد ٠ أعنى الاعداد لمصنع العرائس ٠ عندما ينتهى اليوم ، وأجد نفسى وحيدة تماما فى المساء ٠٠ وكل شىء حولى كما هو ٠٠ وأنا ٠ كما ٠ أنا ٠٠ وحيدة ٠٠

ثم ابتســــمت أمينة لتتغلب على الحزن الذى بدأ يتحرك فى داخلها وقالت :

– اخبريني ياصديقتي بعد تجربتك الطويلة في الزواج ٠ ماذا يعني الزواج في نظرك ؟

قالت رجاء : هو رغبة في أن تعيشي مع انسان معين ترغبينه ، مع احتمال تغير العواطف وقوة احتمال لتغيرها ، من ارتفاع بالحب، الى انخفاض بالكراهية ، الى أن تصبح العلاقة بين الزوجين صحبة متوافقة ٠

قالت أمينة : جئت الى النقطة المهمة ، صحبة متوافقة ، اننا لا نسعى الى الحب ياصديقتي لمجرد الدخول في تجربة ، اننا نسعى الى الحب وفي داخلنا السعي الى الصحبة ، الى من نتحدث معه ٠ من نشعر بالأمان بجانبه ٠ هذا العالم الذي أصبح صـــارخا في وحدانيته ومشاكله ، لابد أن نجد فيه صحبة محببة حتى لا نشعر بالوحشة والوحدة ، هذه الصحبة هي ما أسعى اليه ، ولم أجدها مع فؤاد ٠

– من قال لك هذا الكلام الجميل ؟

– تجاربي ووحدتي ، ووحشتي في هذا العالم ٠

صمتت الصديقتان قليلا ، ثم قالت رجاء :

– جيلنا تحمل فوق طاقته ، عشنا على أصـــوات تهديدات الحروب وما تفعله في حياتنا من قلق ، من لحق وصنع حياته ، فقد لحق وكثير منا كلما بدأ يصنع مستقبله في حياة مستقرة يسرق منه مستقبله ٠٠ أمينة ٠٠ حياتنا مازالت مهددة ، وأريدك أن تلحقي وتصنعي مستقبلك في حياة مستقرة ، هذه فرصة أمامك ٠

ابتسمت أمينة ٠ قالت : لا تتشاءمي هكذا ٠

– أحسدك على تفاؤلك ، بعد كل ما مر بك من أحداث ٠

– أحب أن يحسدني أحد ٠

– أحيانا لا أستطيع أن أفهمك ، أعرف أن هناك شيئا يدور في رأسك ولا أستطيع أن أفهمه ٠ أمينة ٠٠ ماذا تعدين لحياتك الآن والمقبلة ؟

قالت .مينة وقد استعادت مرحها :

ـ سأكون مديرة لأول مصنع عرائس فى الشرق الأوسط وسأذهب فى الأسبوع القادم مع أخى الأكبر لأحجز سيارة سيقرضنى بعض مقدم ثمنها . وأفكر جديا فى البحث عن شقة خاصة بى . أعدها على مهل .

ـ أمينة .. هذا ليس كل شىء . من الذى تفكرين فيه ؟

وابتسمت أمينة .. ولأول مرة تكذب على صديقتها المقربة . وتقول : « لا أحد .. »

●

كانت أمينة تشترى مجلات وتقرأ عناوين الكتب والروايات لتختار مايروقها عندما سمعت الخبر من الراديو فى كشك الجرائد · وقد فسرت ماسمعته على أنه بعض الغارات المستفزة التى تقوم بها الطائرات الاسرائيلية وتهاجم مواقع القوات المصرية · ويتصدى لها الدفاع وتفر هاربة · سارت بعد أن اشترت ما تريده وذهبت لتصفف شعرها · كان المحل خاليا تقريبا ، امرأة واحدة يصفف لها الرجل شعرها ، وأخرى تدفع الحساب ·

انتعشت براحة والفتاة المساعدة تغسل لها شـــعرها وتدلك رأسها بخبرة وعندما بدأ الرجل يصفف لها شعرها قال بهدوء :

ـ يظهر أن الحرب قامت يا أستاذه ·

نظرت اليه أمينة نظرة صامتة ··

قال : ما رأيك · نعمل تسريحة جديدة ؟

هزت رأسها موافقة · استسلمت ليديه وشردت بأفكارها ·· شعرت بشىء مثل الغصة · « الحرب قامت » · نعم كان لابد أن تقوم ·· لكن ·· لماذا الآن ؟! لماذا وهى تعد لهذا المشروع الكبير لمستقبلها فى العمل ؟ لماذا الآن ؟! وهى قد تفاءلت بهذه الغبطة المنتظرة التى شعرت بها منذ أسابيع قريبة وتشـــتاق الى تحقيقها · لماذا تخمد

فرحتها هكذا دائما ، وتعطل مشاريع مستقبلها ؟! هل لا يوجد مفر من وحدتها وأحزانها ؟! وأكدت لنفسها مرة أخرى انها مجرد غارات مستفزة وتنتهى مباشرة ، وأخذت تتصفح المجلات التى اشترتها أثناء تجفيف شعرها ·

وهى تدفع الحساب قال لها الرجل أنه تبعا لمواعيد شـــهر رمضان فالعمل ينتهى قبل موعد الافطار بساعة · أما الآن وتبعا لظروف الحرب سيضطر أن يعمل الى الساعة الثالثة بعد الظهر فقط · نظرت اليه أمينة نظرة صامتة وخرجت ·

فى المنزل وجدت الأم والعمة جالستين بجوار الراديو · قامت العمة واحتضنتها وسألتها لماذا تأخرت ؟! ألم تسمعى الأخبار انشغلنا عليك » · هى اذا حرب دائرة · البيان الأول تبعة بيان ثان وثالث · هى اذا حرب بدأت ·

دخلت أمينة حجرتها · وغيرت ملابسها · استلقت على فراشها لا تستطيع أن تبكى أو تبتسم أو تصدق شيئا · ولم تستيقظ الا على صوت العمة وهى تناديها وصوت آذان المغرب ·

جلســـت أمينة مع العائلة الصـغيرة حول المائدة ، وأغان حماسية وموسيقى عسكرية تذيعها الاذاعة · نظر اليها أحد أخويها وقال مبتسما :

ــ وقعت أحــــداث كثيرة وأنت نائمة · عبرت قواتنا قناة السويس ينسفون خط بارليف ورفعوا أعلاما على أجزاء من أرضنا المحتلة ·

سألته بدهشة وفرحة « صحيح ؟! »

قال : تعجبت عندما جئت ووجدتك نائمة ·

قالت وقد بدأت تأكل : كنت متعبة ·

ارتدت أمينة ملابسها ، فاليوم مساء موعد التقاء عند صديقتها المقربة ، وهو تقليد يتبعونه منذ سنوات أن تلتقى مجموعة صديقاتها وأصدقائها يوما فى الأسبوع عند احداهن أو أحدهم خلال شـــهر

رمضان · يتسامرون أو يذهبون الى احدى السهرات الرمضانية فى ساحة « الحسين » أو فى أحد المسارح ·

بدت علامات الذعر على وجهى الأم والعمة لاستعداد أمينة للخروج · نصحتها العمة الا تخرج · نظرت أمينة من النافذة وقالت أن الطريق ليس مظلما تماما ، لقد خففوا الاضاءة فقط · نصحتها الأم ألا تخرج · لكن أمينة كانت تريد أن تجلس بين صـــديقاتها وأصدقائها ·

وقال أحد أخويها أنه سيخرج أيضا وســـيوصلها الى بيت صديقتها ، وخرجت معه ·

لم يخلف الأصدقاء والصديقات موعدهم · يبدو أن كلا منهم ذهب ليستشعر دفء واطمئنان الصحبة وليســـتمع الى مزيد من الأخبار والتعليقات · لكنهم انصرفوا مبكرين الى منازلهم ·

ولم تعد أمينة تخرج فى المساء ·

تعود من عملها ، تستقبلها روائح اعداد الطعام لفطور رمضان من شقق الجيران ومن شقتهم ، تضع منديلها على أنفها · لا تشعر بجوع · وأحيانا تشعر بغثيان · وتتعجب من أصناف الطعام التى تعدها الأم والعمة كل يوم تقريبا ولا يأكلون منها الكثير على مائدة الافطار · وأحيانا تشتهى صنفا معينا من الطعام ، وتفرح العمة لأنها تطلب شيئا · وكثيرا لا تتذوق ما اشتهته فى الصباح ·

« يا أمينة لابد أن تأكلى ، ستموتين هكذا » من ملاحظات الأم ·

« كلنا منفعلون بالأحداث لكن لابد أن نأكل لنعيش ونتحمل مجهود الانفعال » من ملاحظات أحد الأخوين الموجودين فى البيت ·

« افطرى يا أمينة · وعوضى فطورك بالزكاة ، فقدت الكثير من وزنك » · من ملاحظات العمة ·

وأصبحت السهرات الرمضـــانية بين ترقب الأحداث ووقوعها والاستماع الى البيانات العسكرية والتحليلات السياسية · تجلس

أمينة مع أفراد الأسرة الذين تعيش معهم فى البيت القديم · يتحدثون عن الحروب وذكرياتها وتطور الأسلحة وأخبار العائلة ·

وفى احدى الليالى تحدث أحد الاخوين عن أيام حرب فلسطين الأولى التى كانت فى شهر رمضان أيضا ، وأيام كانوا يستخدمون الكشافات الكهربائية فى البحث عن الطائرات المعادية ، وكيف كان أفراد الأسرة الكبيرة الذين كانوا فى هذا البيت يراقبون الكشافات وهى تحاصر الطائرة خلال شرفة ونافذة حجرة المعيشة هذه التى يجلسون فيها الآن ·

هزت أمينة رأسها بهذه الحركة الصامتة اللاارادية التى تنم عن التعجب والأسى وعدم التصـــديق · وها هى الحرب الرابعة تراقبها من نفس النافذة !

قالت الأم : حياتنا أقدار ·· وهذا مقدر لنا ·

قال أحد الأخوين : اذ قامت حرب عالمية ثالثة ستنتهى تاريخ الانسانية من العالم ·

التفتوا أليه يريدون توضيحا لما قاله ·

قال : سمعت فى احدى الاذاعات الأجنبية ان العالم كان على حافة حرب عالمية ثالثة لاختلاف العملاقين على حل مشكلتنا ، وأعظم الأمور أحيانا يكون على أهون سبب ·

قال الاخ الثانى : وعلى الارض وقتها السلام لانها لن تكون حرب مواجهة بدبابات وطائرات ·

قالت الأم : فال الله ، ولا فالك ·

وقامت النعمة لتصلى ركعتين وتطلب من السماء الا تقوم حرب عالمية ثالثة ·

شردت أمينة بأفكارها · غريبة · لقد جاءتها هذه الفكرة فى الصباح · وقالت انه اذا قامت حرب عالمية ثالثة فالأفضل أن ينتحر الانسان على أن يموت بقنابل نووية قذرة · أو يرى المئات بل الآلاف

يموتون دفعة واحدة ، واذا كان مقدرا الا يكون لانســـان مستقبل فالأفضل أن ينهى حياته بيده • تذكرت افلام الحرب العالمية الثانية هذه التى ظلوا زمنا يصورونها ويعرضونها فى أفلام ، تذكرت صور البلاد المخربة والناس المشردة • تذكرت الحكايات التى سمعتها فى أوروبا عن تلك الحرب الغاشمة •

وقالت أمينة كأنها تحدث نفسها :

ــ اليس من حقنا فى هذه البقعة من الأرض أن نعيش فى أمان ونخطط لمستقبلنا بأمل •

قال أحد الأخوين : أمينة لا تنزعجى ، اننا نحقق انتصارا •

نظرت اليه نظرة صامتة • وعادت العمة الى الحجرة وهى تتمتم « ربنا ينصرنا على من يعادينا » ثم قالت أن الجو حار خانق مع اننا فى أكتوبر ، وعلق أحد الأخوين ، أن النار على الجبهة تؤثر فى الجو • وتمتمت العمة « ياساتر • استرنا ونجينا » •

وأحيانا تضيق أمينة بهذه الجلسات المســـائية وأحاديثهم ، فتجلس وحدها فى حجرتها تستمع الى الموسيقى أو تبحث عن أخبار الحرب وبلدها فى الاذاعات العالمية ، وتتذكر شوقها ولهفتها على أخبار بلدها وهى فى الغربة ، تلك الأيام المشحونة بالأحداث والعمل والعواطف الحائرة ، تتذكرها كأنها كانت فى سنين بعيدة وليست من شهور قريبة • وأحيانا تطلب واحدة من صديقاتها خلال أسلاك التليفون •

فى هذه الليالى الشديدة الوحدة والتوتر المزدوج بالفرح والقلق تختنق أمينة بجدران البيت القديم . تتذكر حبيبها الذى قررت هجره قبل سفرها • تسترجع صورة بيته ، والبساطة الحديثة التى ينظم بها بيته وشـــعورها بالأمان معه • تتذكر حياتها التى كانت غنية بصحبته ، لم تفكر فى احتمال أن يكون حبيبها قد ارتبط بالحب مع أخرى • ليس غرورا منها ، لكنها لم ترد أن تفسد تدافع ذكرياتها الحلوة واحتمال تحقيق أحلامها معه مرة أخرى • تبتسم كلما تذكرت

نظرة عينيه التى شبهتهما بعينى السمكة تتذكره بحنين مثل الألم يندها فى قلبها · تريد أن تختبىء فى حضنه · مخبأها الحقيقى من الغارات وتهديدات الحروب ومشاكل العالم كله · الأمان والراحة على صدره · النشوة فى شفتيه واكتمالها فى حضنه ·

ومع ذلك لم ترغب فى محادثته · الكبرياء · ربما ، الشعور بالذنب · ربما · الخوف · ربما · الخوف أن يخمد نشوة ترقبها وغبطتهـــا التى تحلم أن تتحقق · وهى تريد أن تعيش هذه الأيام المتوترة فى حلم يؤنس وحدتها وأنينها الطويل المظلم ، ومع ذلك تشتاق الى انسان حقيقى وليس خيالا · انسان حقيقى تلمسه ويلمســـها وتســـتشعر الأمان والصـــحبة معه · تمد ذراعيهـــا فى الهواء ·· تحتضن الخيال والهواء · تغمرها أشواق مبهمة · تحتضـــن وسادة صغيرة فى الليل · تسيل دموعها على الوسادة · تزيد من قوة احتضانها · وأحيانا يخيل اليها أن السقف سيقع على رأسها · قنبلة طائشة تقع على المنزل · تخفى وجهها فى الوسادة · ويسلمها التعب للنوم والأحلام المشوشة ·

وخلال أيام الترقب والانتظار والفرحة الحذرة ، وصل أمينة خطاب من « نذير » يحدثها عن فرحته وقلقه معا ، وشوقه الى معرفة أخبارها وماذا تصنع وقت الحرب ، وأنه سيعود الى سوريا فى أول فرصة تسنح له · ربما يستطيع أن يفعل شيئا لبلده ، ولم يذكر شيئا عن صاحبته أو عن طفله المنتظر ·

ووصلتها برقية من خطيبها السابق · يؤكد لها أن المصنع سيتم انشاؤه وان كانت ظروف الحرب ستؤخر وصول المعدات · ويسألها أن تكتب له عن أخبارها ·

●

« اليوم القمر بدرا ، القمر لا يتغير · هو الذى كان بدرا الشهر الماضى · هو الذى كان بدرا السنوات الماضية · أنا التى أتغير · أستقبله بفرحة · بخوف · بحزن · بتوتر · بثورة ، هو نفس البدر

الذى إحتضننى ضوؤه من شهرين تقريبا · فى تلك المدينة التى جعلنى فيها السيد « منصور » أشعر اننى ملكة ، بعد أن فتحت ستائر تلك الحجرة الفخمة واستقليت فى الفراش ، نظرت الى السماء والى البدر واحتضننى ضوؤه ونمت ليلتها فى نشوة !

اليوم القمر بدرا · لا أنظر الى السماء حتى لا أراه ، أعطيته ظهرى حتى لا أراه · أغلق نافذتى حتى لا أراه · لم أحب البدر فوق المدينة المظلمة والنفس القلقة · يشعرنى بألم ووحشة · لا أدرى كيف أصف مشاعرى · قلقة أكثر من القلق نفسه · أحيانا أكون قلقة بفرح وأحيانا بخوف متى ستنتهى حروبنا · وننظر الى المستقبل بدون عصبية وخوف ؟! مات الحبيب الذى تزوجته فى حرب كهذه · وكنت صغيرة فى أول سن الشباب ونسيته ، هاجر الحبيب الذى خطبنى بعد حرب كهذه · وكنت عنيدة بالكبرياء التى جرحها وتناسيته ·· وهجرت الحبيب الذى أحببته حقيقة لخوفى من المستقبل ، وذكراه تلح على مثل الألم · هل أعود اليه فى وقت حرب ؟! الحرب شؤم على رأسى ·

مشاعر كثيرة تلفنى · أصعد · أنخفض · أقلق أكثر من القلق نفسه · أحيانا لا أعرف ماهو اليوم أو كم الساعة بغيضة الحرب لكن لابد من خوضها لنرفع رؤوسنا ونجد مكانة محترمة فى هذا العالم المتغطرس ·

فى مثل هذه الأوقات العصيبة القلقة · يحتاج الانسان لآخر حقيقى ، لصحبة حقيقية تؤنس وحدته وتخفف من قلقه · الحرب وخطاب نذير أثارا ذكريات تلك الأيام معه ·وأحاديثنا عن الحرب والعروبة والانتماء والظروف التى فوق ارادتنا ، وهذه التى نصنعها ·· والطرقات الخالية التى كنا نسير فيها بعد السادسة مساء ، وضحكته عندما شبهتها بمدينة أعلن فيها حظر التجول · وسؤالى ماذا يفعل هؤلاء الناس فى بيوتهم طوال ساعات الليل · ها أنا مثلهم لكن مضطرة · أين هو الآن ؟! خيال بعيد · أحيانا أشعر بشوق لتبادل الحديث معه عن الحرب التى نخوضها · وبرقية الســـيد

« منصور » التى يؤكد فيها عودته وانشاء مشروعه ، جعلتنى أتذكر تلك الحرب التى هاجر بعدها خائفا من المستقبل · وشعرت بيأس مفاجىء من مشروعه · خطاب · وبرقية · وخيال حبيب ·ومحادثات تليفونية مع الصديقات . وليل يحتضننى بظلمته وقلقه » ·

❁

فى احدى هذه الليالى ، وبعد أن ردت أمينة على رنين التليفون عدة مرات ، وتحدثت مع واحدة من اخواتها واثنتين من صديقاتها · رن جرس التليفون الذى كان على فراشها · وعندما سمعت الصوت المرحب بعودتها · ظنت أنها ربما من كثرة مافكرت فيه تخيلت أنه المتحدث ·

سألت : من ؟

ــ أمينة حبيبتى ··

وبلا شعور همست : حبيبى ·

ــ قلقت عليك . خفت أن تكونى مازلت فى الخارج · اعرف أن الذى يكون بعيدا عن البلد وقت الحرب يقلق أكثر · متى عدت ؟

خفق قلب أمينة · قالت : من شهر تقريبا ·

ــ ولم تتصلى بى ؟! ·· عدت من شهر ولم تتصلى بى ؟!

ــ فكرت فيك كثيرا ·· وأنت ؟

ــ لهذا تحدثت ·· لن أعاتبك الآن على ما فعلته قبل سفرك · أو عن عدم كتابتك لى . أو عن عدم اتصالك بى · غدا عندما أراك سأعاتبك على كل شىء ·

صمتت أمينة لحظة وكل جزء من جسدها ينبض بفرحة

ــ حبيبى ·· أنا ·

— لا تقولى الآن شيئا · غدا سأنتظرك بجوار مكان عملك · أم انك لا تذهبين الى العمل ومنكمشة فى البيت ·· ؟

— أذهب لعملى ·· طبعا كل يوم اذهب ·

— أم لا تريدين مقابلتى ؟

— أنا فى شوق اليك ·

— ياحبيبتى ·· افتقدتك · أريد أن أراك ، ألمس وجهك ، أضمك الى صدرى وتحكى لى ماذا فعلت فى هذه الأوروبا ··

●

زادت غرابة مشاعر أمينة فى الصباح · قامت مبكرة بعد أحلام مشوشة كثيرة · لم تتذكر منها شيئا سوى انها ذهبت لتتبرع بدمها ، رأت وجوها كثيرة لكنها لم تتذكرها ، مدت يدها وهى مازالت مستلقية شبه نائمة وفتحت الراديو بجانب فراشها · سمعت خبر قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار ورجوع المغتصبين عن الأرض التى احتلوها منذ ست سنوات · سمعت أخبارالعرب على الجبهة السورية · كانت ليلة الأمس على مرتفعات الجولان جحيما · سمعت خبر المعركة التى وصلت الى السلاح الأبيض · فتحت عينيها أكثر · « السلاح الأبيض ؟! » · جلست مستيقظة تماما · لابد أن السوريين تفوقوا فى لعبة السلاح الابيض· قال لها نذير يوما أن أشهر رقصاتهم الشعبية بالخنجر ·

قامت أمينة من فراشها وقد زادت غرابة مشاعرها ·· اليوم ستقابل حبيبها ، اليوم وافقت القيادة المصرية على وقف اطلاق النار وهى فى وضع المنتصر · اليوم ستقابل حبيبها · وكانت قد اشترت منذ يومين بعض البطاقات المصورة لفنانين مصريين يعبرون عن شعورهم بالحرب والانتصار والسلام · قبل أن تذهب الى عملها كتبت كلمات قصيرة خلف البطاقات لترسلها الى صديقاتها وأصـدقائها الذين تعرفت عليهم وصادقتهم فى أوروبا · كتبت لنذير أيضا مشاعر غريبة اعترتها · تريد أن تتحدث الى العالم كله · كلمات كثيرة تريد

أن تقولها ، تريد أن تغنى · تمسك بيد حبيبها وترقص · اليوم يبدو أن أخباره مثيرة · اليوم ستقابل حبيبها ·

ولدهشتها وجدت زملاءها الذين يجلسون خلف المكاتب فى العمل منزعجين لقرار وقف اطلاق النار ، يريدون البطولات الدائمة وهم جالسون خلف مكاتبهم !! ولا يفكرون فى الخسائر · والدماء · والدمار · لم يعجب أمينة هذا الانزعاج والمناقشات العصبية وتركتهم ·

ذهبت الى حجرة رئيسها المباشر المهتم بمصنع العرائس ورئيس لجنة المشروع · وجدته يقرأ خطابات · نظر اليها وابتسم · جلست أمامه وسألته عن أخبار العمل فى المشروع · قال وهو يحدجها بنظرة جانبية :

ــ السيد منصور أرسل لنا برقية مؤكدا استمراره فى مشروع المصنع وان كانت المعدات ستتأخر بسبب حالة الحرب ·

أخبرته أمينة أنه قد أرسل لها برقية مشابهة ·

نظر اليها الرجل نظرة متسائلة · فهو يعرف من زمن أن هذا السيد كان خطيبها · يعرف قصتها معه وصدمتها ، وهو الذى رشحها لتسافر الى تلك المنحة التدريبية ·

سألها : أمينة · قولى بصراحة · هل ستتزوجينه ؟

ــ لا نصلح لبعض الآن ·

ــ هو متحمس لك جدا · وتعرفين انه كان من شروطه لانشاء مصنع العرائس أن تكونى مديرته · وقد وافقنا لاحتياجنا لمثل هذا المصنع ليكون الأول فى الشرق الأوسط · ولأننا مقتنعون بقدراتك · هل تدرى ·· لقد قال أحدهم ولاداعى لذكر اسمه انك استغليت الرجل وعلاقتك السابقة به ليقول هذا الشرط فى انشاء المصنع ·

ابتسمت أمينة · قالت :

ــ اذا كان من ناحية الاستغلال فكان يمكننى أن أستفيد منه لشىء خاص بى وحدى · وعلى أى حال يمكننى اقناعه أن يتنازل

عن هذا الشرط · واذا أنتم وجدتم اننى لا استحق ولا اصلح لادارة المصنع فيمكنكم اختيار أحد غيرى · واذا وجدتم أن مثل هذا المصنع لا يفيدكم الآن ولا يفيد بلدنا · ببساطة يمكنكم الغاؤه ، وأرجو أن تنقل كلامى هذا لهم ·

ابتسم الرجل · قال : لقد نقلت كلامك هذا لهم فعلا ·

نظرت أمينة بدهشة وحب الى هذا الرجل الذى ساندها كثيرا ، وتعاطف معها وفهمها ، حتى انها أحيانا وفى لحظات مثل هذه اللحظة تود أن تحيطه بذراعيها وتقبله ·

قال : هل بعد كل هذه السنين التى عملنا فيها معا بصداقة وحب لا أعرف من أنت ؟

تمتمت أمينة بشكره ، ثم قالت ضاحكة « : لا تذكرنى بعمرى »

بنظرة حنان ليست غريبة على عينيه قال :

– أنت فى أجمل سنوات عمرك ·

وربما لم يرد الرجل أن يظهر مزيدا من عواطفه تجاهها فقال مغيرا الموضوع :

– الشركات تعد هدايا للجنود وللجرحى لتقدمها لهم فى العيد وسنفعل بالمثل · مقررة اللجنة النسائية فى مجموعة شـــركاتنا ستدعوكم الى اجتماع · وقالت لى انها اختارتك ضمن المجموعة التى ستتولى هذه المهمة ·

●

هاهو حبيبها ·

جلســـت بجانبه فى سيارته · تبادلا النظرات الصـــامتة · والشفاه تبتسم · لم تتحدث · لم يتحدث · كأنهما لم يفترقا يوما واحدا · فلماذا التحدث مباشرة ؟ أمسك بيدها · استكانت فى يده رفع يدها الى شفتيه · قبلها · جذبت يده الى شفتيها · قبلتها ·

ضغط على يدها · ضغطت على يده · خفق قلبها وهو يتجه الى بيته · نظرت اليه متسائلة · ابتسم · قال انه لا يوجد مكان آخر يجلسان فيه بحرية ويتحدثان · لمتعارض · ولم توافق · ليجلسان فى أى مكان · المهم أن يتحدثا · لتفك عقدة لسانهما ويتحدثان ·

نظرت الى البناء الحديث · خفق قلبها لذكرى تلك الأيام البعيدة ثمانية شهور لم تذهب الى هذا الحى · ولم تر بيته · افتقدت هذه الحجرة الكبيرة المريحة ذات الأضواء الهادئة · افتقدت جدران بيته، دارت عيناها فى المكان · كل شىء كما هو · مقعد جديد فقط · دارت فى الشقة الصغيرة · تلمس الجدران والأشياء · وهو يراقبها بحب · لقد شعر بحقيقة حبه لها أثناء غيابها · ولم تملأ حياته ولا رأسه ولا قلبه امرأة أخرى خلال الثمانية أشهر الماضية ·

افتقـــدت أمينة كل شىء فى بيته · وفوق كل شىء افتقدت حضنه الدافىء المحب الذى يحتويها تماما · فهو البيت الحقيقى لها · اقترب منها احتضـــنها · تنهدت · تنهيدة كبيرة تخرج من صدرها كأنها تخرج بها كل التعب والقلق والحزن من أعماقها فتشعر براحة كبيرة عظيمة · نزلت دموعها هادئة · بشـــعور من الحب ونشوة انها أخيرا معه · نزلت دموعها صامتة · بخوف أن هذا الذى قريبا منها هكذا · ربما يبتعد ، تريده دائما بجوارها ، لكن هذا طلب مستحيل الآن ، سالت دموعها صامتة ، سألها لماذا تبكين ؟

ــ لا شىء ·· شعرت انى أحبك جدا فبكيت ·

ضمها اليه · جلسا صامتين · متجاورين · انتظرت أن يؤنبها أو يعبر عن غضبه منها · لكن مشاعر الحب والافتقاد كانت أقوى من اى غضب ·

قال : سأعاتبك فى يوم آخر ، اليوم انا أحبك ولا أريد أن أفسد مشاعر حبنا هذه ·

ــ الحب وقت الحرب يفقد اجمل معانيه ·· الامل ·

ــ سأثبت لك عكس كل نظرياتك وتشاؤمك من الحرب ·



الرجل لا يعرض هذا الطلب مرتين · والحياة لمتعد تحتمل التردد · أليس هو الذى أيقنت أن أحلامها معه · وتحقيقها معه · وهو الصحبة التى يمكن أن تمضى معها ما بقى لها من عمر ·

●

سألت : كيف ؟

ابتسم وهو يقول : عملت بنصيحتك ، صادقت طبيبا نفسيا . سأعرفك عليه . لم يكتشف عقدة قديمة بى . كل ما فى الأمر أنك وضعتنى فى ركن ضيقت على الخناق .

– أعرف هذا ، اكتشفته أخيرا ، وأنا . أعتذر لك .

– تكونين أكثر جمالا بصراحتك .

---

صعدت أمينة الى منزلها . مضطربة قليلا . خائفة كثيرا ألا تجد هذه الأوراق الهامة . ذهبت مباشرة الى حجرتها ، بحثت عن الأوراق . وتنهدت بارتياح عندما وجدتها فى المكان الذى تركتها فيه منذ سبعة عشر عاما . توجهت الى حجرة العمة .

« ياعمتى .. أنا ذاهبة الآن لأتزوج الرجل الذى أحبه ، لا أريد أن أخبر أحدا الا بعد أن يتم كل شىء لأنى خائفة ألا يتم » .

نظرت اليها العمة بدهشة وحب وحنان .

« اذهبى يا أمينة . أنت لست صغيرة . وتعرفين طريقك . سأصلى ركعتين وأطلب من الله أن يوفقك .. اذهبى يا أمينة وعندما يتم كل شىء اطلبينى من أى مكان وسأتولى أمر نشر الخبر » .

قبلتها أمينة ونزلت مسرعة دون أن يشعر بها أحد فى البيت وقد بقى على موعد آذان المغرب ساعتان .

جلس الحبيبان . ومعهما الصديقان فى أحد المطاعم فى « حى الحسين » بعد أن اشتروا خاتمى الزواج من نفس الحى . مهما كانت ظروف الحرب يشعر الفرد ببهجة وطقوس شهر رمضـــان فى هذا الحى .

تحدث الصديقان عن مفاجآت هذين الحبيبين . وقال أحدهما انه لم يكن يتخيل أن صديقه العازب الأبدى سيتزوج . ولابد انه فى غياب أمينة قد عضته وحدته . ودارت الأحاديث عن الزواج والحرب والعالم حولهم . ولم تستطع أمينة أن تأكل شيئا لشـــدة انفعالها وترقبها لهذه اللحظة الحاسمة فى حياتها بعد تناولهم الطعام .

●

بعد أن حدثت أمينة عمتها انشغلت الخطوط التليفونية فى بيوت الأخوة والاخوات يتحدثون مع بعضهم بعضا عن خبر زواج أمينة المفاجىء . ولم يحتمل بعضهم انتظار الغد فذهبوا الى بيت العائلة وقيلت الكلمات المؤيدة والمعارضة .

ضغط على يدها • ضغطت على يده • خفق قلبها وهو يتجه الى بيته• نظرت اليه متسائلة • ابتسم • قال انه لا يوجد مكان آخر يجلسان فيه بحرية ويتحدثان • لم تعارض • ولم توافق • ليجلسان فى أى مكان • المهم ان يتحدثا • لتفك عقدة لسانهما ويتحدثان •

نظرت الى البناء الحديث • خفق قلبها لذكرى تلك الايام البعيدة ثمانية شهور لم تذهب الى هذا الحى • ولم تر بيته • افتقدت هذه الحجرة الكبيرة المريحة ذات الأضواء الهادئة • افتقدت جدران بيته، دارت عيناها فى المكان • كل شىء كما هو • مقعد جديد فقط • دارت فى الشقة الصغيرة • تلمس الجدران والأشياء • وهو يراقبها بحب • لقد شعر بحقيقة حبه لها أثناء غيابها • ولم تملأ حياته ولا رأسه ولا قلبه امرأة أخرى خلال الثمانية أشهر الماضية •

افتقـــدت أمينة كل شىء فى بيته • وفوق كل شىء افتقدت حضنه الدافىء المحب الذى يحتويها تماما • فهو البيت الحقيقى لها • اقترب منها احتضـــنها • تنهدت • تنهيدة كبيرة تخرج من صدرها كأنها تخرج بها كل التعب والقلق والحزن من أعماقها فتشعر براحة كبيرة عظيمة • نزلت دموعها هادئة • بشـــعور من الحب ونشوة انها أخيرا معه • نزلت دموعها صامتة • بخوف أن هذا الذى قريبا منها هكذا • ربما يبتعد ، تريده دائما بجوارها ، لكن هذا طلب مستحيل الآن ، سالت دموعها صامتة ، سألها لماذا تبكين ؟

ــ لا شىء •• شعرت انى أحبك جدا فبكيت •

ضمها اليه • جلسا صامتين • متجاورين • انتظرت أن يؤنبها أو يعبر عن غضبه منها • لكن مشاعر الحب والافتقاد كانت أقوى من أى غضب •

قال : سأعاتبك فى يوم آخر ، اليوم أنا أحبك ولا أريد أن أفسد مشاعر حبنا هذه •

ــ الحب وقت الحرب يفقد أجمل معانيه •• الأمل •

ــ سأثبت لك عكس كل نظرياتك وتشاؤمك من الحرب •

سألت : كيف ؟

ابتسم وهو يقول : عملت بنصيحتك ، صادقت طبيبا نفسيا ٠ سأعرفك عليه ٠ لم يكتشف عقدة قديمة بى ٠ كل ما فى الأمر أنك وضعتنى فى ركن ضيقت على الخناق ٠

– أعرف هذا ، اكتشفته أخيرا ، وأنا ٠ أعتذر لك ٠

– تكونين أكثر جمالا بصراحتك ٠

– وأنت أيضا ٠

– حبيبتى اننا نكبر ٠ وفى هذا العمر لابد للانسان أن يأمن لآخر يحبه ٠ يكون صحبته مابقى له من عمر ٠

نظرت أمينة الى عينيه ، لا تصدق ما يقوله : ما الذى غير فكرته ٠ وكيف وصل الى نفس الفكرة التى وصلت اليها من قبل ؟!

قال : اذا كنت قد سمعت يوما كلاما مغرضا وهو أنى قد أقسمت على قبر أبى ألا أرتبط بامرأة ،فأنا خلال سفرك أقسمت لنفسى ألا أتركك تبتعدين عنى ٠ اذ كنت مازلت تحبيننى ٠

لمست أمينة وجهه وهى تتمتم ٠٠ « ياحبيبى » ٠

قال : سنطوى الصفحات القديمة ٠ لن ننساها تماما لأنها علمتنا ٠ وجعلتنا نفهم ماذا نريد ، ومن الذى نريده ، سنطويها لنبدأ صفحة جديدة من اليوم ٠

– حبيبى ٠٠ لا تثير أحلامى ٠ لم أعد أحتمل الآن أن أستيقظ فى الصباح ولا أجد أحلام الأمس ٠

– ستجدين أحلامك معك كل صباح ٠

احتضنته أمينة ٠ وسالت دموعها صامتة للمرة الثانية ٠

نظر اليها باصرار وحب ٠

قال : أمينة ٠٠ اليوم نعقد قراننا ٠

ـ كيف ؟

ـ ساحدث اثنين من اصدقائى ليكونا شاهدين ، ماذا نريد اكثر من هذا ٠

ـ لا شيء ٠٠

ذهب الى مكان التليفون ٠ ثم نظر اليها كانه تذكر شيئا هاما ٠

قال : سنمر على بيتكم لتحضرى عقد قرانك القديم وشهادة « الترمل » التى مضى عليها سبعة عشر عاما ، هذا مهم ٠

وكانت هذه الأشياء بعيدة عن تفكيرها ، حتى انها خشيت فى غمرة هذا الشعور المختلط بالفرحة وعدم التصديق ٠ خشيت الا تجد هذه الأوراق الرسمية التى تحتفظ بها منذ ذلك الوقت ٠

سألته : الا أخبر أهلى ؟

ـ سنخبرهم بعد أن يتم كل شيء ٠

ـ اذا حدث هذا اليوم لا أريد أن أبيت ليلة واحدة بعيدة عنك٠

ـ ومن قال لك انك ستعيشين فى بيتكم بعد اليوم ؟

ـ حبيبى ٠٠ أنا ٠٠

ـ لا تقولى شيئا الا اذا كنت غير موافقة ٠

ذهبت اليه جلست بجانبه ٠ احاطته بذراعيها ٠ تحدث مع صديقيه وهو يداعب شعرها ٠ وهو يضمها ٠ وهو يربت على كتفها ٠٠ وهى لا تصدق شيئا مما يحدث لها ٠

الرجل لا يعرض هذا الطلب مرتين ٠ والحياة لمتعد تحتمل التردد ٠ أليس هو الذى أيقنت أن احلامها معه ٠ وتحقيقها معه ٠ وهو الصحبة التى يمكن أن تمضى معها ما بقى لها من عمر ٠

●

صعدت أمينة الى منزلها . مضطربة قليلا . خائفة كثيرا الا تجد هذه الأوراق الهامة . ذهبت مباشرة الى حجرتها ، بحثت عن الأوراق . وتنهدت بارتياح عندما وجدتها فى المكان الذى تركتها فيه منذ سبعة عشر عاما . توجهت الى حجرة العمة .

« ياعمتى .. أنا ذاهبة الآن لأتزوج الرجل الذى أحبه ، لا أريد أن أخبر أحدا الا بعد أن يتم كل شىء لأنى خائفة الا يتم » .

نظرت اليها العمة بدهشة وحب وحنان .

« اذهبى يا أمينة . أنت لست صغيرة . وتعرفين طريقك . سأصلى ركعتين وأطلب من الله أن يوفقك .. اذهبى يا أمينة وعندما يتم كل شىء اطلبينى من أى مكان وسأتولى أمر نشر الخبر » .

قبلتها أمينة ونزلت مسرعة دون أن يشعر بها احد فى البيت وقد بقى على موعد آذان المغرب ساعتان .

جلس الحبيبان . ومعهما الصديقان فى أحد المطاعم فى « حى الحسين » بعد أن اشتروا خاتمى الزواج من نفس الحى . مهما كانت ظروف الحرب يشعر الفرد ببهجة وطقوس شهر رمضـــان فى هذا الحى .

تحدث الصديقان عن مفاجآت هذين الحبيبين . وقال احدهما انه لم يكن يتخيل أن صديقه العازب الأبدى سيتزوج . ولابد انه فى غياب أمينة قد عضته وحدته . ودارت الأحاديث عن الزواج والحرب والعالم حولهم . ولم تستطع أمينة أن تأكل شيئا لشـــدة انفعالها وترقبها لهذه اللحظة الحاسمة فى حياتها بعد تناولهم الطعام .

●

بعد أن حدثت أمينة عمتها انشغلت الخطوط التليفونية فى بيوت الأخوة والأخوات يتحدثون مع بعضهم بعضا عن خبر زواج أمينة المفاجىء . ولم يحتمل بعضهم انتظار الغد فذهبوا الى بيت العائلة وقيلت الكلمات المؤيدة والمعارضة .

« هذه المجنونة ، ألم تكفها صدمتان من حربين سابقتين فتتزوج في حرب ثالثة » ؟

« مجنونة لتتزوج أى رجل هكذا لم تعرفه معرفة جيدة » .

« وماذا عن الذى عرفته معرفة جيدة ؟! » .

« شجاعة أمينة » .

« تتحدى الحرب » .

« كل شيء مباح في الحب والحرب » .

« لابد أنها عرفته فى فترة سفرها » .

« لماذا لم تعمل احتفالا . هل هى أرملة أو مطلقة لتتزوج هكذا ســـرا ؟! » .

« نسيتم أنها أرملة ! » .

« هل يتزوج أحد فى شهر رمضان ؟! » .

« الناس تتزوج فى أى شهر » .

« ماذا لو صدمت بتسرعها هذا صدمة ثالثة ؟! »

«هى كبيرة بما فيه الكفاية لتعرف أين تضع قدمها » .

« لنتمنى لها التوفيق بدلا من مهاتراتنا » .

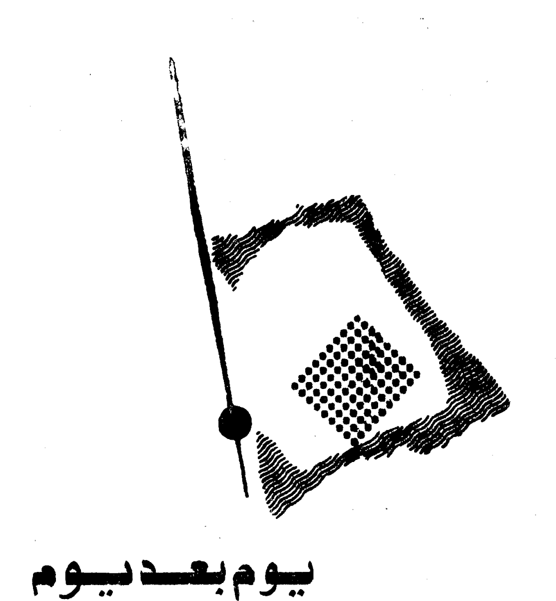
« أين ستعيش ؟! » .

« ومتى كنتم مهتمين بأمرها . وأين تعيش أو كيف . هل أهتم أحد منكم بحياتها من قبل ؟ » .

« لنتمنى لها السعادة » .

وقالت الأم : « حياتنا أقدار . وقل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا » .

**تمت**
**١٩٧٨**



# يوم بعد يوم

جلست فى ركن من السيارة الآجرة ·· وضعت المعطف حول كتفى ، مازالت بعض النسمات الباردة تأتى مع المســـاء ·· مرت السيارة بجوار عربات كارو عليها مجموعات من الناس ·· يرقصون ويغنون ·· اليوم عيد من الأعياد ·· عيد ·· وعيد ·· وعيـــد تواريخ تتوالى وتعاد ·· وأنا لا أشعر بفرحة الناس حولى ·· ولا أعيش معهم الأحداث ·· أنا لا أشعر بمرور الأيام ·· لست سعيدة حتى لا أشعر بمرورها ·· ولست حزينة حتى أعدها لتمر سريعا ·· ليس لدى شعور محدد ·· لكنى لا أبالى بمرور الأيام ·· ربما لأنى على غير وفاق مع الحياة ··

أنا أعرف ان الذى يعيش موفقا فى الحياة ، هو الذى يتقبل ما تقدمه له ويكيف حياته تبعه ، أو هذا الذى يريد شيئا فيغتصبه من الحياة بالقوة ·· بالمثابرة ·· بالحيلة ·· أما أنا ·· فلم أعد أتكيف مع ما تقدمه لى ·· ولم أعد أغتصب منها ما أريده ·· ربما لأنى جربت القوة والمثابرة والحيلة ·· وفشـــلت ، وأصبحت غير مبالية بما تقدمه لى ·· أو تحرمنى منه ··

ومع ذلك اذا نظروا الى كفرد فى المجتمع يقولون اننى موفقة فى الحياة ·· مظهرى الخارجى ·· حياتى العائلية ·· عملى فى شركة كبيرة ·· حياتى الاجتماعية المليئة بالأصدقاء والصديقات ··

أنا ذاهبة الآن اليهم ·· أحاديثهم روتينية ·· حفلاتهم مملولة ·
لكن وحدتي تدفعني اليهم ·· أخاف منها فاختفى وسطهم ··
ويقولون انى فتاة اجتماعية ·· والحقيقة التي لا يعرفها أحد سواى
·· أننى وحيدة ·· وحيدة وسطهم ·· وحيدة مع نفسى ·· وحيدة
بكل ما تحمله هذه الكلمة من سخافة وكبرياء ·

وقفت السيارة أمام باب عمارة كبيرة بجوار النيل فى الجيزة
أعطيت للسائق النقود دون أن أنظر الى العداد ·· وناولنى الباقى
دون أن أعده ·· القيت النقود فى حقيبتى باهمال ··

المهندس سعيد فرحات ·· كارت صغير بجوار الجرس ··
وفتح لى الباب ·

– أهلا أميرة ··

– كل سنة وأنت طيب ياسعيد ··

مجموعة كبيرة من الأصدقاء والصديقات ·· ووجوه كثيرة
لا أعرفها هل سأدور لأسلم على كل هذه الأيدى ·· وشاورت لهم
بالسلام ·· وتعالت بعض الأصوات ترحب بى ·· نظرت الى سعيد
وهو يأخذ معطفى ··

– ناهد فين ··

– بتلبس ··

ذهبت الى حجرتها ورأتنى فى المرآة ··

– كل سنة وأنت طيبة ··

– مدت لى يدها وجذبتنى لتقبلنى ·

فتحت حقيبتى وأعطيتها تمثالا صغيرا ·· قبلتنى مرة أخرى ،
وجذبتنى من يدى لنخرج اليهم ·· ووقفوا يرحبون بها ·· ووقفت
بعيدا أنظر اليها ··

فى هذا اليوم من كل عام ·· يحدث نفس المنظر ·· وتدور ناهد
تسلم عليهم كأنها حقيقة عروس فى ليلة الزفاف ·· تقبلها الصديقات

ويشد على يدها الأصدقاء ·· وتلتفت عفاف الى من تجلس بجوارها لتهمس فى أذنها عن فستان ناهد ·· وابتسمت ·· طبعا عفـــاف لا يعجبها الفستان ·· وابتسمت نادية فهى التى تلقت نقد عفـــاف هذا العام ·· والتقت ابتسامتى بابتسامة نادية ·· وأشارت لى أن أذهب اليها ··

قلت : نادية ·· فستانك شيك خالص ··

قالت نادية : وأنت تسريحة شعرك جنان ··

قالت عفاف للذين حولها بعد أن وضعت ساقا فوق ساق يظهر نادية وأميرة معندهمش معجبين اليومين دول بيجاملوا بعض ··

نادتنا ناهد لنذهب الى حجرة الطعام ·· وأخذ المدعوون أطباقا ملأوها بالطعام ·· عفاف أخذت طبقا ملأته وذهبت الى زوجها ، مالت على رأسه برقة مفتعلة ·· وقالت انها ستأكل معه فى طبق واحد ·· تمثيلية صغيرة من تمثيليات عفاف ·· لتوهم المشاهدين بسعادتها أو لتغيظهم ·· وابتسمت ·· ولم أستطع أن أترك ابتســـامتى فى داخلى ارتسمت على شفتى ·· والتقت ابتسامتى الساخرة بابتسامة لا أعرف وجه صاحبها ·· ابتسامة ملأت كل وجهه ·· واقترب منى ··

قال :

ـ انت أخت مدام ناهد ؟

ـ لا ·· صاحبتها ·

ـ فيكم شبه من بعض ··

ـ يمكن ··

ـ أنا أسمى صلاح ·· صديق سعيد ··

ـ أول مرة أشوفك هنا ··

ـ صديق جديد ··

وأنقطع حديثنا بدخول سعيد وهو يحمل تورتة عليها ست شمعات ونادتني ناهد لأقف بجوارها وهى تطفىء الشـــموع مع سعيد ٠٠ انها لا تضع شموع عمرها ٠٠ وتقول أن ميلادها بدأ يوم زواجها من سعيد ٠٠ وهى اليوم عمرها ست سنوات !!

لم أعد أستطيع فهم عقليات الناس ٠٠ لم أعد اعرف متى يتظاهرون ومتى يبدون على حقيقتهم ٠٠ متى يكذبون ومتى يقولون الحقيقة ٠٠

ناهد ٠٠هل هى حقيقة سعيدة كل هذه السعادة التى تتظاهر بها ٠٠ هل هى حقيقة مقتنعة أن عمرها ست سنوات ٠٠ قال لها الاطباء أنها ســـوف لا تنجب أطفالا ٠ ٠وحزنت ٠٠ وحزن زوجها بالرغم من قصة حبهما التى عرفناها من زمن ٠٠ ناهد تريد أن تحافظ على استمرار حياتها مع زوجها ٠٠ فتقوم بكل هذه المظاهرات ٠٠ من حفلات ٠٠ الى هذه الشموع ٠٠ الى جمع الأصدقاء والصديقات حولهما ٠٠ انها تفعل ما تستطيع حتى تعوض ضجة وحياة الأطفال فى البيت ٠٠ وبعض الأوقات يفرح سعيد بكل هذا الاهتمام ، ويقول انه اذا كان لهما طفل لتحول اهتمامهما الى الطفل ٠٠ وبعض الأوقات يحزن ويبدو مهموما ٠٠ تعيسا ٠٠ ويثور فى وجه صديقتى على أتفه الأسباب ٠٠ وهددها يوما بالطلاق ٠٠ وهى ٠٠ تتحمل ، وتتظاهر أمامه وأمام الناس ٠

اذا تعمقت فى كل فرد من الموجودين لاكتشفت أنه يتظاهر ٠٠ هذا الحديث الذى سأبدؤه الآن لا أعنى به شيئا ٠٠ هذه الابتسامات التى أرد بها على ابتســـامات الآخرين لا تعنى شيئا ٠٠ النـــاس يتظاهرون فى مثل هذه الحفلات ٠٠

وجلست فى ركن بعيد ٠٠ اخرجت سيجارة من حقيبتى ٠٠ وانحنى جسد أمامى ، وامتدت يد لتشعل لى ثقابا ٠٠ احد المتظاهرين بالأدب فى الحفلات ٠٠ ورفعت رأسى لأشكره ٠٠ صلاح ٠٠ كان يراقبنى ٠٠ ماذا يريد ؟!

أدارت ناهد اللحن المعتاد ضمن برنامج احتفال كل عام ٠٠ لحن قصة حب ٠٠ عندها مجموعة من الأصوات المختلفة والتوزيع الموسيقى الجديد لهذا اللحن ٠٠ بكل اللغات التى ظهر بها ٠٠ اللحن الذى رقصت عليه مثل هذا اليوم من سنين ٠٠ يوم زفافها ٠٠

وتقدمت لزوجها كالمعتاد ٠٠ ورقصا ٠٠

قصة حب هى لحنى الحبيب ٠ ألفوا بعده ألحانا وألحانا ٠٠ وظهرت رقصات جديدة مع هذه الألحان ٠٠ كل عام ألحان جديدة ٠٠ حلوة ٠٠ لكنى لا ألتفت لها ٠ ٠تعجبنى لكنى متعلقة باللحن القديم ٠٠ اللحن الحبيب ٠٠ ربما هذه هى مشكلتى فى الحياة ٠٠ على هذا اللحن ٠٠ كانت رقصتى الأولى مع مصطفى ٠٠ حتى ذكرياتى تعاد ٠٠ كأنها ضمن برنامج احتفال ناهد ٠٠ وهززت رأسى لأبعد صورته لكنها ظهرت لى من وسط الناس ٠٠ قفزت فجأة مع اللحن ٠٠

فى ذلك اليوم البعيد ٠٠ فى العيد الأول لزواج ناهد ٠٠ تقدم الى فى خطوات بطيئة رجل كنت أعجب به من بعيد وأفرح عندما أجده صدفة فى صحبة ناهد وسعيد وأكون معهما وضمنى اليه دون أن يسألنى اذا كنت أريد الرقصة أو أعرف الرقص ماذا قال :

اقترب منى صلاح وسألنى أن أراقصه ٠٠ وجذبنى اللحن الى يده الممدودة أغمضت عينى حتى لا أراه ٠ حتى أحتفظ بالصرة التى قفزت أمامى مع اللحن القديم ٠٠ ماذا قال يومها ٠٠ قال انه يريد أن يحملنى ويطير !!

فتحت عيناى ٠٠ التفت حولى ٠٠ لا أحد يرقص سوانا ٠٠ عيونهم تراقبنا ٠٠ وخجلت ٠٠ناهد وسعيد لم يكملا الرقص ٠٠ عيونهم تراقبنا ٠٠ واضطربت ٠٠ جذبت صلاح من يده لنجلس ٠٠ شعر باضطرابى وقدم لى سيجارة وابتسم ٠٠ تعبيرات وجهه تجعل الشخص يرتاح اليه ٠٠

ذهبت الى ناهد ٠٠ وقفت بجوارها أستمع الى ما تقول سائلتها هامسة :

– صلاح بيشتغل ايه ؟ ..

– مهندس ..

نظرت فى ساعتى .. من سيجاملنى ويوصلنى هذا المساء . ابتدأ الموجودون ينصرفون .. وعرض صلاح سيارته على الذاهبين .. ونظر الى ..

قال :

– تحبى أوصلك

– أنا مش من طريقك ..

– مش مهم ..

نظرت الى ناهد أسالها بنظرتى .. ما رأيها وابتسمت .. ونزلت معهم ..

– تقدر تمشى فى شارع الكورنيش .. أيوه الشارع ده تانى عمارة قديمة .. اللى يحوطها سور حديد .. بيقولوا وراه جنينة .. أنا مشفتش فيها زهرة .. ولا شجرة من يوم ما سكنا ..

قال أحد الأصوات الأربعة الراكبين معنا فى السيارة ..

– ساكنين من زمان هنا ..

قلت :

– من يوم ما كان عمرى خمس سنين ..

قال أحد الأصوات ضاحكا :

– يعنى من عشر سنين ..

وضحكوا للنكتة السخيفة ..

قال أحد الأصوات :

– بيوت جاردن سيتى لها طابع غريب .. البيوت القديمة أحسن من الجديدة ..

وتركتهم يكملون حديثهم عن بيوت جاردن سيتى الذى سمعته مرات ومرات ·· ونزل صلاح · ·سار معى الى الباب ··

قال : فرصة سعيدة ·· أحب أشوفك دايما ··

وابتسم ابتسامة ملأت كل وجهه ·· وشـــدت ابتسامتى ·· وشدت يدى وظلت يدانا ملتقية لحظة فى سلام ·

عندما تشعر الفتاة بنظرات اعجاب من رجل تعود الى حجرتها وتقف أمام المرآة ··

أنا لست جميلة جمالا يلفت الأنظار ·· ما الذى جعل صلاح يلتفت الى فى الحفلة دون بقية الفتيات أو السيدات ·· هل هناك شىء مميز فى ·· تسريحة شعرى القصـير ·· صنعها لى الكوافير ·· لكن كل الموجودات صفف الكوافير شعورهن ·· وجهى لا أعتبره ملفتا أو جميلا لدرجة تلفت أنظار رجل اليه دون بقية الموجودات ·· ناهد وجهها مثل وجهى ·· حتى ظن صلاح أننى أختها ··

ما الذى لفت نظره الى ·· فستانى ·· كل الموجودات ارتدين أحسن ما عندهن ·· ما الذى لفت نظره الى ·· لابد أن فى كل فتاة شيئا يلفت نظر رجل اليها ·· قال مصطفى يوما ·· أن الذى لفت نظره الى ·· نظرة عينى ·· فهى نظرة متسائلة ·· متعجبة ·· قال مصـــطفى يوما أنه يخيل اليه بعض الأحيان عندما ينظر الى وجهى ·· ان لى عين علامة استفهام ·· والعين الأخرى علامة تعجب ·· كان هو وحده يرى هذه النظرة وهذه العلامات ·· لا أظن أن عينى لفتت نظر صلاح ·· لا أرى فيهما أى اختلاف عن عيون الفتيات ··لونهما مثل لون البندق ·· مثل لون معظم عيون الفتيات ·· الكحل يحوطهما كما يحوط عيون الأخريات ··

ابتسامة صلاح شىء جديد حدث هذا المساء ·· شىء يزيل الملل من حياتى لحظات ·· شىء سيختفى مع الصباح ··

وكل صباح يدق جرس المنبه بجوار سريرى ·· رنات روتينية، الساعة السابعة ·· الساعة الســـابعة ·· وأجلس فى فراشى ، أنتزع مشابك شعرى ·· وأقوم لآخذ المنشفة أضعها حول رقبتى فى

الشتاء ·· وحول كتفى فى الصيف ·· ثم أذهب الى النافذة الكبيرة أفتحها ·· وأغمض عينى وأنا أستقبل ضـــوء النهار · ألعنه أو أبتسم له ·· حسب حالتى النفسية وابتسمت ·· له هذا الصباح ··

فى حجرة الطعام أجد والداى ينتظرانى ·· ألقى عليهما بسرعة تحية الصباح ·· وأقلب صفحات الجرائد والمجلات الموجودة الى صفحات الاجتماعيات والوفيات ·· ربما أقرأيوما خبرا عن مصطفى ·· فى هذه الأخبار التى تنشرها الجرائد والمجلات ، ربما أقرأ يوما خبرا يعلن أن مصطفى تزوج أو مات ·· أو اشترك فى عمل بناء ·· أو اشترك فى جريمة ما ·· ويتعجب أبى من قراءتى هذه الأبواب ·· ويقول لى ألا أقرأ وأنا آكل ·· كل يوم يبدى هذا التعجب وهذا الاعتراض كل يوم تسكته أمى ليتركنى أفعل ما أريد ·· أتقبـــل تعليقاته بهدوء ·· أو أثور دونأن أتحدث وأترك الطعام ·· تقبلت تعليقاته بهدوء هذا الصباح ··

* * *

فى حجرة كبيرة فى الدور الثالث فى الشركة ·· أصطفت ستة مكاتب يجلس وراءها موظفات وموظفو العلاقات العامة وراء أحد هذه المكاتب أجلس ·· منذ خمس سنوات نفس الوجوه أراها كل صباح ··

عفاف ·· دائما ســـاخطة على شىء فى الحياة ·· الحياة أعطتها بسخاء كل شىء لا تريده ·· حتى أصبحت عفاف تأخذ كل شىء من الحياة لا تريده ·· وتتمسك به ، تخاف أن تفوتها فرصة وهى لا تحب أن تكون متخلفة فى شىء من الحاة توظفت لأنها وجدت أن النساء يعملن هذه الأيام ·· ولا تحب أن تكون متخلفة بينهن ·· تزوجت رجلا لا تحبه ولا يحبها حتى لا تفوتها فرصة الزواج ·· وتتظاهر بحبها ·· له ·· وللناس · · وينعكس شعورها الحقيقى على كل شىء ·· فاصبحت لا يعجبها شىء أو أحد ، وتنقدنا دائما ·· تصرفاتنا ، حياتنا الخاصة ·· ملابسنا أى شىء لا يعجبها ·· عفاف لا تعجبها أى شخصية فى الشركة ·· قسمتنا الى مجموعات ·· مغفلون كبار ·· ومغفلون صغار ·· أجساد عليها رءوس حمير ·· وأجساد عليها رءوس نعام ··

دلال ٠ ٠مندفعة فى كل شىء ، حتى عندما تدخل الحجرة الكبيرة فى الصباح ٠٠ تدخل مندفعة وتحيينا بسرعة كأنها على موعد هام ٠٠ وتجدنا صدفة فى طريقها فتحيينا بسرعة ٠٠ وعندما تجلس وراء مكتبها وتهدأ قليلا وتجد أن لاداعى للاندفاع ٠ تضرب الجرس وتنادى الساعى ليحضر لها الشاى والافطار ٠٠ تزوجت عن حب مندفع ، وبعد الزواج اكتشفت أن حبها ما كان الا حالة عاطفية خدعها اندفاعها عن اكتشافها قبل الزواج ٠٠ لم تكن تعرف فى زوجها الا مزاياه ٠٠ وأرادت باندفاعها أن تنفصل ٠٠ لكنها وجدت أنها ستصبح أما ٠٠ واستهوتها العاطفة الجديدة ٠٠ واندفعت اليها ٠٠ دلال تجد دائما شيئا ٠٠ أو شخصا أو فكرة تندفع اليها فى الحياة ٠

نادية ٠ حالمة أحيانا ٠ وواقعية أحيانا ٠٠ وتعيش منذ عرفتها فى قصص حب تنتهى بلا شىء ٠٠ المهم أن تعيش فى قصة حب ٠٠ تقول أن الحب يبعث البهجة فى الحياة ٠٠ وهى تحب دائما أن تشعر ببهجة الحياة قالت انها ستتزوج وليس كما تقول عنها عفاف ٠٠ انها فتاة أفسدتها الحرية ولم يعد هناك رجل يفكر أن يتزوجها ٠٠ قالت انها تنتظر الرجل المناسب ٠٠ فى العمل المناسب ٠٠ وقطعا ستجده فى الوقت المناسب الذى تحدده هى ٠٠

شكرى ٠٠ كان يريد أن يكون صحفيا فى احدى الجرائد الكبيرة وانتهت أمنيته فى قسم العلاقات العامة يكتب نشرات ٠٠ فى مجلة رتينية يصدرها قسمنا كل شهر ٠٠ أو كل شهرين ٠٠ فى أول عملنا معا ٠٠ كنا نتخيل انه معجب بنا حقيقة ٠٠ بتصرفاتنا ، بملابسنا بأى شىء نفعله ٠٠ كنا نتخيل انه معجب برئيس قسمنا ، لكننا الآن ٠٠ وبمرور الأيام ٠٠ وبمعرفتنا بالحياة وجدنا أن كلمة اعجـــاب ليست ملائمة ٠٠ شكرى منافق ربما بطبيعته ٠٠ ربما ليصل الى ما يريد ٠٠

محسن ٠٠ يســـخر من كل شىء ٠٠ حتى عندما يبدى عليه الاهتمام بشىء ما ٠٠ يبدو مضحكا ٠٠ لم نتعود أن نجد « محسن » جادا ٠٠

منذ خمس سنوات ٠٠ تدور بيننا نفس المناقشات ٠٠ وتعاد ٠٠ ويقطع الملل الوجوه التى تأتى من الخارج تطلب اعلانات ٠٠ أو الوجوه التى تعمل معنا فى الشركة وتأتى الى حجرتنا فى زيارة أو طلب شىء ٠٠

دخلت سعدية بجسدها الممتلىء ٠٠ نشطة ٠٠ متحمسة كعادتها لأى شىء ٠٠

قالت : صباح الخير يا قسم العلاقات ٠٠ محدش يعرف طريق داده ٠٠

قال محسن : هو قسم العلاقات فتح فرع مخدماتى ٠٠

قالت سعدية : أنا بسأل الستات المتجوزة ٠٠ عفاف ودلال ٠٠

وهزت عفاف ودلال رأسيهما بالنفى وكل واحدة تتمتم ٠٠ لا ٠

قالت نادية : ليه متدخليش ولادك حضانة ٠ ٠

قالت سعدية : الحضانة اللى جنبنا تقرف ٠٠ وديت واحد فيها صحته اتبهدلت من الاهمال ٠٠

قالت عفاف : مش فاهمة أنا الست اللى معندهاش حد يقعد مع ولادها ٠٠ تعمل ايه ٠٠ تسيب شغلها وتقعد جنبهم ٠ ٠

قالت سعدية : كل شركة لازم تعمل دار حضانة ٠٠

قالت دلال : احنا لازم نطالب الشركة بالمشروع ده ٠٠ نكتب طلب وتمضيه كل الستات ٠ ٠أو أيه رأيكم ٠٠نكتب فى المجلة اللى بنعملها ٠٠

قال سعدية : فكرة ممتازة ٠٠ ممكن أكتب المشروع ده لكم ٠٠

قال شكرى : طبعا أنت احسن واحدة تكتبيه علشان عندك المشكلة ٠٠

وخرجت سعدية كما جاءت متحمسة ٠٠ ونظرت اليها متعجبة ويمر الصباح دائما بين بعض المناقشات والاقتراحات ٠٠ وتنفيذها لا يبعد عن الكلمات ٠٠

ضمنا الصمت ·· كل فرد منا ينفذ شيئا من العمل ·· أو يتظاهر أنه ينفذه ··قطع صمتنا رنين التليفون على مكتب عفاف ·· والتفتنا اليه ·· ونادتنى عفاف ·· ونظرات متسـائلة فى عينيها وهى تراقبنى ··

من صاحب هذا الصوت ، صلاح ·· كيف عرف اننى أعمل هنا ·· ماذا يريد ·· يريد أن يقـابلنى ·· وترددت ·· لاقابله ·· لأعرف ماذا يريد ·· ليكن شـيئا جديدا يقطع روتين اليوم ·· وتواعدنا على أن نلتقى ·· ووضعت السماعة وأنا أتعجب منه ·· ومن نفسى ··

قالت عفاف : صوت جديد ··

وهززت رأسى موافقة ··

وجاءت نادية مسرعة لتعرف ماذا حدث ··

قالت نادية : مين يا أميرة ··

ـ واحد شفته امبارح وحقابله النهارده ··

ـ شفتيه عند ناهد ··

هززت رأسى موافقة ·· ومطت عفاف شـفتها بامتعاض ، وابتسمت نادية مشـجعة · ·فهذا الذى سأفعله هو منطقها فى الحياة ··

الفتيات فى عصرى يعشن لليوم ·· لا يلتفتن للماضى ويحزن على ما فات ·· ولا ينشغلن بالغد ·· ففى رءوسهن خطة له ·· وينسين حبا بحب ·· وحبيبا بحبيب ·· ويتزوجن حسب تدبير عقولهن ·· وحسب خطة يرسمنها للحياة ·· فتيات عصرى يكرهن الانتظار ·· فالانتظار معناه تراكم السنين · ·معناه عمر الفتاة ·· ألست من فتيات هذا العصر ··لماذا لا أفعل مثلهن ؟

●

فى صالة الشاى فى جروبى وجدت « صلاح » ينتظرنى ·· مرت فترة صمت قلقة تخللها السلام ·· وتبادل الابتسامات ·· والأسئلة التى يحضرها كل منا فى رأسه ليسألها لهذا الذى أمامه ولا يعرف عنه شيئا ·· الأسئلة فى رأسى أعددتها بعد الغداء وأنا مستلقية على فراشى أحاول أن أنام ··

قلت : عرفت منين نمرة شغلى ··

قال : اللى يهتم انه يعرف حاجة لازم يعرفها ··

وتذكرت السؤال الثانى الذى أعددته ··

ـ أنت مهندس أيه ··

ـ معمارى ··

ـ من دفعة سعيد ··

ـ لا ·· هو سابقنى بدفعتين ··

وارتحت فى مقعدى ·· أسندت ظهرى ·· صـــلاح لا يعرف مصطفى ··

ـ أنت عايز منى ايه ؟

ـ عايز أعرفك ·· وأعرفك بنفسى ··

ـ ليه ؟

ـ فيك حاجة جذبتنى ··

ـ ايه ؟

ـ يمكن ابتسامتك ··

ـ ابتسامتى عبيطة ··

لماذا تسرعت وخرجت لأقابله ·· ماذا يفكر الآن فى ·· ربما يظن أننى فتاة مستهترة ·· ربما يظن أننى ·· لماذا تسرعت وخرجت لأقابله ·· هذا الاختناق الذى تسببه لى بعض الأحيان وحدتى ··

هذا الملل الذى أريد أن اقضى عليه بأى طريقة استطيعها ٠ هذا الروتين الذى أريد أن أكسره ٠٠ مجنونة ٠٠ لماذا لم أسال ناهد وزوجها عنه قبل أن اقابله ٠٠ لماذا لم أنتظر الى أن يحدثنى مرة ثانية وثالثة حتى أتأكد من مشاعره ٠٠ مجنونة ٠٠ لماذا تسرعت وخرجت لأقابله ٠٠

قال صلاح : عايشه حياتك ازاى ٠٠

ـ عايشـــــه ٠٠

ـ ازاى ٠٠ ؟

ـ أروح الشغل ٠٠ أروح البيت ٠٠ اقابل صحابى ٠٠

ـ مبسوطة فى شغلك ٠٠

ـ لا ٠٠

ـ ليه ٠٠

ـ كنت عايزة أكون مذيعة فى الاذاعة ٠٠

ـ وحصل ايه ٠ ٠

ـ سقطت فى الامتحان ٠ ٠

ـ حاولى تانى ٠٠

ـ زهقت من الفشل ٠٠

ـ ازاى بتروحى شغل كل يوم مش بتحبيه ٠٠

ـ أتعودت على كده ٠٠

ـ وصحابك ٠٠ مبسوطة معاهم ٠٠

ـ الصحاب مهمين فى الحياة ٠٠ بيســـاعدوا على تضييع الوقت ٠٠

ـ وعايزة الوقت يضيع ليه ٠٠

ـ أنت بتسألنى أسئلة كتير ليه ··

ـ آســـــف ··

ومرت فترة صمت ·· الحقيقة أنا خرجت لأقابله لأنى أردت أن أقابله ·· لماذا أتصنع عدم الرغبة فى مقابلته حتى يحدثنى مرة ثانية ·· وأقول فى المرة الثالثة أن يقولوا له أننى غير موجودة ·· وفى المرة الرابعة أقول سأفكر فى موضوع مقابلته ·· ليست طبيعتى ·· فأنا لا أحب أن أعمل خططا ·· ربما هذه هى مشكلتى فى الحياة ··

قال صلاح : ممكن أكون « واحد » من صحابك ··

ـ ليه ··

ـ علشان أساهم فى تضييع وقتك ··

وابتسمت ··

وجه جديد ·· واسم جديد · ليتحدث أو لا يتحدث ·· ليختفى أو ليكن فى حياتى كل يوم · هل سيغير من حياتى شيئا ·· لا أظن ·· فحياتى تسير على وتيرة سخيفة ·· منذ ثلاث ســـنوات ·· تجسمت لى وحدتى بصورة مخيفة · وجعلت فى نفسى وفى حلقى نوعا من المرارة حاولت أن أتغلب عليها فاختفيت وسط الصديقات والأصدقاء ·· ومن حين لآخر التقى بوجه جديد ·· واسم جديد ·· يعجب بى ·· وأعجب به ·· وتجمعنا أيام ·· كثيرة أو قليلة ·· حسب تدخل صورة مصطفى بيننا ·· هذه صورته ·· هذه ذكرى من ذكرياته · ·فأقول أن العلاقة بينى وبين هذا الوجه الجـــديد غير حقيقية ·· هو غير حقيقى ·· وأنا غير حقيقية ·· ويبدأ الملل يزحف مع أحاديثه ·· مع صحبته ·· فأبتعد عنه ·· أو يبتعد عنى عندما يجدنى سخيفة ·· وأشـــعر بفراغ ·· وتدور أيام ·· قليلة أو كثيرة ·· والتقى بوجه جديد ·· وتعاد القصة ··

وبعض الأوقات تتعمد احدى صديقاتى أن تعرفنى على شخص يريد الزواج ·· فالزواج سيخلصنى من حبى لمصطفى ·· ويبدو كل شىء مضحكا ·· فالخلاص ليس فى يد الآخرين ولا أجده فى يدى · ربما تحمله لى الأيام · وتمر الأيام · ولا تحمل لى سوى أسمائها ··

يوم الجمعة يوم سخيف ·· لا أدرى ماذا افعل به ·· لا أحب الاجازات ·· معناها مزيد من الوحدة ·· معناها مزيد من الفراغ · أكره اليوم الاجازة خصوصا عندما ينشغل عنى أصدقائى وصديقاتى فى حياتهم الخاصة ويجدون ما يفعلونه بدونى ··

يوم الجمعة قطع قلق افكارى رنين التليفون فى منزلنا ·· من صاحب هذا الصوت ·· صلاح ·· كيف عرف نمرة منزلى ·· وقال نفس الاجابة الواثقة المغرورة ان الذى يهتم أن يعرف شيئا ، لابد أن يعرف ·· وسألنى اذا كنت أريد أن أمضى اليوم معه ·· فرحت ·· ترددت ·· لماذا التردد مادام هناك شخص يسألنى ان أمضى اليوم السخيف معه ·· وافقت ·· وجريت فى الشقة من الحمام الى حجرتى ·· افعل كل شىء روتينى بسرعة ··

لنذهب بعيدا عن الناس ·· بعيدا عن المدينة ·· وقاد سيارته فى شارع الهرم ·· وصعد بها الى استراحة الهرم ·· لم أستطع الاعتراض ·· لا أريد أن أجلس هنا ·· وقفت بعيدا عن السيارة ·· نظرت الى هذه الاستراحة وبعض الناس يدخلون · ·كيف يذهبون الى مكان مهجور ·· وكيف أذهب أنا ·· سرت تجاه الهرم ·· وجذبنى صلاح من يدى ·· سرت متأخرة عنه ·· لا أريد أن أجلس هنا ·· وشىء فى نفسى يدفعنى الى المسير ·· كل شىء كما هو ·· وهذه المنضدة المتطرفة فى الجهة اليسرى مازالت كما هى ·· وأشار صلاح لنذهب اليها ··

قلت بذهول : دى مشغولة ··

ـ مشغولة ازاى مفيش عليها حد ··

ـ قصدى برد ·· نقعد فى المكان المقفول ··

وجلسنا فى المكان الذى يحيطه الزجاج ·· ووجهى تجاه هذه المنضـــدة ··

قال صلاح : الجو كويس النهارده ·· الشتا خلاص حيروح ·· أنت بتحبى الصيف واللا الشتا ··

ـ الأثنين زى بعض ..

ـ بتحبيهم والا بتكرهيهم ..

ـ مش عارفة ..

وهز رأسه متعجبا ..

تحدث صلاح مع الرجل ليأتى لنا بالطلبات .. ونظرت الى هذه المنضدة المتطرفة .. كيف يقول صلاح انه لا يجلس هناك احد .. هناك مصطفى وأنا .. هل حقيقة كنت هذه الفتاة المتحمسـة .. لكل شىء .. ولأى شىء يقوله مصطفى .. يتحدث وآكل الكلام من بين شفتيه .. وتغوص أصابعه فى خصلات شعرى .. وأفرح بكل شىء .. القاهرة أكاد أراها كلها .. أحتضنها من هذا المكان .. لماذا لم ينقلوا هذه المنضدة من مكانها .. هل هى ملتصقة بالأرض مثل الهرم .. كنا نجرى اليها .. كانت دائما شاغرة فى انتظارنا . هل مازلت تنتظرينا يامنضدة .. ألم تعرفى ماذا حدث .. لا يهم أن تعرفى .. فبعض الحقيقة ألم .. هل تعرفى معنى الألم .. الم يحطم احد جزءا منك..

قال صلاح .. ساكتة ليه ..

ـ أبدا .. عامل ايه فى شغلك ..

ـ طلبوا منى مشروع فيلات ..

ونظرت الى الهرم .. وانحدرت نظراتى الى المنضدة المتطرفة .. هناك يجلس اثنان .. مصطفى .. وأنا .. أشار مصطفى الى الهرم وقال :

●

ـ انا حعمل حاجة أحسن من الهرم .. الناس تستفيد منها مش يتفرجوا عليها

ـ حتعمل ايه ؟

ـ مش عارف ..
ـ مصطفى .. بتحبنى ..
ـ أسئلتك غريبة ..
ـ عايزة أعرف ..
ـ طبعا ..

●

وابتسمت .. اتسعت ابتسامتى .. كدت اضحك ..

قال صلاح : أنت مش مصدقة انى مهندس معمارى ..

ـ مصدقة ..

ـ ضحكت لما قلت لك حعمل مشروع فيلات ..

ـ مش قصدى ..

وتحدث عن المشروع .. تحدث عن البناء .. ماذا يهمنى .. ليبنى عمارة أو ليبنى بلدا .. ومن حين لآخر أقول له .. كلمة صغيرة .. ثم أنظر الى القاهرة .. هذه المدينة الكبيرة .. هل لى مكان فيها ..

تركنا استراحة الهرم .. انتقلنا من مكان الى مكان .. تناولنا طعام الغداء فى مكان .. كان صلاح مثل الرادار .. كلما شعر بصمتى أو مللى يقترح مكانا آ خر .. وتناولنا الحلوى فى مكان آخر .. والقهوة فى مكان ثالث .. لماذا كل هذا التظاهر بالاهتمام ؟ .. لابد أن يلفت نظرى .. فهو وجه جديد ..

وعند الغورب عدت الى منزلى .. وجدت والداى كل واحد يجلس على مقعده المعتاد فى الانتريه .. يتفرجان على التليفزيون ، ومعهما صديقة ، بعض الأوقات يحضر اليهما ضيوف .. ومعظم الأوقات يجلسان أمام هذه الشاشة يتفرجان على اى شىء ويتناقشان فى شىء آخر بعيد بصوت مرتفع .. وأتركهما لأذهب الى حجرتى فهى فى مكان بعيد فى آخر الشقة .. فى نهاية ممر طويل .. سلمت عليهم وجريت انى حجرتى .. كل شىء يســـير بروتين عجيب فى منزلنا .. الساعة كذا تفتح النوافذ .. الســـاعة كذا تقفل .. الساعة كذا تعد المائدة .. وتتجسم صورة روتين الحياة فى اعداد

المائدة ووضع الأطباق المليئة ·· ورفع الأطباق الفارغة ·· وكثيرا ما أهرب من هذا الروتين حول المائدة ·· أتناول غدائى مع احدى صديقاتى فى أحد المطاعم أو أتأخر قليلا عن موعد الغداء ·· أو اتعلل اننى متعبة أريد أن أنام ·· وأتناول غدائى بعد أن أستيقظ ·· أكره الروتين وأجد أن الافعال التى تقوم بها كل يوم ·· كل يوم لا تتغير ·· كل شىء يسير بروتين عجيب ·· حتى عندما يأتى أخى لزيارتنا ويمكث عدة أيام معنا ·· وتسأله أمى أن يفتح عيادة فى القاهرة ·· يرد عليها اجابة لا تتغير ·· أنه أصبح طبيبا معروفا فى بورسعيد ·· ويسألنى السؤال المعتاد ·· ما هى أخبارى ·· وأرد عليه نفس الاجابة ·· لا جديد ··

أخى يكبرنى بسبع سنوات ·· لا أدرى لماذا أصر والداى على انجاب طفل ثان ·· لماذا أنجبانى ·· عندما أسأل أمى تقول هذه ارادة الله ·· وعندما أسأل أبى يقول الابناء يبعثون الحياة فى البيت ·· أى حياة هذه التى بعثناها لهما ·· أخى أمضى فترة دراسته فى حجرة مقفلة ليصبح طبيبا · وأمضى أربع سنوات فى لندن ·· واختار عمله فى بورسعيد ·· هو دائما بعيد عن البيت ··

عندما كنت أسأله أن يصحبنى الى السينما كان يعتذر ويسألنى أن أتركه يستذكر لانه يريد أن يصبح شيئا ·· أى شىء تريد أن تكونه يا أخى ·· أريد أن أكون طبيبا عظيما ·· كان يردد دائما أنه يريد أن يصبح شيئا ·· معظم أبناء الطبقة المتوسطة يريدون أن يصبحوا شيئا ·· كان يعجبنى اصرار أخى ·· وأصبح يعجبنى كل رجل يريد أن يصبح شيئا ··

·· ربما لذلك أحببت مصطفى ·· كان يصرخ دائما أنه يريد أن يصبح شيئا ··

وانشغل أخى بمستقبله ·· وهذا الشىء الذى يريد أن يصنعه ·· انشغل عنا ·· ويخيل الى كلما أراه ·· أننى ألتقى مع غريب لابد أن أمضى فترة حتى أشعر بقربه لى ·· ولكنه يبتعد قبل أن أمر بهذه الفترة وكنت وحيدة دائما ·· ربما أول شعور اعترانى هو الشعور بالوحدة · ومنذ اليوم الذى بدأت أكتب فيه صنعة أبى فى

ورقة استمارة الشهادات وأنا أكتب بالمعاش ·· كنت طفلة وحيدة ·· لأخ مشغول بمستقبله وأصدقائه ·· ووالدين كبيرين ·· أنجبانى فى وقت لا يصح أن ينجبا فيه طفلا ··

كانا لا يعرفان كيف يملآن وقتى منذ كنت طفلة وهما يتركانى مع صديقات وأصدقاء ، والشىء المميز الذى استطاع أن يفعله أبى لى · ·احضار الروايات والكتب فى الاجازات الصيفية ·· ومكثت سنين طويلة فىكل أجازة صيفية مع مجموعة من الكتب ·· وجد أبى الكتب تحد من خروجى مع صديقاتى ·· وعندما خرجت للحياة واندمجت مع الناس ·· وجدت أنهم يتحدثون أحاديث غير التى فى الكتب · وعشت فترة لا أعرف أين الحقيقة · ·هل هى التى قرأتها أم التى يتفوه بها الناس ··

واكتشفت منذ ثلاث سنوات أن حقيقة الحياة الروتين ·· فالحياة تسير فى مجموعة من الأفعال المعتادة والأحاديث المعادة ·· كل شىء يسير فى روتينية سخيفة ·· الحياة فى منزلى ·· الحياة فى عملى ·· الحياة مع أصدقائى وصديقاتى وهل الحياة لم تكن روتينية قبل أن اكتشف حقيقتها ·· ربما هكذا كانت ·· لكن لم اكتشفها الا عندما زحف السأم الى نفسى ·· ويقولون أن السأم هو بداية وعى الانسان ·· وعندما يصل الى هذا الوعى فأمامه طريقان ·· الانتحار لأنه لا يجد لحياته معنى ·· فهى تدور فى روتينية سخيفة ·· أو الشفاء ·· فيحاول أن يصنع شيئا يقضى به على هذا الروتين ·· والانتحار فكرة سخيفة ·· أما الشفاء فلا أعرف له طريقا ··

●

اجتماع مع رئيس قسم العلاقات العامة ·· لابد أن يجتمع قسمنا من حين لآخر ·· لنتحدث عن النشـــاط الذى نقوم به أو المفروض أن نقوم به ·· لنتحدث عن النشرات ·· عن الاعلانات ·· عن تحرير المجلة ·· المهم أن نجتمع ويعرفون أن قسم العلاقات فى اجتماع ·· حتى وان كان هذا النشـــاط الذى نقوم به هو مجرد هذه الجلبة التى نصنعها ونحن ذاهبون وعائدون من حجرة رئيس القسم ··

ورئيس القسم موظف قديم فى الشركة ·· لا يحمل شهادة عالية لكن درجته تؤهله أن يكون رئيس قسم ·· وقررت الشـــركة أن يصبح رئيسا لقسمٍ فى نفس السنة التى قررت فيها انشــــاء قسم العلاقات العامة ·· وفوجىء بنا ·· ستة وجوه جديدة متخرجة حديثا من الجامعة ·· عينتهم الشركة فى قسم العلاقات العامة ·· وبالرغم من خبرته الديمة · وبالرغم من كبر سنة ومرتبه الا أنه شعر بنوع من النقص وهو يواجهنا · وهو يتعامل معنا ·· خصوصا فى أول عملنا ·· كلما أخطأ أحد منا يزعق ويؤكد تفاهة خريجى الجامعة ·· وبالرغم من أننا نحترمه أو نظهر أننا نحترمه لأنه رئيس القسم ·· الا أن كل فرد منا يشعر بينه وبين نفسه أنه أحسن من رئيسه ·· وهو الآن يخاف على مقعده منا ·· وله عذره فى هذا الخوف فهو أمام مجموعة من أبناء الطبقة المتوسطة الذين يريدون ان يصبحوا شيئا ·· ومع ذلك يحاول دائما أن يخفى هذا الخوف والنقص ·· فهو ألطف رئيس قسم فى الشركة ·· هو أكثرهم تفاهما مع مرءوسيه ·· هو صورة مجسمة لنوع من الروتين فى الحياة ·

جلست صامتة بينهم ·· كل فرد مطلوب منه كذا ·· نريد اقتراحا لندوة ·· ماذا فعلت يامحسن فى الاعلانات ·· كل فرد مطلوب منه كذا كأنهم يتحدثون بلغة لا أفهمها ·· انتظروا قليلا الى أن أفتح القاموس لافسر ما تقولون ·· زهقت من أحاديثهم حتى أصبحت لا أفهمها ·· وسمعت شكرى يقول كلمة ·· المجلة ··

قلت : فيه مقالة كتبتها سعدية عن دور الحضانة فى الشركات

وضحكوا ··

قال محسن : صباح الخير ·· أنت صحيتى دلوقت ··

قال رئيس القسم : اتكلمنا من شوية عنها ··

وابتسمت ··

قال رئيس القسم : عندك اقتراح لندوة ؟

ـ لا ··

قال شكرى : أنا عندى اقتراح ··

شكرى دائما عنده اقتراح لكل شىء ·· ولأى شىء ·· وعادوا يتحدثون مرة أخرى بلغة لا أفهمها ·· أصواتهم مثل جرس معلق يصرخ على وتيرة واحدة ··

وبعد الاجتماع جرت « عفاف » لترد على رنين التليفون فوق مكتبها لم تجعل أحدا منا يسبقها كأنها تولت الحق الشرعى فى الرد على أى رنين ·· مادام التليفون فوق مكتبها ·· هى تريد أن تعرف دائما من المتحدث ·· سواء كان للعمل أو مكالمة خاصة لاحد منا تريد أن تعرف كل شىء لتستطيع أن تنقدنا ·· هزت رأسها هزات أعرفها ·· وهى تنادينى لأرد على المكالمة ·· كنت لا أريد أن أقابل صلاح فترة ·· لكنى وافقت على أن أذهب معه سينما حفلة الســاعة السادسة ·· لا لشىء ·· الا لأغيظها ·· بعض الأوقات يأتينى مثل هذا الشعور العبيط ··

قالت عفاف : قابلتيه كم مرة ؟ ··

ـ الساعة ستة النهاردة ·· تالت مرة ··

ـ بالسرعة دى ··

ـ أنا فتاة عصرية ··

ـ أنت مغفلة ··

●

الناس كثيرة أمام باب السينما ·· وضع صلاح يده على ظهرى ليحمينى من الزحام ·· واعترانى شعور غريب جديد ·· لم أشعر به من قبل · كما لو كنت أجلس فى حجرة باردة أرتجف وخرجت الى الشمس ·· وكانت الشمس على ظهرى ·· أشاعت الدفء فى جسدى · لم أشعر بيد صديق على ظهرى كما شعرت بيده ·· عندما أذهب مع صديق الى دار سينما ويقوم بحمايتى من الزحام يضع يده على ظهرى أو يمسك يدى ·· لم أشعر بها ·· ما هذا الشىء الذى سيربطنى به ·

كتفى ملتصقة بكتفه ·· لا أستطيع أن أفرح ·· أو حزن ·· أو التفاءل أو التشاءم ·· واعترانى شعور غبى بالمجهول ··

وسرنا فى هذا الطريق الذى خطوت فيه خطوات كثيرة ·· مع صديقاتى ·· مع أصدقائى ·· مع مصطفى ·· كم من الخطوات سرناها معا ·· ونظرت الى صلاح شعرت أن عينى أصبحنا ·· واحدة علامة استفهام وأخرى علامة تعجب ··

قلت : فين العربية ··

– دى عربية أخويا ·· لما ييجى يزورنا باستلفها منه ··

– هو ·· ساكن وحده ؟

– أهلى كلهم فى الاسماعيلية ·· وأخويا مرشد فى القنال · أنا هنا لوحدى ··

حقيقة لم ألاحظ على صلاح وهو يقود السيارة هذا الشعور بالرضا والطمأنينة الذى ينتاب صاحب السيارة وهو يقودها ·· صلاح يسكن وحده ! ·· لابد أن أبتعد وأتراجع فى خطوات سريعة فهو قطعا بطريقة أو بأخرى سيسألنى أن أذهب لزيارته وربما لحالة نفســـية ما أذهب معه ·· وربما تعرف عفاف فتصرخ فى وجهى وتحلف أنه ســـوف لا يتزوجنى لأنها تعرف الرجال ، وانى فتاة مغفلة ، يكفى أننى قابلته تانى يوم لمعرفتى به ·· لكن · هل أنا أريد أن أتزوجه ؟!

نظرت اليه ·· يسير بجوارى بهدوء ·· قامته أطول من قامتى ·· تقاطيع وجهه مريحة ·· مبتسمة ·· صوته عميق هادىء ·· يعجبنى الصوت الهادىء لكن هذه الابتسامة التى فى وجهه وعلى شفتيه ستنقلب يوما وتصــــبح عابســـــة فى وجهى ·· انهم دائما مبتسمون ، وأصواتهم هادئة عميقة أول معرفتنا بهم ·· هذا اكتشافى أنا ·· تماما كما اكتشفت منذ ثلاث سنوات أن حقيقة الحياة هى الروتين ·· اكتشافاتى ربما تكون خاطئة ·· لكنها اكتشافاتى ··

لنكن صديقين ·· ليغير شيئا من أيامى ·· ليبعدنى عن روتين الحياة فى منزلى ·· ليخرجنى فترة عن شلة الصديقات والأصدقاء ·· ليكون شــيئا جديدا فى حياتى ·· ليكون ما يكون ·· انا لا أتضايق من صحبته ·· ربما لأنها جديدة ·· ليذهب هذا الليل ·· لينتهى الصـــباح بكل روتينه ·· تواعدنا على أن نلتقى فى حديقة جروبى ·· اختار هو المكان ووافقت بالرغم من اعتراضى الداخلى ·

فى حديقة جروبى الجديدة وجدته ينتظرنى ·· فرحت لاهتمامه ووجوده قبل الموعد ينتظرنى ··

قال : أتأخرت ليه ··

نظرت فى ساعتى ·· الخامسة ·· وضعتها على أذنى ·· صامتة ·· خلعت ساعتى وأعطيتها له ·· وضعها على أذنه وابتسم ·· مد الى ذراعه لأرى الساعة فى معصمه ·· السادسة ·· ساعة كبيرة بها نتيجة ·· نظرت الى النتيجة وذهبت ابتسامتى ·· وقلت هامسة : ــ النهاردة ١٥ ابريل ·· مش معقول ··

ــ ليه مش معقول ·· كل سنة فيها شهر ابريل وكل ابريل فيه يوم ١٥ ··

ذهبت فرحتى بوجوده معى ·· اعترانى صمت ··

قال : كان عندك ميعاد أو مناسبة النهاردة ونسياها ؟

ــ لا ··

حديقة جروبى تغيرت ·· قطعوا الشـــجرة الكبيرة ·· كان لقاؤنا تحتها ·· شجرة قوية تظلل على المكان كله ، لم أفكر يوما وأنا أجلس تحتها أنهم سيخلعونها من مكانها ·· قال مصطفى يوما أنه يحبها ·· وتسمرت عيناى على موقع الشجرة ··

قال صلاح : سرحانة فى أيه ··

ــ فى الشجرة الكبيرة ··

ــ أى شجرة ··

وأشرت بيدى الى موضعها

– اللى كنت هنا ..

هز رأسه متعجبا .. واستأذن منى ليتحدث فى التليفون ..

الشجرة الكبيرة مازلت أذكرها .. هى مطبوعة فى مخيلتى .. كنا نجلس تحتها ذلك اليوم .. كنت أرتدى فستانا أخضر فى لون ورقة الشجرة الصغيرة .. كان شعرى طويلا . .كان طلاء أظافرى ورديا .. كأن اليوم كان بالأمس فقط .. ذلك اليوم .. منذ خمس سنوات لم أنس كلمة من الحديث الذى دار بيننا ..

●

**قال مصطفى : أميرة .. تفتكرى أهلك حيوافقوا ؟**

**– طبعا مادام أنا موافقة**

**– أنا مرتبى صغير**

**– أنا ابتديت اشتغل**

**– يعنى اعتبر اننا « مخطوبين » من النهاردة**

**– النهاردة خمستاشر ابريل**

**– عروستى الحلوة ..**

●

مصطفى ظن اننى من عائلة غنية .. وأنا لا أختلف عنه فكلانا من الطبقة المتوسطة ، لكن لأن والداى لم ينجبا سوى اثنين .. أخى وأنا فدخلنا يكفينا ويزيد .. ومنذ أصبح أخى طبيبا .. توفرت مصاريفه وزاد الفائض من مصاريفنا .. ومصطفى عائلته عددها كبير .. سبعة .. دخلهم لا يكفيهم .. ربما تربى فى نوع من الحرمان تحمله الى أن تخرج ، فلم يكتف بوظيفته فى شركة كبيرة للبناء ، وتقرب الى أحد المهندسين الكبار وابتدأ يعمل معه .. هو

يريد أن يصبح شيئا ·· وأول ما زاد دخله انفصل عن عائلته ·· سكن وحده ·· فى هذه الشقة الصغيرة التى قال يوما سنعيش فيها معا ··

جلس صلاح امامى وتأسف لتأخره ··

لاداعى لتأسفك ، لم أشعر أنك تأخرت ·· هل سأستمر فى الصمت ·· لابد أن أتحدث ··

قلت : أخبارك أيه ؟

– ابتدأت فى تنفيذ مشروع الفيلات ·· كل يوم أسهر ·· أديت لنفسى راحة ساعتين علشان أقابلك ·· أتأخرت أنت منهم ســـاعة ·· أميرة ·· ايه رأيك تيجى تقعدى معايا وأنا باشتغل ··

نظرت اليه ·· ابتسمت ساخرة ·· هاهو ·· بطريقة مايسألنى أن أذهب معه الى شقته ·· اهتزت نظرته ·· وارتبك ··

قال : متذكريش انها حجة علشان تيجى معايا

– أنا مش صغيرة ··

– مش قصدى أى حاجة غير أنك تقعدى معايا

– ليه ؟!

– بحب اقعد معاك

وابتدأ الظلام يزحف الى السماء ·· كلشىء حولنا يأخذ لونا ·· أضاءوا الأنوار فى الحديقة ·· كل شىء حولنا يأخذ لونا جديدا ·· لا أستطيع أن أمضى طول هذا الليل وحيدة فى منزلى ·· هذا الليل بالذات ·· دفع صلاح الحساب وسرنا فى الطريق ·· فى نفس هذا الطريق سرنا منذ خمس سنوات ·· مصطفى يمسك يدى ·· يضع ذراعه حول كتفى أكاد أصرخ لكل الناس ·· أقول لهم الخبر ·· لنحتفل بليلنا يامصطفى ·· لنرقص فى أى مكان ·· جسدى منتش ·· أريد أن أسمع ألحانا وأرقص معك ·· وأعتذر ·· كان على موعد عمل ·· هذا العمل الاضافى الجديد يريد أن يثبت نفسه

فيه ·· لا يمكن أن يأخذك أى عمل منى هذا المساء ·· ولا يمكن أن تأخذينى من أى عمل ·· لابد أن أحتمل فهو يريد أن يصبح شيئا ·· لابد أن أساعده ·· وعدت مع دموعى الى منزلى ·· فرحت ·· وبكيت ·· وكانت دموعى أكثر من فرحتى ··

قال صلاح : حتروحى فين ؟

– أنا ·· حاجى معاك

وها أنا لحالة نفسية ما ·· أذهب معه ·· وجلسنا صامتين فى سيارة أجرة ··

أهتم مصطفى بعمله الاضافى الذى يعمله حسب رغبته ·· أخذ كل وقته وساعدته الشقة التى سكن فيها وحده على أن يمكث فيها ساعات وساعات يعمل ·· اتفقنا على أن نؤثث الشقة معا ·· كانت شقة واسعة وخالية ·· حجرة بها سرير ·· وحجرة بها منضدة رسم مرتفعة ومقعدان ·· وحجرة ثالثة خالية ·· والصالة خالية ·· قال أنه سوف لا يقدم على تأثيث الشقة الا اذا حصل على النقود الكافية ·· سألته أن أبدأ أنا فى المساهمة بالتأثيث ·· ربما فكر سريعا ·· هذا معناه أن يأتى الى منزلنا ويقابل أبى ·· ورفض الفكرة ·· قال أنه لا يريد أى خطوة قبل أن يصبح شيئا ·· قبل أن يصنع شيئا ·· لابد أن أتحمل ·· لابد أن أساعده ·· أنا أيضا أريده أن يصبح شيئا ·· وأصبح يعتذر عن مقابلتى لانشغاله بالعمل ·· وكنت أذهب اليه فى هذه الشقة أجلس بجواره ساعات وهو يعمل ·· يرسم خطوطا لا أفهمها على الورق ·· ويشرح لى هذه الخطوط ·· هذه حجرة ·· وهذه حجرة ·· هذا سلم ·· هذا باب ·· ربماأنا قبلت الذهاب مع صلاح لأنى شعرت بحنين لمشاهدة هذه الخطوط التى لا أفهمها ·· لأراقب شخصا يعمل ويريد أن يصبح شيئا ··

نظر الى صلاح وابتسم · شعرت باضطراب ·· وهو يدير المفتاح فىالباب ·· وصوت الباب وهو يفتحه ·· بعد لحظات سيغلق علينا هذا العالم الصغير ·· ولعنت خطواتى ·· ولعنت أيامى كلها ·· ما هذا الذى أفعله ··

دارت عيناى فى الشقة الصغيرة ٠٠ حجرتين ٠٠ أو صـــالة واسعة وحجرة ٠٠ الصـــالة بها كنبة ومقعدان وفى الركن المقابل منضدة الرسم وتليفون ٠٠ وقفت بجوار المنضدة المرتفعة وبجوارها راديو واسطوانات ٠٠ لمستها ٠٠ ربت عليها ٠٠ نظرت الى الورقة المثبتة فوقها وابتسمت ٠٠

قال صلاح : عجبك التقسيم

ذهبت الى الحجرة الثانية ٠٠

وقفت بجوار الباب ٠٠ بها سرير ومقعد ودولاب ٠٠ شقة نظيفة مرتبة ٠٠ لاتبعث على الانقباض ٠٠ كل شىء فيها نظيف ٠٠ حتى المطبخ وجدته كاملا ٠٠ لابد أن عائلة صلاح لها دخل خاص ٠٠ فهذه الأشياء لايمكن أن يشتريها وحده ٠٠ لم أكن أتصور أننى سأجد شقة صلاح هكذا ٠٠ شقة العازب فى تصورى هى شقة مصطفى ٠٠ خالية ٠ غير منظمة ٠٠ غير كاملة ٠٠

قال صلاح : عجبتك الشقة

ـ مريحة

ـ اتفضلى

ونظرت اليه باستخفاف

قلت : تحب أسليك ازاى وانت بتشتغل ٠٠ أغنى لك واللا أحكى لك حكايات ٠٠

وتجاهل سخريتى ٠٠ وضع اسطوانات فى الجهاز ٠٠ وأحضر مجموعة من المجلات وضعها بجانبى ٠٠ كأنه يقول لا أريد منك شيئا ٠٠ كأنه ندم على وجودى معه وذهب الى منضدة الرسم ٠٠ ابتدأ يخطط ويفكر على الورقة الكبيرة ٠٠ نظرت اليه وتذكرت مصطفى عندما كان يقف أمام هذه الورقة المثبتة على اللوحة ويخطط ٠٠ ودوت فى أذنى صرخاته ٠٠

●

صرخ مصطفى ـ أنا انسان فاشل ·· فاهمة يعني ايه فاشل كل الحاجات اللى بعملها كلام فارغ ·· مش عارف أعمل حاجة جديدة ··

ـ كل حاجة بتعملها جديدة

ـ يتهيألك

ووقفت أمامه حائرة ·· ماذا أفعل لأسكته ·· ضممته وقبلته ·· ضممت شفتيه بين شفتي لاسكته ·· وابتعد عني ليصرخ ··
وضجت القاعة بالتصفيق والضحكات ·· أعجبتني حماســة وتركت يديه تعبثان بملابسي بجسدي ·· وابتعدت عنه ··

ـ مصطفى

ـ احنا مخطوبين

ـ وبعدين

ـ حنتجوز ·· لما نعمل بيت

ـ حنعمله أمته

ـ بعدين ·· لما أكون حاجة ··

وضمني ·· وانقبض قلبي وأنا أبعده ·· وانتقلت ثورته على عمله الى ثورة على تصرفاتي ·· صرخ في وجهي ··

ـ كل اتنين بيحبوا بعض لازم تكون بينهم علاقة كاملة

ـ مش لازم

ـ تبقى مش بتحبيني

ـ أنت عارف أني بحبك

وضمني اليه بقوة ·· لم أشعر باطمئنان بين ذراعيه ·· كان في داخلي دائما شيء يمنعني من الشعور بالراحة بين ذراعيه ·· كلما ضـــمني أفتح عيني مذعورة أنظر اليه ·· يحاول محاولات فاشلة ·· ويثور علي ويبتعد عني ويعود الى عمله ··

●

قال صلاح : أميرة تشربى شاى ·· وانتفضت وأنا أسمع صوته ··

قال : كنت سرحانة فى ايه ؟

ـ فى القصة اللى فى المجلة دى ··

وذهبت خلفه الى المطبخ ·· طلبت منه أن اصـــنع الشاى ·· وتركنى وذهب الى عمله ·· وابتســـم وهو ينظر الى وأنا أحمل صينية الشاى ·· ومرت ساعات هادئة ·· ارتاحت فيها أعصابى المشدودة ·· صلاح يعمل بهدوء ·· لا يثور على مايعمله ولا يصرخ لأنه فاشل لا يستطيع أن يفعل شيئا جديدا ·· هل هو واثق من نفسه الى هذه الدرجة ·· هل لأنى أراه لأول مرة وهو يعمل ·· هل يتظاهر بالهدوء والثقة ··

وسألته : صلاح ·· أنت دائما هادى وأنت بتشتغل ··

ـ طبعا ··

ـ ليه طبعا

ـ مادام فاهم أنا بعمل ايه وبفكر كويس بتركيز ·· وبسمع موسيقى هادية ·· خصوصا دلوقت وأنت زى ملاك حارس قدامى ·· لازم اشتغل بهدوء ··

نظرت اليه متعجبة ·· ملاك حارس ! ·· تعبير جديد ·· ماذا كنت لمصطفى لماذا كان يصرخ دائما ·· هل كان يرى فى صـــورة الشيطان ؟! ·

وفى الساعة العاشرة نزل معى صلاح ليوصلنى ·· لم يقل لى كلمة سخيفة ولا لمست يده يدى ·· تعمد الانهماك فى عمله ·· لم يطل النظر الى · أراد صلاح أن يبرهن لى أنه مجرد صديق يحب صحبتى أراد أن يطمئننى حتى أعود لزيارته ·· وابتســـمت ·· وضحكت وحدى فى حجرتى بصوت مرتفع ··

●

فتحت مجلة الشركة التى يصدرها قسمنا ·· مجلة صغيرة فى عشر صفحات يصدرها قسمنا كل شهر ·· كل شهرين ·· ووقع نظرى على مقالة « سعدية » عن دور الحضانة ·· وابتسمت عندما قرأت اقتراحها المتحمس عن انشاء هذه الدور فوق أسطح الشركات أو فى مكان قريب منها ·· ودخلت « سعدية » الى حجرتنا بجسدها الممتلىء ·· نشطة متحمسة ··

قال : صباح الخير ياقسم العلاقات ·· شفتم المصيبة اللى حصلت ··

قال محسن : فيه حد اتجوز ؟!

قالت سعدية : آخر دور كتبوا شكوى ضدى للمدير ·· قالوا ان عمل دار حضانة فوق سطح الشركة عمل تخريبى لأنهم مش حيعرفوا يشتغلوا ··

قال شكرى : والله الموظفين دول فاضيين ·· يكتبوا شكوى فى مشروع خيالى ··

قالت سعدية : الشركة لما تروح لها شكاوى من دلوقت مش ممكن تنفذ أى مشروع ··

قالت عفاف : حتى لو موصلهاش شكاوى ·· مش حتنفذه ··

واقتربت سعدية من مكتبى ·· ابتسمت بفرح عندما وجدتنى أفتح المجلة على ما كتبته ··

قالت سعدية : حكتب تانى فى الموضوع ده ·· المشروع لازم يتنفذ ·

قلت بلا حماس : لازم··

اشعلت سيجارة ·· ونظرت الى سعدية وقالت :

– بتشربى سجاير ليه ؟

– مفيش حاجة تانية أعملها ؟

قالت بحماس : اكتبى معايا عن دور الحضانة

قال محسن : أميرة تكتب عن الموضة وأحدث رقصة ·· مش نطالب بدار حضانة ·

قالت سعدية : ليه ·· بكره أميرة تتجوز وتجيب ولاد ·· لازم تعمل حسابهم من دلوقت ··

قال محسن : بكره الاتنين

قالت سعدية :أميرة مش تردى

قلت: محسن قال لك بكرة الاتنين

قالت سعدية : أنتم لازم تتحمسوا معايا علشان المشروع ده لازم يتنفذ أنا كل يوم الصبح أدور بولادى على الجيران ·· أضحك لواحده وأجامل واحدة علشان أقدر أسيبهم عند جارة ··

قلت بلا حماس : سعدية ·· ليه متعملوش دار حضـــانة فى الحى عندك اتفقى مع جاراتك واعمليها ··

قالت سعدية : ياست أميرة أنت بتتكلمى كلام بتاع كتب

قال شكرى : حتيجى الندوة بعد الضهر ياسعدية ··

قالت بحماس : طبعا

قال محسن : وحتجيبى ولادك الندوة

قالت سعدية : لأ ·· حجبهم معايا الشغل كل يوم ··

قال محسن : فكرة ·· لو كل واحدة عندها ولاد تجيبهم معاها الشركة تضطر أنها تعمل دار حضانة فوق السطح ·

قالت عفاف : الشركة ترفدهم ·· كلنا بنشتغل برغبتنا

لانها مجبرتش أى واحدة أنها تشتغل

قالت سعدية : واحدة زيك ياست عفاف بتشـــتغل برغبتها علشان تضيع وقت ٠٠ أما أنا بتشغل علشان أربى ولادى ٠٠ وأعلمهم

قالت عفاف : هو ده عيب الست الجاهلة اللى بتشتغل ٠٠ يوم ماتدفع قرش صاغ فى بيتها تصرخ وتقول أنا بصرف على البيت .

صفق محسن وزعق : هيه ٠٠ خناقة ٠٠

قالت سعدية : ياست عفاف أنا برضه متعلمة ٠٠ لكن الناس حظوظ أنا بتشغل مضطرة ٠٠ وأنت بتشتغلى فانتازيا ٠٠

قالت عفاف : الشغل للست بيعمل لها شخصية محترمة فى المجتمع ٠٠

قالت سعدية : لما ادور كل يوم الصبح بولادى على الجارات أبقى شخصية محترمة ٠٠ ياعفاف بطلى غلبة وطولة لسان ٠٠

وضعت رأسى بين يدى ٠٠ وأغمضت عينى ٠٠

صرخ محسن : كفاية خناق ٠٠ أميرة عايزه تنام

اقتربت منى سعدية ٠٠ نظرت الى وقالت :

– أميرة ٠٠ أنت بتشتغلى ليه ؟

رفعت عيناى اليها وراسى مازالت بين يداى

قلت : أنتعارفة فترة الصـــبح دى فترة بايخة ٠٠ الواحد يبقى مش عارف يقضيها فين ٠٠ ف ٠٠

وصرخت سعدية : قسم العلاقات حيجننى ٠٠ كل ما أحلف مش داخلة أودتكم ٠٠ الاقى نفسى فى وسطكم ٠٠

ضحكنا ٠٠ نظرت الينا سعدية وابتسمت ٠٠ وخرجت مسرعة متحمسة وخيل الىأنها ستذهب الى قسم الحسابات فى الشـــركة تقنعهم بحماسها أن يتولى قسمهم اصدار المجلة ٠٠ لأن قسم العلاقات العامة ٠٠ غير جاد ٠٠

●

ونقيم ندواتنا ومحاضراتنا فى قاعة محاضـــرات فى أحدى الشركات الكبيرة ·· يقوم شكرى ونادية بالدعوة لهذه الندوات ·· قسم العلاقات العامة لابد أن يثبت وجوده ·· يقوم بنشـــاط ·· حتى وان كان هذا النشـــاط هو موضـــوع تافه لندوة ·· أنهم يناقشون حقيقة واقعة ·· الاختلاط فى العمل ·· اقترح شـــكرى هذا الموضوع يوم الاجتماع ·· هذا الاجتماع الذى كانوا يتحدثون فيه بلغة غريبة لم أفهمهـــا ·· لو كنت فهمت ما يقولون يومها لاعترضت على هذه الندوة ·· لكن رئيس القسم كان سيرفض لأنه يحب مثل هذه المواضـــيع ·· فلا يصـــح أن تكون كل الندوات جـــادة ··

وحضرت الآن ، ليضع بعض الوقت ·· ليحدث أى تغيير فى اليوم ·· الكلام سخيف ·· الاحاديث مملة ·· المناقشة لا تهدف لشىء ·· وسمعت أحد المتحدثين يقول :

ـ كما أن الاختلاط فى العمل أعطى فرصة الزواج للفتيات ·

وضحكت نادية بصوت مرتفع ·· ولكزتها عفاف ·· وقام أحد الموظفين فى الشركة ·· وقف وسط القاعة وقال بصوت مرتفع :

ـ اذا كان الاختلاط أعطى فرصة الزواج للفتيات ·· فماذا أعطى للمرأة المتزوجة ··

كلام فارغ ، ليس له أى معنى

وقف الرجل ليلفت اليه الأنظار وجدها فرصة لاستغلال صوته المرتفع ·· ووقفت ســـعدية ·· قالت بحمـــاس كأنها تهتف فى مظاهرة ··

ـ المرأة المتزوجة تطالب الشركة بعمل دار حضانة ··

وضجت القاعة بالتصـــيق والضحكات · أعجبتنى حماسة سعدية وجرأتها · ووقفت أصفق للمستمعين ليصمتوا · وأزعق فيهم ليصمتوا ، لتكمل سعدية كلامها ·· ووقف رئيس قسمنا ·· وقال ان المناقشة خرجت عن الموضوع الاساسى ·· أى موضوع أساسى أى موضوع أصلا ، وسرت الى باب القاعة وقفت بجواره ··

ماذا أستطيع أن أفعل القسم ٠ ٠ماذا أريد أن أفعل ٠٠ لا أريد أن أفعل شيئا ٠٠ وكنت متحمسة لعملى أول التحاقى به ٠٠ كان أول عام تغيير فى حياتى ٠٠ عملت وأحببت مصطفى ٠٠ فى عام واحد حدث لى هذا التغيير الكبير ! كنت أريد وقتها أن أكون شيئا ، ليفخر بى مصطفى وهو يقدمنى للناس كان يقول أنه يريد أن يكون أحسن مهندس فى البلد ٠٠ وكنت أريد أن أكون شـــيئا بجوار أحسن مهندس ! ٠٠ كان الأمل يدب فى خطواتى والآن ٠٠ ماذا أريد ٠٠ لم أعد أهتم بعملى ٠٠ لم أعد أهتم بأنأكون شيئا فى هذا العمل ٠٠ لأى فرد أكون شيئا ٠٠ لنفسى ٠٠ أنا أكره نفسى ٠٠ لا أدرى ماذا حدث لى ٠٠ الذى أعرفه ٠٠ انه حدث لى نوع من اللامبالاة بكل شىء ٠٠ وقفت بجوار الباب ٠٠ لا أعرف ماذا أريد أن أفعله ٠٠ أدخل وأجلس وسطهم ٠٠ أم أخرج أسير فى طرقات المدينة الى أن أتعب وأرتمى على فراشى وأهرب من كل شىء بالنوم ٠٠ لا أعرف ماذا أريد الآن ٠٠ ربما أريد أن أتحدث ٠٠ أقف فوق هذه المنصة وأقول لهم الأفضل لكم أن تذهبوا الى بيوتكم بدلا من هذا اللغو الذى لا يفيد ٠٠

اقتربت منى ناهد وقالت :

ـ أميرة ٠٠ رايحة فين ؟

ـ مش عارفة ٠٠

ـ تيجى تتعشى معانا ٠٠ مجموعة من صحابنا جايين ٠٠

وسرت بجوارها ٠٠ مادمت لا أعرف ماذا أريد أن أفعل ٠٠ لأسير بجوار صديقة تعرف ماذا تريد ٠٠ وتحب أن تشركنى فى هذا الذى تريده ٠٠

جلسنا حول مائدة الطعام ٠٠ بين هذه المجموعة التى قالت عنها ناهد يجلس صلاح ٠٠ ناهد أعدت الطعام وتسألنا هل يعجبنا طبق المايونيز ٠٠ قال مصطفى يوما أن ناهد أحسن ست فى مصر تعمل هذا الطبق ٠٠ ياسماء لماذا لا أنسى كلماته الصغيرة ٠٠ لماذا لا تختفى صورته التى تظهر بيننا ، لماذا لا أنساه فاستريح ٠٠ ربما

استريح عندما تعيش نفسى فى عالم واحد ‥ مع الناس ‥ انها تعيش فى عالمين منفصلين ‥ عالم بعيد تفتقده وتشتاق للرجوع اليه ‥ وعالم واقعى تتقبله بعدم اكتراث ‥

قال صلاح وهو ينظر الى :

ــ عملتوا ايه فى الندوة ‥

قلت : كلام فارغ ‥ مش فاهمة كانوا عايزين يقولوا ايه ولا هم كانوا فاهمين ‥ كل واحد كان عايز يتكلم ويسمع صوته ‥

قالت ناهد ــ لكن أنا لاحظت انك كنت عايزة سعدية تتكلم

ــ علشان سعدية فاهمة هى بتقول ايه‥ وعايزة ايه ‥

قال صلاح : وسعدية عايزة ايه ‥

قلت : بتطالب الشركة بدار حضانة ‥

قالت ناهد : أنتم لسه بتعاكسوها

ــ طبعا ‥

ــ كل ما تروح عندكم فى القسم ترجع تشتكى منكم ‥ لكن ‥‥ تعرفى قلبها طيب ‥

وتحدثنا عن دور الحضانة ‥ وتحدث واحد من الموجودين وكان فى بعثة فى الخارج ‥ تحدث عن دور الحضانة هناك ‥ والعناية بها ‥ وقال ان الدول النامية لابد أن تهتم بالأطفال ‥ وتعطيهم اهتماما أكثر ‥ وتحدثت واحدة من الموجودات عن تلاعب الدادات وعدم عنايتهن بالأطفال ‥ والأم لابد أن تلاحظ أطفالها بنفسها ‥ وحكت عن تجربتها الخاصة ‥ وساعدها زوجها فى بعض الملاحظات ‥ وسألتنا ناهد أن ننتقل الى حجرة الصالون لنأخذ الحلوى ‥ تعمدت أن تقطع هذا الحديث الذى لا ينتهى عن الأطفال ‥ ونظر اليها زوجها بطرف عينه وخفت أن يقول كلمة تجرحها ‥

قلت له : سعيد ‥ شفت الفيلم اللى فى سينما مترو

ـ بيقولوا انه كويس

لازم تشوفه

نظرت فى ساعتى ٠٠ ونظر الى صلاح وقال انه سيوصلنى ٠٠ قالها بصوت مرتفع ٠٠ وسمعته ناهد وابتسمت لى ابتسامة أفهمها ٠ ابتسامة مشجعة أن أبقى ، أن أنزل مع صلاح ٠٠ حتى ابتدأت أشك أنها دبرت فى مقابلة صلاح ٠٠ دبرت تعارفنا ٠٠

●

فى الصباح ٠٠سألنى صلاح أن نتناول العشاء معا ٠٠ فرحت بعزومته ٠ ٠ذهبنا الى ملهى ليلى جديد ،لم أذهب اليه من قبل ٠٠ جلسنا خلف منضدة صغيرة الأضواء خافتة ٠٠ الأنغام تزيد من فرحتى ، وراء المنضدة المجاورة ثلاثة رجال ٠٠ وجه منهم أعرفه ٠٠ سلم عليه صلاح بايماءة من رأسه لم يسلم عليه بحرارة ، ربما لان مصالحه ليست مرتبطة به ٠

هو رئيس مصطفى ٠٠ تقرب اليه شهورا طويلة ٠٠ كان يتركنى ليقابله ٠٠ يتركنى مع صديقاتى وأصدقائى أتسلى معهم ٠٠ وأسهر معهم ٠٠ كنت لا أدرى سبب تقرب مصطفى لهذا الرجل ٠٠ قال مصطفى انه سينفعه ٠٠ هذا الرجل ٠٠ أنا أكرهه ٠٠ قابلته مرة صدفه مع مصطفى وكانت معه زوجته ٠٠ أصر مصطفى أن نذهب لتناول العشاء ٠٠ لم تعجبنى أحاديث هذا الرجل ٠٠ اكتشفت من أحاديثه وأحاديث مصطفى عنه انه من هذا النوع الذى يقدر عمل الشخص بتعامله مع الشخص وصداقته له ٠٠ لا يقدر الشـــخص بالعمل الجيد الذى يقدمه ٠٠ دفع مصطفى الحساب ٠٠ وسألتنى يومها زوجته هل أنا خطيبة مصطفى ٠٠ وابتسمت ببلاهة لم أعرف بماذا أجيبها ٠٠ تجاهل مصطفى السؤال وانهمك فى الحديث مع هذا الرجل ٠٠ وهذا الرجل قال انه سعيد بشباب هذا الجيل لأنهم يعيشـــون حياتهم بلا عقد ٠٠ وسألت مصطفى بعدها ماذا أكون بالنسبة له ٠٠ لا أدرى ماذا أقول للناس ٠٠ وضمنى وقبلنى وهو

يقول سيعرفون غدا ‥ وتركني فى حيرتى وقلقى لانساهما فى صحبة الصديقات والأصدقاء ‥

سألنى صلاح أن نرقص ‥ مررنا بجوار المنضدة المجاورة نظر الى الرجل ‥ لاأظن أنه عرفنى ‥ لا يستطيع ان يذكر وجها رآهمنذ أكثر من ثلاث ســنوات ‥ أنا أذكره ‥ وأكرهه ، كان مصطفى يصرف كثيرا ليجارى الحياة مع هذا الرجل ‥ الى أن وصل الى ما يريد ‥ وتركنى ‥

ضمنى صلاح بحنان وخفق قلبى ‥ الالحان الجديدة فيها حزن عاطفى ‥ نظرت الى عينيه وابتسم ‥ وانحنت رأسه قليلا اتلامس رأسى ‥ نظرت اليه لأسأله سؤالا لا أعرفه ‥ انفرجت شفتاى ولم أسأله ‥ وابتدأت الضجة بلحن صاخب ‥ نظرت اليه ‥ هززت كتفى وابتسمت ‥ لا أعرف هذه الرقصـــة ‥ وهز كتفه وابتسم هو أيضا لا يعرفها ‥ وعدنا الىمكاننا ‥

انضم رجل رابع الى المنضدة المجاورة ‥ علت ضحكات هذا الرجل ‥ كان مصطفى يسهر معه ‥ وعندما أقول له خذنى معك ‥ يقول انهم كلهم رجال ‥ وسافر معه يوما الى الاسكندرية ، وعرفت أنه كان بصحبتهما امرأة صديقة لهذا الرجل ‥ وعندما واجهت مصطفى قال لى بصوت تراجيدى ‥ هذه هى الحياة ‥

دون أن أدرى هززت رأسى وتنهدت ‥ لابد أن تعبيرا غريبا ظهر فى ملامح وجهى حتى سألنى صلاح ‥ ماهى مشكلتى فى الحياة ابتسمت وسألته أن نرقص لأنى أحب هذا اللحن ‥

مررنا بجوار المنضدة المجاورة ونظر الى الرجل ‥ لا أظن أنه عرفنى ‥ أنا تغيرت ‥ ضمنى صـــلاح بحنان وخفق قلبى ‥ انفرجت شفتاى لكنى لم أتحدث ‥ هل تريد أن تعرف مشكلتى فى الحياة ‥ مشاكلى معها كثيرة يا صاحبى ‥ مشكلة فى عملى ‥ انى لم أحب يوما أن أكون مجرد موظفة ‥ وأصبحت مجرد موظفة تؤدى أى عمل ‥ لم أعد أدرى ماذا أريد من هذا العمل او ماذا

أقدم له ‥ مشكلة فى عاطفتى ‥ اننى لا استطيع ان احب ففى قلبى ‥ حب وجرح ‥ لم أعد أدرى ماذا أريد منهذا الحب او ماذا افعل لأنساه ‥ مشكلة فى هذه الأيام التى تكرر نفسها ‥ مشكلة معك ‥ لانى ابتدأت أحب صحبتك ‥

قال صلاح : سرحانة فى ايه ؟

ـ الموسيقى حلوة ‥

ـ تعرفى ياأميرة ‥ أنت فى الليل أجمل من الصبح ‥

ـ كل البنات فى الليل حلوين ‥ علشان لبس الليل اشيك ‥ والماكياج تقيل ‥

ـ الليل بيخليكى عاطفية ‥

الساعة الواحدة ‥ ونظر صلاح الى نظرة حزينة ‥

قال : مش عايز الليل يخلص

ـ روح القطب الشمالى أو الجنوبى وأنت تقعد فى الليل شهور

ـ وتكونى معايا ‥

دائما يتظاهرون ‥ دائما يجاملون ‥ لم تعد تفرحنى هذه الكلمات ‥

لابد أنأرد عليه ولو بكلمة ‥ لكن لم أستطع ‥ وسرت أمامه الى الباب ‥

كنت منتشية بالمكان ‥ بالاضواء بالألحان ‥ بالرقصـــات ‥ بالرغم من وجود هذا الرجل الذى أكرهه ‥ وذهبت كل نشوتى وأنا أسلم على صلاح وأصعد بمفردى ‥ أسير على أطراف أصابعى حتى لا أوقظ البواب ‥ وأدعو ألا أقابل أحد السكان ‥ وأدعو وأنا فى المصعد أن يصعد سريعا ‥ وأدعو ألا يتوقف فأصرخ أنادى على البواب ويستيقظ السكان ‥ وينظرون الى نظرة لا أحبها ‥ ولا أجد مكانا أخفى فيه وجهى فأنا فى قفص معلق وهم ينظرون

الى ٠٠ بعض الأوقات اصعد على السلم حتىأتحاشى مخاوفى ٠٠ وأدعو أن أجد والداى قد ذهبا للنوم ٠٠ وأفتح باب شقتنا بحرص حتى لا أوقظهما ٠٠ كانا من زمن يؤنبانى على عودتى متأخرة ٠٠ زهقا من التأنيب ٠٠ وعندما أجد أحدهما مستيقظا ينظر الى نظرة معاتبة لا أحبها ٠٠ ولا أستطيع أن أقول لهما أننى أهرب من هذا الليل الطويل ومن وحدتى ٠٠ سوف لا يفهمانى ٠٠

هذه اللحظات التى أمضيها عندما ادخل باب منزلنا الى أن أصل الى حجرتى تسرق منى أى نشوة ٠٠ وأى بهجة أشعر بها فى سهرة أمضيها فى المساء ٠٠

●

جلسنا فى الحجرة الكبيرة ٠٠ كل فرد منا منهمك فى العمل الذى أمامه أو يتظاهر بالانهماك ٠٠ ولم أجد شيئا أفعله ٠٠ أشعلت سيجارة ٠٠

قال محسن : أنا قررت اشتغل فى مصلحة السياحة ٠٠

قلت : كل سنة بتقول كده ٠٠

قال : السنة دى بجد ٠٠

قلت : أشتغل معاك ٠٠

قال : كل سنة بتقولى كده ٠٠

قلت : أنا زهقت من هنا ٠٠

قال : يتهيألى لو أشتغلنا فىمكان جديد نقدر نجدد نفسنا ٠

قالت عفاف : ياصباح الفلسفة ٠٠

قال شكرى ــ أحسن حاجة لتجديد النفس اننا نقوم برحلة ٠٠

قالت نادية: نروح السويس ٠٠

قالت دلال : العين السخنة ٠٠

قال محسن : أميرة نروح نشتغل فين ؟

قلت : كل سنة انا باقترح ٠٠

قال : نروح مصلحة السياحة ٠٠

قال شكرى : أنا حروح أتفق مع الريس وأعمل اعلان الرحلة ٠

قالت نادية : يوم الجمعة الجاية ٠٠

تثاءبت واغمضت عينى ٠٠

قال محسن : أقفل لك الشيش علشان تعرفى تنامى ٠٠

جاءت نادية الى مكتبى ٠٠ قالت هامسة :

ـ كنت سهرانة امبارح مع صلاح

وهززت راسى موافقة ٠٠

قالت : فى سينما واللا رقصتم ٠٠

ـ رقصـــنا ٠٠

ـ وعملت ايه ؟

ـ رقصـــت ٠٠

جاءت عفاف ٠٠ انضمت الينا ٠٠

قالت : أميرة أخبارك ايه ؟

ـ عندى صداع وعايزة أنام ٠٠

ـ لازم كنت سهرانة ٠٠

ـ افرضى ٠٠

قالت عفاف : أنت ونادية مغفلين بتضيعوا وقتكم وبتضيعوا الرجالة من أيديكم ٠٠

قال محسن : حد بيجيب فى سيرتى ·· أنا سمعت كلمة رجالة

قالت نادية : بلاش نتكلم هنا ··

قالت عفاف : تيجوا تتغدوا عندى ··

قلت : لا ·· أنا عايزة أنام ··

ولم تكن لى أمنية فى هذه اللحظة الا الذهاب الى منزلى سريعا لأنام ، لم أنم سوى ساعات قليلة نوما قلقا ·· وعندما وصلت الى باب شقتنا سمعت حركة غير عادية فيها وصريخ أطفال ·· فتحت الباب ·· واستقبلتنى مجموعة من الاطفال ·· ثلاثة ·· أربعة ·· وابتسمت وأنا أكاد أبكى ·· أريد أن أنام ·· ووجدت ثلاث سيدات وأزواجهن · قريبات أمى ·· عزمتهم دون أن تخبرنى حتى لا أهرب منهم ·· حتى لا أتصل بها من الخارج وأعتذر ·· لماذا لم أذهب مع عفاف ؟

سلمت عليهم ·· ودخلت الى حجرتى ·· ألقيت حقيبتى وتجمعت الدموع فى عينى ·· أمى تعرف أننى لا أحب أن أجلس مع هؤلاء السيدات الثلاث ·· ليس لى الحق أن أمنعها من عزومة قريباتها ليس بيتى ·· انه منزلى ·· ليس بيتى ·· لابد أن أتقبل أى شىء ·· يحدث فيه دون ارادتى ·· وضعت بعض البودرة حول عينى حتى أزيل احمرار جفونى من دموعى المخنوقة ·· وخرجت اليهم ··

لم أستطع أن أجلس وسطهم ·· ذهبت لأساعد الشغالة فى اعداد المائدة ·· وابتسمت أمى لاهتمامى بأقاربى ··

جلست وسطهم حول المائدة ··

قالت احدى الزوجات : أميرة ·· أنت خسيتى عن آخر مرة شفتك ··

قال زوجها : جسمها كده كويس ··

قالت : لا ·· لازم تتخن شوية ··

قال زوجها : أنت عاملة نفسك مثل ·· أنت خلفتى ·· وكمان السن عليه عمل ··

قالت : أنا وأميرة مولودين فى سنة واحدة ··

وقف الطعام فى حلقى ·· شربت ماء ·· نظرت اليها بدهشة ·· هى ·· وأنا ·· مولودين فى سنة واحدة ·· كانت نحيفة ·· جسدها ممتلىء الآن ·· تزوجت منذ خمس سنوات ·· أنجبت ثلاثة أطفال ·· نظرت الى الأطفال ·· طفلها الكبير عمره أربع سنوات ·· الأطفال يكبرون بسرعة ·· السنين تمر بسرعة ·· متى تنتهى هذه الزيارة ··

منذ سنتين غضبت منى واحدة منهم لأنى رفضت الزواج من قريب لزوجها ·· قلت لها يومها أننى لا أستطيع الزواج من رجل لا أعرفه ولا أحبه ·· قالت لى أن أراه أولا قبل أن أصدر حكما ·· قلت لها كيف أعرفه أو أحبه وأنا أراه وسطكم ·· وأنا مجبرة على أن أقول لا ·· أو نعم من أول مقابلة ·· قالت أن العمل أفســد أفكارى ، وان ما أريده خيالا لا يوجد فى الحياة ·· وكلما ترانى تنظر الى نظرة متسائلة لا أحبها ·· وتسألنى ساخرة عن أخبارى ·· ونظرت اليها متحدية ·· ماذا تريدين أن تسألى ·· ماذا تريدين أن تقولى ؟! ··

جلسوا يتحدثون عن أخبار العائلة ·· جلست ملولة وسطهم ، متى تنتهى هذه الزيارة ·· أنا لا أجد ما أقوله لهم ·· ودق جرس التليفون ·· جريت اليه ·· وجرى الأطفال ورائى ·· كل واحد منهم يريد أن يلحق الســماعة قبل الآخر ·· ولحقتها قبلهم ·· صلاح ··

قلت : أنتم فين ·· أنا جاية لكم جروبى بعد نص ساعة ··

والأطفال يصرخون ، يريدون أن يتحدثوا فى التليفون ·· وقال صلاح أنه سينتظرنى ·· وضعت السماعة ·· جريت الى حجرتى غيرت ملابسى ·· واستأذنت منهم ·· وقالت واحدة من السيدات ··

انها تحسدنى على حياتى ! ·· وابتسمت لها ·· فهذا المنزل ليس بيتى ·· وهذا الرجل الذى سأقابله ليس حبيبى ·· وهذا العمل الذى اذهب اليه لا أستطيع أن أقدم له شيئا ·· ومع ذلك أجد من يحســــدنى !!

ركبت سيارة أجرة ·· وقلت للسائق أن يذهب الى جروبى ·· والتفت الىالرجل وسألنى ·· جروبى سليمان ·· أم جروبى عدلى ·· لم أسأل صـــلاح أيهما ·· ولم أحدد أنا ·· صمت قليلا ·· وقلت للرجل أن يذهب بى الى جروبى سليمان ··

وجاءتنى فكرة مضحكة ·· اذا وجدت صلاح فى جروبى سليمان كما قلت للرجل سيكون شيئا مهما فى حياتى ·· واذا وجدته فى جروبى عدلى سوف لا يكون أى شىء ·· ووجدته فى جروبى سليمان ·· وغاصت ابتسامتى منالفكرة المضحكة ·· وخفق قلبى ·· ماذا سيكون فى حياتى ·· لا شىء ·· لا شىء ·· فهى مجـــرد فكرة مضحكة ·· بعض الأوقات يشعر الانسان بالغريزة ان شيئا سيحدث له فيقوم بعمل رهان مع نفسه على أشياء أو أفكار مضحكة ·· فاذا كسب الرهان من نفسه ·· يعتريه القلق أو الفرح ·· واذا خسر الرهان يحزن ··

قال صلاح : عندكم ضيوف فى البيت ··

ـ ناس محبش أقعد معاهم ··

ـ أنت نزلت علشان تهربى منهم وأنا نزلت علشان أشوفك ··

ـ آسفة ·· الحقيقة أنا نسيت أسألك اذا كنت فاضى واللا ·· لا ·· و ··

ـ أنا أشكر الضيوف الرذلين اللى خلوكى تنزلى تقابلينى ··

ـ أنت بتجامل كثير فى كلامك ··

ـ لما حتعرفينى كويس ·· حتعرفى أنى دايما أقول الحقيقة ··

ونظرت اليه متطلعة الى عينيه ·· الى تعبيرات وجهه ·· الى

شفتيه ،أمامى انسان يقول أنه دائما يقول الحقيقة ٠٠ الحقيقة ٠٠ الحقيقى أبحث عنهما ٠٠ وعندما يئست من وجودهما لم اعد أكترث بهما ٠٠ وعندما وصلت الى قمة عدم الاكتراث بهما هاهو انسان أمامى يقول أنهما معه ٠٠ وابتسمت ٠٠

قلت هامسة : مفيش حقيقة ٠٠ الكلام مش حقيقة ٠٠

قال : الكلام بيحقق وجود الانسان ٠٠ يبقى الكلام حقيقة ٠٠

ـ اللى يحقق وجود الانسان العمل ٠٠

ـ طيب أنت معترفة ان فيه حقيقة ٠٠

ـ صلاح ٠٠ أنت عندك شغل وأنا عطلتك ٠٠

ـ أنا كنت بشتغل وحبيت اكلمك شوية ٠٠ ولما ٠٠

ـ أسمع ٠٠ أنا حتفرج على الدكاكين وبعدين أروح ٠٠

ـ أنا مبسوط انى نزلت أقابلك ٠٠ لو حبيتى تيجى معايا اكمل شغلى ٠٠ معندكيش فكرة أنا اشتغلت كويس ازاى لماكنت معايا ٠٠

يريد أن يعودنى على الذهاب الى شقته بحجة انه يحب أن يجلس معى ٠٠ بحجة أنه يعمل جيدا وأنا معه ٠٠ بحجة الصداقة التى تنمو بيننا ٠٠ ومادام لم يضايقنى فى المرة السابقة فلماذا لا اذهب معه مرة اخرى ٠٠ وثالثة ٠٠ الى أن تتطور الصداقة بيننا ٠٠ الى أن ٠٠ الافضل أن نبقى أصدقاء ٠٠ لأنى لا أستطيع أن أعطى اكثر من صداقتى ٠٠

قال صلاح : أنت تضايقتى لما جيتى عندى ٠٠

ـ لا ٠٠

ـ أميرة ٠٠ أنا مش ممكن أعمل حاجة تضايقك ٠٠

كلماته صادقة ٠٠ شعرت بصدقها من رنينها ٠٠ نظرته صادقة ٠٠ هل أصـــدقه ٠٠ أم هو يجيد التظاهر ٠٠ أم أنا ساذجة ٠٠ لانحداه مرة ثانية ٠٠ وســـرت بجواره فى خطوات ثابتة ٠٠ لكنى

أضطربت وخفت من هذا الرهان الذى كسبته من نفسى ·· أنه سيكون شيئا فى حياتى ··

لم يكن كاذبا ·· وجدت الورقة الكبيرة مثبتة على اللوحة وخطوط لا أفهمها لم يكمل رسمها ·· وضع عدة اسطوانات فى الجهاز ووضع عدة مجلات بجانبى ·· وذهب ليكمل عمله ·· وفجأة شعرت بتعب ·· أريد أن أنام ··

ــ صلاح ·· عندك بن أعمل قهوة ··

ــ طبعا ··

وذهبت دون استئذانه الى المطبخ ، بحثت عن البن ·· صنعت قهوة ·· وابتسم لى هذه الابتسامة التى تملأ كل وجهه وأنا أناوله فنجانه ·· أشعلت سيجارة ·· شربت القهوة ·· لا فائدة ·· أريد أن أنام ·· وقفت قليلا فى النافذة ·· وتذكرت أننى لم أغسل وجهى منذ الصباح ·· وضعت الماكياج قبل أن أقابل صلاح ولم أغسل وجهى ·· اذا غسلت وجهى سيضيع هذا النوم ·· وذهبت الى الحمام ·· تعجبت من نفسى وأنا أتصرف ببساطة فى شقة صلاح ·· غسلت وجهى ورفعت رأسى الى المرآة فوق الحوض ·· نظرت الى الرف الزجاجى ·· أدوات حلاقة ·· مشط ·· صابونة ·· ومشابك شعر امرأة ·· أمسكت واحدا منها وغاص قلبى ·· فى يوم حار فى شقة مصطفى ·· وجدت مثل هذه المشابك على رف الحمام ·· وصرخت :

●

**ــ « مصطفى ··**

**جاء مسرعا ·· نظر الى المشبك فى يدى وقال باستهتار ··**

**ــ افتكرتك لقيتى فار ··**

**ــ مين صاحبتهم ؟ ··**

**ـ أمرأة الرجل اللى بعمل له الفيللا ·· كانت مع جوزها هنا ودخلت الحمام تتسرح ·· يظهر نسيت دول هنا ··**

**ـ كداب ··**

**وضمنى اليه ·· قبلنى ·· فتحت عينى مذعورة وانا بين ذراعيه ··**

**ـ مصطفى ·· بتحبنى ··**

**وابتعد عنى ·· قال بصوت مرتفع ·**

**ـ انت بتسألينى السؤال ده كتير ليه ؟**

**ـ عشان ·· مش متأكدة ··**

**ـ أصرخ وأقول بحبك ·· أقف على سلم العمارة وأصرخ ·· اقف فى الشارع وأصرخ :**

**ـ انت قليل الأدب ··**

**وغضب ·· وعندما يغضب يتصرف كانى لست معه ·· يحدث نفسه أو يصمت ·· واشعر بوحدة وأنا بجانبه ·· »**

●

قال صلاح : أميرة ·· فوطة نضيفة ··

نظرت اليه ساهمة ·· وهو يناولنى المنشفة ·· نظر الى المشبك بين أصابعى ·· أراد أن يقول شيئا ، وضعت المشبك مكانه فوق الرف ·· وقلت له لا أريد أن أعرف شيئا ·· ووضعت المنشفة على وجهى ·· ماذا يهمنى ·· هو مجرد صديق وليس لى الحق أن أسأله ولا يهمنى أن أعرف ··

وضعت « مكياج » خفيفا على وجهى ·· شعرت بانتعاش ·· ذهب النوم من جفونى ·· انهمك صلاح فى عمله ·· حدثنى عن العمل ·· وسألته عن علاقته برئيسه قال انها علاقة عمل ·· قال

أنهما متفاهمان فرئيسه يقدر الشخص بالعمل الذى يقوم به ..
قال لذلك هو متحمس للمشروع الذى يعمله .. قال انه فى اليوم الذى يصبح اسمه مشهورا سيكون هذا نتيجة لعمله .. وليس لأنه صديق فلان .. أو قريب فلان .. وقلت له ساخرة ان أسمه سوف لا يكون مشهورا مادام هذا مبدؤه .. وسألنى من الذى علمنى هذا المنطق .. قلت .. الحياة .. وضحك منى وقال اننى عرفت جانبا واحدا فى الحياة ..

وضع اسطوانات جديدة .. وجلس بجانبى ليرتاح قليلا من العمل .. نظرت الى كتفه .. الى صدره .. أريد أن أضع رأسى فوق صدره وأنام .. ربما رغبتى تظهر له عاطفة غير حقيقية .. وأكون البادئة .. وأتحمل عواقب رغبتى الساذجة .. وقلت له انى أريد أن أذهب الى منزلى .. عرض على أن نذهب نتناول العشاء فى مكان أو فى مطبخه .. لكنى أصررت على الذهاب الى منزلى .. وقبل أن يفتح الباب ضمنى اليه .. وكانت لحظة وضعت فيها رأسى فوق صدره .. وأسرعت بفتح الباب .. ونزل معى ليوصلنى .

شقة صلاح تثير الذكريات سوف لا أذهب اليها بعد ذلك .. أنا أشعر براحة فيها وأتصرف ببساطة وهو لم يضايقنى للآن .. لكن عمله .. هذا العمل فوق هذه المنضدة المرتفعة .. لا أريد أن أرى مصطفى أمامى ، أريد أن أنساه .. أريد أن تبتعد عنى صورته لاأريده أن يتدخل بعد ذلك فى حياتى ويفسدها .. كل ما اتعرف بشخص يتدخل بيننا . هذه صورته .. هذه ذكرى من ذكرياته .. يخفق قلبى لتذكرها .. ذكرى حلوة .. أو ذكرى مؤلمة ..

●

شعرت بملل من جلستى خلف المكتب .. قمت أسير فى ممرات الشركة .. مررت بحجرة رئيس قسم العلاقات العامة .. وجدت الباب مواربا .. هل أدخل أتحدث معه .. فى أى شىء أتحدث .. وقفت مترددة وسمعت صوت شكرى يتحدث بصوت مرتفع ..

ـ والله ياريس مفيش حد بيشتغل غيرى فى القسم ده ·· السنات بييجوا يضيعوا وقتهم ·· ومحسن طول النهار يتريق علينا وعلى الشركة ··

وسمعت صوت رئيس القسم :

ـ وبيقول عنى أيه فى التريقة ؟

ضحك شكرى ·· وقال :

ـ أبدا ·· ولا حاجة ··

قال رئيس القسم : مش ممكن ·· مادام بيسخر من كل واحد لازم أكون أول الناس ··

قال شكرى ـ الحقيقة مفيش حاجة معينة ··

قال رئيس القسم : أنت تروح المطبعة دلوقت ·· وكلمنى من هناك ··

وابتعدت عن الباب ·· هل أقول لشكرى اننى سمعت رأيه فينا ·· وفى عملنا ، هل أقول له أننى ســـــمعت بعض نفاقه ·· ربما يتهمنى بالتلصص عليه · ·الباب كان مواربا ·· بعض الناس يعيشون بطرق غريبة ليصلوا الى أهدافهم ·· كل فرد يجرى ليلحق بمكان ·· الحياة أصبحت مثل أوتوبيس مزدحم ومع ذلك يجرون ليلحقوا مكانا لاقدامهم ·· الذى يجلس فى الاتوبيس ، مرهق من الأجساد الواقفة حوله تسد عنه الهواء · والذى يقف يحسد الجالس ويلعنه فى سره ·· يلهثون وراء مصالحهم ليحققوا شيئا ، ويفقدون معانى كثيرة وهم يلهثون · رئيس قسمنا ·· كم من السنوات مضاها وهو يلهث وراء هذا المنصب ·· وصل اليه لكن فى نفسه شـــيئا يعذبه ·· عفاف ·· كم من السنوات أمضتها تلهث وتبحث لتتزوج رجلا غنيا ·· حققت ما أرادت ·· لكن فى نفسها شيئا يعذبها ·· لابد أن يصل الانسان الى هدفه بطرق سليمة وبمفاهيم ناضجة حتى اذا وصل اليه لا يجد شيئا يعذبه ·· هذا الجانب من الحياة لم أره ·· قال لى صلاح اننى لم أره ·· هل هو يتبع هذاالجانب ·· ربما ·

ذهبت الى الحجرة الكبيرة وجدتهم يشتركون فى حديث ..

قال محسن : فيه اشاعة بتقول ان رئيس القسم حيتنقل ..

قالت عفاف : ومين حيكون بدله ؟

قالت دلال : محدش يعرف ..

قالت عفاف : لازم يكون واحد مننا ..

قالت نادية : يمكن شكرى ..

قالت عفاف : مقدرش أشوف شكرى رئيسى ..

قال محسن : استقيلى ..

قالت عفاف : واقعد فى البيت !

قالت نادية : تفتكروا مين يكون مننا ؟

قالت عفاف : أنا ..

قال محسن : فين شكرى ؟

قلت : فى المطبعة ..

قال محسن : المفروض كنت أروح أنا ..

قلت : أنت قاعد مطرحك ..

قالت عفاف : أنا حروح للريس أشوف الحكاية ايه

قال محسن : ده مجرد اشاعة ..

قلت : اشاعة زى كل سنة ..

قالت نادية : صحيح كل سنة يقولوا رئيسنا حيتنقل ..

قالت عفاف : افرضوا السنة دى الاشاعة اتحققت ..

قال محسن : يبقى أنا اللى أكون رئيسكم ..

قالت عفاف : أنت متنفعش ..

كنت أقف بجوار مكتب عفاف ، عندما قطع رنين التليفون لحظة المناقشة .. مددت يدى لألحق السماعة قبلها .. لكنها انقضت عليها فهذا حقها .. أن تعرف أولا من المتحدث .. واستمرت المناقشة بينهم وهى تعطينى السماعة .. وانتبهت الى ماأقول لصلاح .. وسمعت منى موافقة على موعد الساعة السادسة ، وقالت لى اننى مغفلة .. فلا يصح أن أقابله كلما طلب منى مقابلته .. لابد أن أعتذر مرة وأنشغل أخرى .. حتى لا يجدنى فتاة سهلة .. حتى يفكر جديا أن يتزوجنى .. وقلت لها اننى لا أريد أن أتزوجه .

●

فى صالة الشاى فى جروبى .. وجدت « صلاح » وسـط مجموعة من أصدقائه .. وقفوا ليسلموا على ، عرفنى صلاح بهم .. وجه من بينهم ليس غـريبا على .. أحـاول أتذكره ، نظر الى وابتسم ..

قال : احنا تقابلنا قبل كده .. بحاول أفتكر ..

أرجو ألايتذكر .. أرجو ألا يقول شيئا .. صمت قليلا ..

قال : أنت تعرفى مصطفى عبد الرسول ؟

واضطربت .. خفق قلبى باضطراب .. انه فى أفكارى دائما .. لا أنساه .. لكن عندما يذكر اسمه أمامى أنزعج . حقيقة يوجد شخص بهذا الاسم .. تشاغلت بفنجان القهوة ولم أرد عليه .. واكتفى بنظرتى ، ولم يعد السؤال ، ولم يعلق صلاح بكلمة .. ولم يسأل سؤالا .. وشكرته فى نفسى وابتسمت له .. تحدثت فى شىء آخر بعيد .. لكن هذا الرجل الذى قال أنه عرفنى .. ينظر الى من حين لآخر وأكاد أصفعه .. وعيناه توجهان الى كل كلمات الأسئلة .. وجه يذكرنى بالحلم القديم .. وجه عرف يوما قصتى .

تضـايقت من صحبتهم ، يريدون أن يشركونى في أحاديثهم

بأسئلة ٠٠هل تحبين هذا المكان ، هل رأيت هذا الفيلم ٠٠ هل سمعت هذا اللحن ٠٠ لماذا لم ٠٠ كيف لا ٠٠ واجاباتى مقتضبة تضع حائطا بينى وبينهم ، لماذا لا أجاريهم فى أحاديثهم ٠٠ ألست فتاة اجتماعية ٠٠ لكن هذا الرجل كلما نظرت الى عينيه وهما تراقبانى تضيع منى أى رغبة فى الحديث ٠ هل أنا أريد « صلاح » حتى أجامل أصدقاءه ليحدثوه عنى ٠٠ أنا لا أريد أحدا ٠٠ وقلت لصلاح أننى على موعد مع صديقة ولابد أن أنصرف ٠٠ نظرته قالت انى كاذبة ٠٠

سرت فى الطريق ٠٠ بعض الأوقات يخيل الى أنه لا يوجد شىء حقيقى ٠٠ هذه الحياة التى أعيشها ٠٠ حلم سينتهى ٠٠ هذا العمل الذى أدور فيه ٠٠ فترة ســـتنقضى ٠٠ هذا الألم ، الذى يمتص حيويتى ٠٠ غير حقيقى ٠٠ مصطفى ٠٠ مجرد اسم أردده ٠٠

سرت فى الطريق ، لا أريد أن أعود مباشرة الى منزلى ٠٠ هذا الرجل الذى قال أنه عرفنى ٠٠ كنت أراه كثيرا فى مكتب المهندس الكبير الذى كان يعمل فيه مصطفى عملا اضافيا ٠٠

كنت عندما أفتقد مصطفى لأيام ، لا أسمع صوته ولا أراه أو يعتذر عن مقابلاتى بحجة انشغاله بالعمل ٠٠ كنت أســـير بجوار العمارة التى يسكن فيها ٠٠ أنظر الى شقته ٠٠ اذا وجدت النور مضاء أصعد اليه ٠٠ واذا لم أجد أى ضوء ٠٠ كنت أذهب الى مكتب المهندس الكبير ٠٠ كان مصطفى يثور أحيانا عندما أذهب اليه هناك ٠٠ وكان يثور أحيانا عندما أذهب اليه بلا موعد فى شقته ٠٠ وجدت مرة تلك المرأة التى نسيت مشابك شعرها على رف الحمام فى شقته ٠٠ وجدتها وحدها بدون صحبة زوجها ٠٠ كانت تعبيرات وجهها مريبة وكرهتها ٠٠ نزلت المرأة وثرت فى وجه مصطفى ٠٠ وثار فى وجهى ٠٠ قال انها كانت ترى شيئا فى تصميم الفيلا التى كان يصممها لها ٠ لماذا لا تذهب اليك فى المكتب ٠٠ لماذا تأتى وحدها فى شقتك ٠٠ حاول أن يهدىء ثورتى بقبلاته ٠٠ لكنى لم أتحمل شفتيه ٠٠ قال كلاما كثيرا يومها ٠٠ ضمن هذا الكلام اننى أعطله عن العمل ، هل كان يظن أننى ألاحقه ٠

ربما كنت حقيقة الاحقه ٠٠ لم اكن أعرف التمييز بين التصرفات، مامعنى اريد أن أراه دائما ٠٠ ومامعنى الاحقه ٠٠ مامعنى اريد أن أكون فى صحبته ٠٠ وما معنى أضايقه ٠٠ كنت لا أعرف سوى أنى أحبه ٠٠

سرت فى الطريق ٠٠ لمعت فى عينى الدموع ماذا جرى لى لا أستطيع أن أسير ٠٠ ناديت سيارة أجرة ٠٠ الى منزلى ٠٠ الى صمت ليل طويل ٠٠ جسدى يرتعد لا يمكن أن تستمر الحياة هكذا ، والحياة مثل طفل عنيد ، عندما نجبره أن يفعل شيئا ٠٠ لا يفعله ٠٠

وجدت أبى يقرأ مجلة ، وأمى تستمع الى تمثيلية فى الاذاعة رجل يصرخ وسيدة تبكى ورجل آخر يقول لابد أن نجد الحل ٠٠ لماذا يصرخون دائما فى الاذاعة ٠٠ ذهبت الى حجرتى ٠٠ ألقيت ملابسى باهمال ٠٠ الليل طويل ٠٠ ذهبت لأعد عشـــائى ، اخذته الى حجرتى ٠٠

لماذا تركت صلاح ٠٠ تضايقت من هذاالوجه الذى قال انه عرفنى تضايقت من صحبتهم لم أستطع مجاملتهم ٠٠ عندما أكون فى صحبة هكذا أشعر بألم فى شفتى من الابتسامة المجملة ٠٠ اشعر بالم فى عظام فكى من الاحاديث التى تملأ أى وقت ٠٠

وقفت فى النافذة ٠٠ الحى ساكن ٠٠ صوت لحن ياتى خلال نافذة صوت بيانو ٠٠ عرفت الاصابع طريقها فوق المفاتيح ٠٠ لم تعد تتعثر ٠ ٠من مدة كان اللحن يصل الى شاذا ،كانت الاصابع تتمرن وكانت تغيظنى ٠٠ أصابع فتاة ٠٠ أصابع فتى ، لا أدرى ٠٠ اللحن حلو ٠٠ ملأ الليل فى الحى الساكن ٠٠ الليل يحمل أنغاما ، نظرت الى السماء ٠٠ هل القمر فى نصفه الأول أم نصفه الأخير ٠٠ متى ينتهى هذا الليل ٠٠

، اتفقوا على القيام برحلة الى العين السخنة غدا ٠٠ بعد أن دفعت الاشتراك ترددت فى الذهاب ٠٠ زهقت من رحلاتهم ٠٠ كنت احبها من زمن ٠٠ لأحدث « صلاح » أسأله اذا كان ليس لديه ارتباط بأحد فى يوم الاجازة لأقابله ٠٠ ولأذهب معهم ٠٠ وطلبت الشركة التى يعمل فيها صلاح ٠٠ الرقم مشغول ٠٠ وأصوات أخرى تأتى الى أذنى خلال صفير الرقم المشغول ٠

●

ـ مصطفى

ـ أهلا أميرة

ـ نتقابل بكره

ـ عندى شغل وحقابل ناس

ـ أروح السويس فى رحلة مع الشركة

ـ زى ماتحبى ٠٠ روحى اتفسحى

ـ لا ٠٠ أنا عايزه اتفسح معاك ٠٠ أنت ٠٠

ـ أميرة ٠٠ أنا عندى شغل لازم أخلصه ٠٠

وهزتنى يد عفاف :

قالت : اميرة ٠٠ أنا سامعة الخط مشغول سايبة الســـماعة على ودنك ليه ؟ ٠٠

نظرت اليها ساهمة ، ووضعت السماعة ، ذهبت الى مكتبى ٠٠ كان مصطفى يتركنى لصديقاتى وأصدقائى ٠٠ عمله وطموحه شغلاه عنى ٠٠ وكان يقول أننى لابد أن أتفسح ٠٠ أخرج ٠٠ أسافر ٠٠ ارقص ٠٠ لم يكن مثل الرجال الذين تعرفهم صديقاتى ٠ يغار من صحبة أصدقائهن وصديقاتهن ٠٠ أو يتشاجر عندما يمضين اليوم الاجازة فى صحبتهم وكانت صديقاتى يتعجبن لسلوكه معى ٠٠ وكنت

أقول لهن انه رجل عصرى ·· وترد عفاف أنه لا يحبنى ·· وأدافع عنه ·· هو يريد أن يكون شـــيئا ·· لابد أن أتحمله ·· لابد أن أساعده ·· كنت أتركه يتصرف كما يحلو له ·· وعندما أشتاق اليه أذهب له ·· وأصبحت كل مقابلاتنا فى شقته ·· لانتقابل فى الخارج الا نادرا ·· وعشت حياتين ·· عاطفتى وحبى لشخص ·· وصحبتى مع آخرين ·· أظهر معهم وسط الناس ·· ولا أظهر معه ··

●

كل رجل من المشتركين فى الرحلة ارتدى ملابس خفيفة ووضع على وجهه قناع مرح ، ووضع أمام شفتيه « ميكرفون » خفيا ·· لا أدرى لماذا تعلو أصواتهم فى الرحلات والفتيات معظمهن لم يعترفن بالرحلة وارتدين الملابس الضـــيقة والكعوب العالية ·· ربما جو الرحلة يجعل رجلا غير متزوج يلتفت الى فتاة وحيدة وتبدأ قصة ·· والشاب الذى يجلس خلفى فى سيارة الرحلات يوجه الميكرفون الخفى أمام شفتيه الى أذنى ·· يحكى حكاية ســـخيفة لجارة ويريد كل الموجودين أن يسمعوها ·· أسندت رأسى على زجاج النافذة بجوارى ·· أغمضت عينى فى الطريق الصحراوى ·· أريد أن أنام ·· يخيل الى أن النوم بعض الأحيان هو حالة نفسية تبعد الانسان عن حقيقة لا يريد أن يعيش فيها ·

صرخ محسن :

– أميرة فين ؟

فتحت عينى ولم ألتفت اليه ·· وجاء من آخر السيارة يحمل فى يده تاجا من الورق ·

قال : دلوقت حننتخب ملكة الرحلة ··

وتعالت الأصوات ·· كل واحد يزعق باسم واحدة تعجبه ··

قال محسن وهو يضع التاج الورق فوق رأسى :

– أميرة ملكة الرحلة ··

خلعت التاج وقذفته فى السيارة ·· جاء عفوا فى وجه عفاف ·

صرخ محسن : التاج مع ملكة النقد الهدام ·

قذفت عفاف بالتاج وجاء فى وجه شكرى ··

صرخ محسن : والآن التاج مع ملك النفاق ··

وتعالت الضحكات وقذف شكرى بالتاج وجاء عفوا على رأس عصام ·· أخذه وضحك ·· ووقف وسط السيارة بقامته الطويلة منحنيا قليلا ··

صرخ محسن : التاج مع ملك الهلس ··

ووضع عصام التاج على رأس محسن ولم يستطع ان يخلعه فعصام أطول منه متمكن من رأسه ·· وتعالت الضحكات ·· والتعليقات ·· نظرت الى الصحراء ·· وضعت يداى على أذنى ·· أردت أن أفتح باب السيارة وأجرى فى الصحراء ··

تفرقنا مجموعات على الشاطىء ·· جلست على الرمال ·· نظرت الى عصام ·· كان يقف على بعد خطوات يتحدث بغرور يضحك بغرور وينظر الى ·· من مجلسى على الأرض ·· رأيت رأس عصام فى محاذاة الجبل البعيد ·· عصام فى طول الجبل ·· نادته أصوات مجموعة وذهب اليهم ·· وكنت أريد أن أجرى خلفه ·· أتعلق فى رقبته ·· أتسلق قامته الطويلة وأجلس على كتفيه · وكدت أنفذ رغبتى المجنونة · لكنى عدلت · سيقولون ويحكون فى الشركة · لكن ألسنا فى رحلة نتخلص فيها من كل القيود التى تقيدنا بين الجدران ·· لا أظن ·· اننا دائما مقيدون ·· لا نفعل هذا لأن ·· لأن ولانتصرف هكذا ·· لأن ·· ولأن ·· المدنية قيود ·· العمل قيود ·· المجتمع قيود ·· قمت من جلستى وسرت بمحاذاة البحر ·

السماء صفاؤها عجيب هذا اليوم ·· هل يئست السماء من الأرض ·· هل ملنا الرب ·· فلم يعد يلتفت الى أحزاننا ، أو وحدتنا ·· أو مللنا ·· فى العصور القديمة كان الانسان ينظر الى السماء ويبكى ، ويطلب منها شيئا ·· فتحققه له ·· فى العصور القديمة كما

أرى فى الأفلام وأقرأ فى الروايات ·· كان الانسان قلبه صافيا ·· مخلصا ·· وكانت السماء مجيبة ·· هل ملت السماء انسان العصر الحديث ·· هل الانسان لم يعد قلبه صافيا ·· مخلصا ·· هل السماء ازدحمت بالدعوات كما ازدحمت الأرض بالناس ·· فلم يعد الانسان يجد مكانا لدعواته ·· نظرت الى الأرض ·· رأيت خيالا يتبعنى ·· توقفت ·· واقترب منى عصام ··

قال : الجو جميل النهـــاردة ·· لو مكنش عيب كنت نزلت البحر ··

- معاك مايوه ؟

- معــــايا ··

- انزل

-عايزاهم فى الشركة يقولوا عصام قلع قدام البنات ··

- روح هناك بعد الجبل وانزل البحر ··

- تيجى معايا ؟

وابتسمت ·· سنختفى عنهم ·· ويتطوع أحدهم بالبحث عنا · وعندما يجدنا سيحكى حكاية ·· وتنتشر اشاعة ·· ويجدون شيئا يحكوه ··

قلت : أسأل صحابك اذا كان حد فيهم عايز ينزل البحر روحوا مع بعض ··

- مش مهم ·· تعالى نسمع موسيقى ··

وذهبنا الى مجموعة ملتفة حول صاحب الريكوردر ·· كانت عفاف بينهم ونظرت الى نظرة أفهم تعليقها ·· جلست بجانب عصام وقال أنه يعرف كل الرقصات الجديدة ··

معظم الجالسين يحركون رءوسهم وأجسادهم مع الالحان وهم جالسون ·· لا أحد يتحرك يسأل زميله له أن تراقصه ·· اذا فاض

بأحدهم اللحن ·· قام وحده وسط المجموعة واهتز ·· واذا فاض بفتاة اللحن ·· تماسكت بيديها فى الأرض ·· واختنقت بهذا الجو ·· هذه القيود ·· واعترتنى لحظة تمرد على كل شىء ·· نظرت الى عصام وسألته أن يعلمنى هذه الرقصة الجديدة المجنونة ·· ووقفنا وسطهم ·· خطوة ·· خطوتين ·· واهتز بكتفيه ·· بيديه ·· افعلى مثل ماأفعل ·· وفعلت ·· وصفقوا علىنغمات اللحن ·· وقام بعض الشبان يتعلمون وترددت نادية قليلا ودخلت حلقة الرقص ·· وضحكت ·· مناظرهم مضحكة ·· منظرى مضحك ·· منظر عصام مضحك ·· وضحكت ·· وانتشيت ·· أعيدوا هذا اللحن لنرقص من جديد ·· وازدحمت حلقة الرقص ·· تشجعت بعض الفتيات ·· أعيدوا هذا اللحن ·· وخرجت من الحلقة ·· جريت الى البحر ·· خلعت حذائى ووقفت فى المياه القليلة على الشاطىء ··

وقبل الغروب ،ركبنا السيارة الكبيرة ، جلس عصام بجانبى قال انه من زمن لم يذهب الى رحلة وهو سعيد بكل شىء ·· ومضى اليوم ··

●

حدثنى صلاح فى الصباح ، قال أنه مريض ·· قال أنه يحب أن يرانى ·· وسألنى أن أذهب اليه ·· بعد انتهاء عملى اشتريت فاكهة وركبت سيارة أجرة وقلت للرجل على العنوان ·· هو مريض ·· هو ·· وحيد ·· أهله فى بلد بعيدة لابد أن يعتنى به أحد ··

وتذكرت مصطفى عندما كان مريضا ·· كنت أذهب اليه كل يوم بعد انتهاء عملى ·· أحضر له الدواء ·· أعد له طعاما مسلوقا لم يكن بجوارد أحد من أهله ·· وكان يزوره بعض أصدقائه ·· ويسألوننى أن أعتنى به ·· وعندما كان يحضر له الطبيب ، كان يوجه التعليمات الى ·· كان يقول لى ·· يامدام ·· لم أكن فرحة بهذا اللقب ·· وكان مصطفى يضحك عندما ينصرف الطبيب وأخفى ألمى منهذه السخرية ·· وكنت بجواره كل يوم ·· أرى الألم فى

عينيه ، وهو لا يستطيع أن ينظر لأحد ‥ أرى الشفاء فى جسده ‥ وهو يجلس ‥ وهو يتحدث ‥ كأنه إبنى الصغير ‥ أراقب حبوه على الأرض ‥ أراقب خطواته الأولى ‥

دخلت السيارة الأجرة فى الشارع الذى يسكن فيه صلاح ‥ نظرت الى العمارة التى سأصعد اليها ‥ هززت رأسى وقلت للسائق أن يذهب الى جاردن سيتى ‥ الى منزلى ‥ ونظر الى الرجل بتساؤل ‥ وتجاهلت نظرته أعطيت الفاكهة لأمى ‥ وقالت لماذا لم أخبرها فى الصباح أننى سأشترى فاكهة ‥ وانها اشترت فاكهة ‥ وحدثته فى التليفون ‥ طلبت ثلاث مكالمات خطأ الى ان تذكرت نمرته ‥ واعتذرت له ‥ عن عدم استطاعتى الذهاب اليه ‥

●

فى الحجرة الكبيرة جلست صامتة ‥ روحى المعنوية منخفضة ‥ لا أريد أن أفعل شيئا ‥ محسن يجلس أمامه رجل يطلب اعلانا عن الشركة ‥ محسن يكتب صيغة الاعلان ‥ نادية تنظر الى الرجل الغريب ‥ تدرسه عن بعد ‥ كيف يتحدث ‥ كيف يجلس ‥ هل فى يديه أية علامة لارتباط بأخرى ‥ لا ‥ ابتسمت لها ‥ نظر محسن اليهما وعاد يكتب ‥ الرجل يطلب ‥ محسن يطلب ‥ روحى المعنوية منخفضة ، لا أريد أن أفعل شيئا ، دلال تشرب فنجان شاى وتأكل ‥ شكرى خارج الحجرة لابد أنه عند رئيس القسم ‥ عفاف منهمكة فى شىء ما ‥ زاد وزنها قليلا ‥ تقوم بعمل تمرينات ‥ المكتب يدارى تمريناتها ‥ قرأت عفاف يوما فى احدى الصفحات النسائية نصيحة ‥ وأنت تجلسين على مكتبك حاولى أن تمسكى سلة المهملات بين قدميك ثم ترفعيها بساقيك الى أعلى ثم انزليها الى الأرض عدة مرات ‥ تزيلى السمنة من منطقة البطن ‥ بحثت بعينى عن سلة المهملات التى بين مكتبها ومكتب نادية ‥ لم أجدها ‥ وابتسمت ‥ تعبيرات مختلفة تظهر على وجه عفاف وهى تقوم بتمريناتها ‥

روحى المعنوية منخفضة ‥ لا أريد أن أفعل شيئا ‥ ربما

أعانى من أزمة يأس ·· اليأس مرض له أعراض أعرفها ·· تنقبض نفسى وقلبى ·· تتراخى أطرافى ·· لا أستطيع أن أحمل جسدى ·· أفعل كل شىء بكسل ·· أسير بكسل ·· أتحدث بكســـل ·· لابد اننى أعانى من أزمة يأس ·· تأتينى هذه الحالة فى تغيير فصـــول السنة ، عندما أبدل ملابسى ·· عندما لا أجد شيئا تغير فى حياتى سوى الملابس المعلقة فى الدولاب ·· ملابس الصيف ·· ملابس الشتاء ·· اننا فى أول الصيف ·· الشتاء ذهب ·· الربيع مر ·· اللحظات السعيدة مثل فصل الربيع فى بلدنا ·· ننظر حولنا نجد كل شىء متفتحا ·· نسمات تفرحنا ·· عندما نبدأ نستنشقها بعمق ·· تختفى ·· وتكتم أنفاسنا حرارة الجو ··

اننا فى أول الصيف ·· روحى المعنوية منخفضة ·· لا أريد أن أفعل شيئا ·· خرج الرجل الغريب ·· ألقى سلاما لكل الحجرة لكن نظرته وابتسامته كانتا لنادية ·· قال انه سيعود غدا ·· واعتبرت نادية ان هذا موعد لها ·· واعترتها طاقة من النشاط والحيوية ·· تريد أن تفعل شيئا ·· قالت لى أن تذهب سينما حفلة الســاعة الثالثة ·· ورفضت ·· سألت عفاف أن تذهب معها مادام زوجها مسافرا وقالت لها أنها تريد أن تغسل شعرها ·· سألتنى ·· لماذا لا أذهب معها ·· قلت أريد أن أذهب الى منزلى ·· ألحت ·· لماذا ·· لماذا قلت لها أريد أن أذهب الى منزلى لأبكى ·· الانسان حر فى ذهابه الى منزله ليعمل أى شىء ··

حول مائدة الطعام فى منزلنا دار الحديث بين والدى ·· حديث أول الصيف ·· يقول أبى أن آخذ اجازة ونذهب لأخى فى بورسعيد ·· وتقول أمى شقته ضيقة ·· يقول أبى أن يذهب هو لأخى وأذهب أنا مع أمى الى أى مصيف ·· وتقول أمى أنها لا تستطيع أن تكون صحبة لى ·· وأنا لابد أن أكون مع صديقاتى حتى أنعم بأجازتى ·· وأقول لهما لا أريد أن أســـافر الى أى مكان ·· ويتركنا أبى فترة يسافر الى أخى ·· أو أرضخ لهما ونسافر كلنا له ·· وأتحمـــل روتينا جديدا ·· وأقول العام القادم تتغير الأحوال ·· ولا شىء

يتغير ·· لا شىء ·· لا شىء ·· لم أعد احتمل ·· وقلت لهما أن يذهبا هما الى أخى وسأمكث وحدى فى القاهرة ·· ولم يعجب أمى الاقتراح ·· من سيصنع لى الأكل ·· من سيعتنى بى ·· وكدت أصرخ ·· أستطيع أن أفعل كل شىء ·· أنا فتاة كبيرة ·· أنا فتاة كبيرة ··

وقال أبى أنه سيسافر هو ويتركنا لأننا نعشق القاهرة فى الحر ·· لم تهتم أمى ·· فهى لا تحب أن تبعد عن مملكتها ·· وفى هذه المملكة شرفة يطل جزء منها على كورنيش النيل ·· فماذا تفعل بالبحر ·· والمصايف مزدحمة بالناس ·· وشقة أخى صغيرة ·· وتركتهما ·· ذهبت الي حجرتي وبكيت ·· أنا عدت اليوم الي منزلي لأبكى ··

وقت الغروب طلبنى صلاح ·· قال أن صحته تحسنت ·· كان مجرد تعب جسمانى ·· وسألنى أن نذهب الى سينما فى حفلة المساء ·· قال سيترك لى تذكرة باسمى على الباب ·· وقبلت دعوته ·· لكنى ذهبت مترددة ·· مضطربة ·· أحاول أن أضع الثقة فى خطواتى ·· مصطفى كان يصحبنى الى سينما كلما ثرت فى وجهه لأننا لا نذهب الى مكان ·· كان يترك لى التذكرة على الباب ·· ويذهب لعمل شىء ·· لمقابلة أحد ·· كان يتأخر ·· وفى يوم لم يأت ·· كنت فى حفلة المساء ·· بكيت وأنا أجلس وحدى ·· خرجت وحدى فى منتصف الليل ·· لم أجده ينتظرنى · ليعتذر ·· ليوصلنى الى منزلى ·· لم أجده ·· وقفت مجنونة أبحث عنه وسط الزحام ·· ووجدت صديقا منذ أيام طفولتى يسكن بالقرب منا ·· تعجب من وحدتى فى حفلة المساء ·· صحبنى الى منزلى وقال لى اذا أردت أن أذهب الى حفلة المساء فى سينما فلأحدثه ليصحبنى واعطانى نمرة تليفونه ·· يومها لعن الفتاة العـــاملة ·· لعن العمل الذى يجعلها تشعر بمساواتها بالرجل حتى انها تذهب وحدها الى حفلة مسائية فى سينما ·· يومها أعطانى درسا فى معنى الحرية ·· وان مجتمعنا لا يقر بكل شىء · ·يومها بكيت ·· يومها لم أستطع ان أقول له شيئا ··

وجدت « صلاح » ينتظرني · · لم أصدق ·· جلست بجواره ، أمسكت يده لاتاكد من وجوده ·· ضغط على يدى وقال انه افتقدني ·· وظلت يدانا متشابكة ·· وشعرت بارتياح لوجوده بجانبى ·· لوجودى بجانبه ·· منحين لآخر أنظر اليه ·· وكدت أقول له ·· لا تتركنى يوما لا تمرض ·· لا تسافر ·· لا تتركنى يوما ··

●

**وابتدأ صلاح يسأل عني كل يوم ·· يحدثني ·· ونتقابل ·· نذهب الى سينما ·· نذهب لنرقص ··**

نذهب الى أحد الكازينوهات نتحدث ·· أخذنى من شـــلة الصديقات والأصدقاء ·· ابتعدت عنهم دون أن أدرى ·· آخذنى منهم صلاح ·· أحب المكان الذى يضمنا أحب الانغام حولنا ·· احب هذا الصوت الذى ينادينى كل يوم ·· لكنى ابتدأت أخاف ·· وصلاح لا يتوقف عن السؤال ·· أين كنت أمس ، ماذا ستفعلى اليوم ·· وأفرح بالسؤال ·· وأخاف من السؤال ·· الى أى مدى سيكون السؤال الى أى يوم سيدوم السؤال ·· أماكن جديدة ابتدأت تضم الذكريات هل سيصبح كل شىء مجرد ذكريات ·· هل عمر الانسان هو مجموعة من الذكريات ·· هل ســـتمحى الأيام خفقات القلب القديمة ·· خفقات تمحو خفقات ·· من زمن بعيد وأنا متشوقة الى هذا الاهتمام ·· هل أنا أريد صلاح ·· أم أريد هذا الاهتمام ·· **وأقول اليوم سيتوقف الاهتمام ·· لا ·· كما هو ·· أين كنت ، ماذا ستفعلين ·· لذاتق اليوم ··**

●

سارت عفاف معى بعد انتهاء العمل ··

قالت : أنت بعيدة عننا اليومين دول ·· مين شاغل وقتك عصـــام ··

ـ لا ·· صلاح ··

ـ صلاح المهندس ..
ـ هو ..
ـ بتحبيه ..
ـ مش عارفة ..
ـ صلاح ده كويس ..
ـ مش عارفة ..
ـ يتهيألى أنه مستهتر ..
ـ يمكن ..
ـ أوعى تتعلقى بيه ..
ـ افرضى اتعلقت ..
ـ مش حيتجوزك ..
ـ مش عايزة أتجوز ..
ـ لما تزهقى من الحب والكلام الفارغ ده حتتجوزى واحد محترم ..
ـ أنا دايما أعرف ناس محترمين .
ـ مصطفى كان محترم ، التصرف اللى عمله معاك تصرف رأجل محترم ..
ـ مفيش داعى لسيرة مصطفى ..
ـ أنت نسيتى ..
ـ حتروحى عند ناهد النهاردة ..
ـ لوكان جوزى فاضى ..
ـ يعنى بنهتمى برأى جوزك ..
ـ لما أكون مترددة انى أروح مكان ..

●

وجدت « عفاف » وزوجها ·· وجدت نادية ·· وجدت « صلاح »، وسألتنى ناهد أن أعد معها مائدة العشاء ··

سألتنى : عاملة أيه مع صلاح ··

ـ بنخرج مع بعض ·· بنتقابل كل يوم تقريبا ··

ـ صلاح ابن حلال ··

وغاصت ابتسامتى وأنا أقول ساهمة ··

ـ ومصطفى كان ابن حلال ··

ربتت ناهد على كتفى ، وجلسنا حول مائدة الطعام ·· صلاح جلس أمامى ·· من حين لآخر نتبادل النظرات ·· هذه النظرة التى نتبادلها وسط المجموعة لا أحد يفهمها سوانا ·· نحن الاثنين بيننا شيء ·· ماهو هذا الشيء الذى بيننا · ربما نحن الاثنين لم نعرفه للآن ·· وتحدثنا عن الصيف والمصايف ·· قالت عفاف أنها تفضل الاسكندرية ·· قالت نادية ستسافر مع عمها ·· الاسكندرية أحسن ، لا ·· مرسى مطروح ·· لكن مرسى مطروح تريد شلة أو اثنين فى شهر العسل ·· سألنا سعيد أن نذهب كلنا ·· كل الموجودين حول مائدة العشاء ·· نذهب الى مرسى مطروح ·· وتبادلنا الابتسامات ·· نظر صلاح الى يريد أن يقول لى شيئا خاصا ··

قالت عفاف ستوصلنى وتوصل نادية بسيارة زوجها ·· قال صلاح انه سيوصلنى لاننى لست من طريقها ··

أبدت «عفاف» تمكسها وشعرت بحرج ·· وتدخلت ناهد فألحت على أن أمكث معها بعض الوقت ·· أشعلت سيجارة لاتلاقى نظرات عفاف ·· وابتسامة نادية ، وبعد فترة نزلت مع صلاح ··

سرنا بجانب النيل ·· لم يسألنى اذا كنت أريد أن أسير قليلا ·· لم أسأله اذا كان يريد أن يسير ، وجدنا اننا نعبر الطـــريق ، ونسير بجانب النيل ، الليل ساكن ، نسمات الصيف الأولى منعشة · السكون يقطعه صوت أقدامنا ·· وأصوات ضفادع فى شـــاطىء النيل ·· فى هذا المكان ·· يدانا متشابكة ·· أريد أن أبقى معه

للصباح ·· وسألنى أن نسافر الاسكندرية معاً ·· فى عطلة نهاية الاسبوع ·· قبل أن تزدحم الشواطىء بالناس ··

منذ خمس سنوات سألنى مصطفى أن أسافر معه الاسكندرية فى نهاية الأسبوع ·· رفضت لانى خفت المغامرة ، رفضت لانى كنت أدخر الأيام ·· لاداعى للمغامرة مادمنا نستطيع ان نظهر أمام الناس ·· دون أن أخاف واختبىء وأكذب لم أسمع أبداً عن أحد يدخر أياما ، هم يدخرون الأموال ·· أنا ·· كنت أدخر الأيام ·· رفضت وذهبت الأيام ·· ولم أجد شيئا من هذه الأيام التى كنت ادخرها ·· كنت أكره المغامرة ··

الليل ساكن ·· السكون يقطعه صوت أقدامنا ·· سرنا مسافة طويلة وسألنى صلاح مرة أخرى ·· هل نسافر فى نهاية الاسبوع ·· ووافقت ·· لتكن لى مغامرة ·· ربما أجد لحياتى معنى ·· لأخرج عن روتين كل يوم ··

●

جلسنا متجاورين فى القطار ·· أنا مسافرة مع صلاح ·· كنت أريد أن أسافر مع مصطفى ·· الحقول تجرى ·· الشجر يجرى ·· يبتعد كأنه الذكريات ·· مصطفى تغير فى السنة الأخيرة ·· أصبح حديثه كله عن السفر ·· انه يريد أن يسافر ولا يفكر فى ·· كنت لا أصدق أنه سيفوز بهذه البعثة ·· زميل له كان يستحقها عنه ·· لكن ·· لأن مصطفى تقرب الى رئيسه ·· ولأن رئيسه يقدر الصداقات والأشخاص عن أعمالهم فضل مصطفى وزكاه ·· وكلما قال أنه سيسافر·· لا أصدق ·· لكن ·· تتقلص معدتى وتتهاوى أطرافى ولا أستطيع أن أسير ·· أشعر بفراغ يحوطنى ·· لا أرى أحداً أو شيئا سوى هوة ليس لها قاع ·· يحجبه الضباب ·· يفصلنى عنه ·· الغد فراغ ·· وحدة ·· هوة ، قاعها الضباب ·· يفصلنى عنه بلد بعيد سيشغله ·· ليالى طويلة ·· شهور سينسى · كل شىء ضمنا سيكون بعيداً عنه ·· قريبا منى ·· وأكون سجينة وحدتى ·· أكون ذرة من تراب ·· تضيع وسط الضباب ·· لا شىء

سينسيني ·· أنا سجينة في دائرة ·· في حجرة ضيقة··· جدرانها صورته ، طوبها ذكريات ·· كان شعوري وقتها حقيقيا ·· تحقق ماشعرت به ·· وجرت الأيام ··

الحقول تجري ·· الشجر يجري ·· القطار يجري ·· صلاح أمسك يدي ·· يدينا متشابكة ·· كنت أريد أن أسافر مع مصطفى · لكنه لم يتحدث عني ·· كل حديثه عنه ·· عمله ·· دراسته ·· مستقبله ·· يريد أن يصبح شيئا ·· سحبت يدي من يد صلاح ·· القطار يجري ·· الشجر يجري ·· مصطفى يجري وراء أوراقه في الجوازات ·· والأيام تجري ·· وأنا لا أصدق شيئا ·· كل هذه الأحداث التي تحدث مجرد حلم ثقيل ·· سينتهي ·· لايمكن أن يتركني مصطفى ·· لايمكن أن يسافر هكذا كل شيء غير حقيقي ·· وأنا أراقب مصطفى وهو يجري وهو منفعل ·· وهو منتصر ·· وأنتظر أن يحدثني ·· لكنه لا يقول شيئا ·· الىأن جاءت هذه الليلة الثقيلة ··

قبل أن يسافر بيوم ·· ذهبت اليه في شقته ·· وجدت الحقائب معدة ·· وجدت صديقا له ·· تركنا عندما وصلت ·· قال مصطفى ان هذا الصديق سيأخذ الشقة الى أن يعود من السفر ·· وجدت كل شيء حقيقيا ·· هذه الحقائب معدة ·· هذا رجل سيأخذ الشقة ·· هذا جواز سفر ·· هذه تذكرة سفر ·· هذه نقود اجنبية ·· وصرخت ·· تعلقت في رقبته وصرخت :

– مصطفى متسبنيش ··

– انا راجع لك ··

**واعترتني هستيريا من البكاء ·· انفلتت ارادتي ·· لم استطع التحكم في أعصابي ·· تخلخلت ، تمزقت بعد ايام طويلة من الصمت ·· من الانتظار ·· من عدم تصديق اى شيء ·· وضمني اليه ·· مسح دموعي ·· وصرخت :**

**– مصطفى ·· انت بتحبني ··**

ـ بحبك ··

ـ انت خطبتنى من نفسى ··

ـ خطبتك ··

ـ أتجوزنى وأسافر معاك ··

وقبلنى ليسكت صراخى بقبلاته ·· وابتعدت عنه وانا اصرخ ·

ـ أتجوزنى وأسافر معاك ··

ـ حنتجوز لما أرجع ·· بعد سنة ··

ـ اتجوزنى بكره ·· واحصلك هناك ··

ـ أميرة ·· انا مش عارف حعيش ازاى هناك حنتجوز بعد ما ارجع ، أنت مش مصدقانى ··

ـ لا ··

وصرخت ·· وبكيت ·· وضمنى اليه ·· لابد ان اتقبل الحقيقة وقلت خلال دموعى :

ـ مصطفى ·· انا حعيش ازاى ؟

ـ لك صحاب ·· ولك شغل ، الصحاب يضيعوا الوقت ··

ـ انا مش عايزة حاجة فى الدنيا غيرك ·· مش عايزة صحابى · مش عايزة شغلى ·· مش عايزة حاجة ··

ونظر الى بحزن ·· لحظة قصيرة اعتراه توبيخ لنفسه ·· لحظة قصيرة ·· وعاد يبتسم ليخفف من دموعى ·· ويضمنى اليه ·· وقال أنه يريد أن يسلم على عائلته ·· لم أسلم عليه ·· نظرت اليه خلال دموعى ونزلت ·· جرى ورائى ليلحقنى ·· ليوصلنى الى منزلى ، وجريت ··

●

الشجر يجرى ٠٠ الحقول تجرى ٠٠ القطار يجرى ٠٠ مصطفى يحمل حقائبه ويجرى ٠٠ لم الحق بالسيارة التى نقلته الى المطار لأسلم عليه ٠٠ ترددت ٠٠ فتأخرت ٠٠ ونظرت خلال زجاج مكتب شركة الطيران ، دفعت الباب ٠٠ سألنى أحد الموظفين ماذا أريد ٠٠ هززت رأسى ٠٠ لا شىء ٠٠ ماذا أريد ٠٠ لا شىء ٠٠ كل ما أريده ٠٠ أخذتموه منى ٠٠ وضعتموه فى سيارة ٠٠ ليركب احدى طائراتكم ٠٠ وسرت فى الطريق أبكى ٠٠ مكثت فى حجرتى أبكى ٠٠ اخذت اجازة من عملى لأبكى ٠٠

كنت أنتظر اليوم الذى يقول لى فيه مصطفى سنعلن علاقتنا للناس ٠٠ لابد أن الفتاة تشعر شعورا معينا ٠٠ خاصا عندما يطلب منها حبيبها أن تتزوجه ٠ كنت أنتظر أن يكون هكذا ٠٠ لكنى فقدت كبريائى ٠٠ وأنا أرجوه ٠٠ وأبكى له أن يتزوجنى ٠٠ لابد أن منظرى كان قبيحا ٠٠ آخر صورة رآنى فيها كانت قبيحة ٠٠ منفرة ٠٠ كيف فعلت هذا ٠٠ لماذا فعلت هذا ٠٠ وكرهت نفسى ٠٠ احتقرت دموعى ٠٠ احتقرت صراخى ٠٠ احتقرت نفسى ٠٠ وهربت منها وسط الصديقات والأصدقاء ٠٠ كرهت حياتى وأصبحت هذه الكراهية لامبالاة ٠٠ وارسل لى رسالة واحدة صغيرة يحكى فيها عن نفسه ٠٠ ويسألنى عن صحتى ٠٠ ولم يرسل العنوان ٠٠ والسنة أصبحت سنتين ٠٠ ثلاث سنوات ٠

قلت لصديقاتى يوما ٠٠ سأموت اذا تركنى مصطفى ٠٠ وتركنى ٠٠ لم أمت ٠٠ لكنى عشت أحمل فى صدرى قطعة ميتة وتنبض بالحياة ٠٠ وسألتنى الصديقات ٠٠ هل حدث شىء بينى وبين مصطفى ٠٠ حتى أبكى كل هذا البكاء ٠٠ الجرح فى نفسى ٠٠ الانفصال حدث فى نفسى ٠٠ هذا الانفصال النفسى الذى يحول الفتاة العادية الى فتاة معقدة ٠٠ هذا هو الشىء الذى حدث لى ٠٠

●

الشجر يجرى الحقول تجرى ٠٠ لم أعد أراها ٠٠ الدموع ملأت عينى ٠٠ الشمس تركت السماء ، أخذت حقيبة يدى وذهبت الى دورة المياه ٠٠ مسحت دموعى ٠٠ غسلت وجهى ٠٠ وعدت مترنحة

من هزة القطار ·· من هزة الذكريات ·· جلست صامتة ·· أمسك صلاح يدى · تعلقت بها ·· ماذا يربطنى بصلاح ·· صحبته الحلوة ، اهتمـــامه ·· هل سأحبه ، أنا أحب الغائب ·· لماذا ؟ وهو غائب ·· لماذا أتعلق به تعلقا يائسا ، هل لأنه هو الذى تركنى ·· هل لأنى أنا التى أحببته ·· هو أحبنى ·· هو يحبنى ·· هو لايدرى بى ·· أنا مغفلة ··

ما الذى يربطنى بصلاح ، لماذا أجلس بجانبه فى قطار يجرى ·· قلت لوالدى سأذهب الى الاسكندرية ·· قالت أمى هواء البحر سيفتح شهيتى ·· قال أبى ·· النزهة بعد أسبوع عمل ·· شىء مفيد ، لم يسألنى مع من أنا ذاهبة ·· أنا فتاة كبيرة لابد ان أعرف كيف أعيش ··

قال صلاح وهو يهزنى :

ـ أميرة ·· وصلنا ··

ـ فين ··

وابتسم صلاح وهو يجذبنى من يدى ·· لأجلس ·· لأقف ·· لأحمل حقيبتى الصغيرة ·· لأسير بجواره فى بلد غريب لا أعرف فيه أحدا سواه ·· وتعلقت بذراعه حتى لا أشعر بغربة ·· كنا فى المساء ·· قال صلاح انه سيبيت عند أحد أصدقائه يسكن قرب محطة الرمل ·· وقلت سأبيت فى أحد الفنادق فى هذا المكان ·· ذهبت الى الفندق ، غيرت ملابسى ·· انتظرت صلاح ··

ذهبنا الى ملهى ليلى ·· وجوه غريبة حولى ·· لابد انهم كلهم من الاسكندرية . وشعرت أننى لا أعرف أحدا فى العالم سوى صلاح ·· ليس لى بيت سوى هذه المنضدة التى تجمعنا · ذراعاه يحوطانى فى رقصة ·· قلبى يخفق ·· يشهق ، كأنه يعرف الحب لأول مرة ·· تعلقت بذراعه ·· تعلقت برقبته ··

سرنا بجوار الكورنيش · الهواء بارد ·· ضمنى اليه ليحمينى من الهواء ·· ضغط على كتفى قبل أن أصعد الى غرفتى فى الفندق · سار على أن نلتقى فى الصباح ··

●

قال صلاح : نمت كويس ؟

ـ لا ..

ـ ليه ..

ـ كنت بفكر .. أنا جيت معاك هنا ليه ..

ـ علشان تتفسحى ..

ـ أقدر أتفسح وحدى ..

ـ علشان أنا عايز أتفسح معاك ..

ـ وليه تخلينى أتصرف زى ما أنت عايز ..

ـ أنا أحب أن كل واحد فينا يتصرف زى ماهو عايز .. ويكون الهدف واحد ..

ـ مش قادرة أفهم فلسفة على الصبح ..

ونسيت أفكارى وحيرتى .. ذهبنا الى شـــاطىء .. أجرنا شمسية ومقعدين .. الشاطىء ليس مزدحما . مجموعات قليلة من الناس .. متفرقة .. لم تنزل البحر .. تمددت فوق المقعد .. نظرت الى البحر .. على الجانب الآخر من البحر توجد مدن وناس ، قال صلاح انه سافر مرة واحدة لمدة ستة أشهر أيام كان طالبا .. سألته لماذا لم يكمل دراسته فى الخارج ليكون شيئا .. ضحك وقال : ان الذى يريد أن يكون شيئا ، يمكنه أن يكون فى بلده .. فالانسان يمكنه أن يصنع نفسه فى أى مكان .. وليس مهما أن يســـافر فى مكان معين ليصبح شيئا .. فالمكان لا يصنع الانسان .. الا اذا كان الانسان يريد حقيقة أن يصنع نفسه ..

ذهبنا الى كازينو وتناولنا الغداء ، كل شىء يبعث على البهجة .. هل سيبتعد عنى الروتين .. هل سيذهب عنى هذا المرض الذى يلازمنى .. هل سيذهب عنى الملل .. هل سأعرف البهجة فى الحياة أم هى .. مجرد لحظات ؟

وعدنا فى الاتوبيس الصحراوى وقت الغروب ·· الظلام يزحف على الرمال ·· ويكون أشباحا وخيالات ·· الركاب صامتون ·· عددهم قليل وصامتون ·· الصمت وصوت السيارة والظلام ·· جعلنى أشعر بوحدة مفاجئة ·· قدم لى صلاح سيجارة أخذتها ربما تنجدنى من هذا الشعور ، أطفأنا سجائرنا ·· ومد صلاح يده أمامى ·· تركها معلقة منبسطة ·· تدعو يدى الى اللقاء ·· وتترك لها الخيار ·· نظرت اليها وشعرت أنه يعد فى سرد عدة أرقام حتى يأتى العدد الى رقم معين فيبعد يده المرفوضة ·· وخفت أن تنتهى الأرقام ووضعت يدى فى يده الممدودة ·· ضغط عليها بحنان · سرى تأثيره هادئا الى جسدى ·· تخدر جسدى بلمسة حنان ·· وتعلقت بكلتا يدى فى ذراعه ·· وأسـنـدت رأسى على كتفه ·· ياسماء ·· كيف تضعين كل هذا الحنان فى يد انسان ··

هذا يوم لم أمض مثله من سنوات ·· ربما لم أمض مثله من قبل ·· لا أريد أن أعود الىمنزلى ·· لا أريد أن أصعد الى شقتنا وحدى · ·أريد صدرك ·· أضع رأسى المتعبة فوقه للصباح ··

ظهرت أضواء القاهرة من بعيد ·· اعتدلت فى جلستى ·· أنا أعود الى هذه البلد التى أعرف فيها ناسا كثيرين ·· أهلى وأصدقائى وصديقاتى ·· فى الاسكندرية لم أكن أعرف أحدا سوى صلاح ·· هل تعلقى به فى هذين اليومين لأنى لا أعرف هناك أحدا سواه ·

نظرت الى شارع الهرم ·· عندما تنظر الى شارع الهرم من أوله يخيل اليك أنه طريق ممتد بالأضواء ·· ليس له نهاية ·· هكذا قلت يوما لمصطفى ·· وقال ان لكل طريق نهاية ·· والتصـور الخاطىء ·· هو الذى يجعلنا نشعر أن الطرق ليس لها نهايات ·

قال صلاح : حمد الله على السلامة ··

ـ شارع الهرم جميل ··

ـ شارع الهرم كله مطبات ··

●

قال محسن اننى أبدو مشرقة هذا الصباح ·· نظرت عفاف الى وجهى نظرة شاكة ·· تحاشيتها ·· انشغلت فى عملى وسألنى محسن أن أعد معه اعلانا ·· ردت عفاف على رنين التليفون ·· تحدثت بهمس وخرجت من الحجرة الكبيرة ، غابت قليلا وعادت وفى عينيها نظرات اتهام موجهة الى ·· مثل وكيل نيابة فى أحد الأفلام ·· وسألتنى قبل أن تنزل أن أذهب معها الى منزلها أتناول الغداء معها لأن زوجها مسافر ·· وسألت نادية ·· تبادلت ونادية النظرات، وافقت نادية ·· وترددت ·· قالت عفاف أنها تريد أن تحدثنى فى أمر هام ··

لم تتحدث عفاف فى هذا الأمر الهام طوال الطريق الى منزلها ·· لم تتحدث فيه أثناء تناولنا الطعام ·· جلسنا فوق مقاعد مريحة فى حجرة واسعة ·· وابتدأت عفاف الكلام :

قالت بثقة : أميرة ·· أنت كنت مسافرة مع صلاح ؟

ـ مين قال لك ؟

ابتسمت نادية ونظرت الى باعجاب ··

قالت عفاف : واحدة زميلتنا فى الشركة ·· شافتك معاه فى محطة مصر ·· سألتنى اذا كنت مخطوبة ·· الحقيقة انا اتكسفت ·· وقلت لها ·· لازم كنت مع أخوك ··

قلت : وعرفت منين أنه صلاح ؟

ـ سألتها توصفه لى ·· وطبعا عرفت انه صلاح ·

ـ وكذبت عليها ليه وقلت أنه أخويا ··

ـ بلاش استهتار ··

قالت نادية : رحتم فين ؟

ـ الاســـــكندرية ··

قالت عفاف : أنت مجنونة ··

قالت نادية : شكلك مبسوط ٠٠

قالت عفاف موجهة الكلام الى والى نادية :

ــ أنتم الاتنين لازم تتجوزوا ٠٠ قربتم على سن التلاتين ٠٠ مستنيين أيه ؟

قالت نادية : على العموم أنا قررت أتجوز السنة دى ٠٠

منذ ثلاث سنوات ونادية تقول انها ستتزوج هذا العام ٠٠ وابتسمت ٠٠

قالت عفاف : حتتجوزى مين ؟

قالت نادية : واحد دكتور ٠٠ يمكن أخو أميرة ٠٠

وابتسمت ٠٠ نادية دائما تستهويها مهنة معينة ٠٠ فتقول أنها ستتزوج رجلا من هذه المهنة ٠٠ وتقول اسم أى رجل تعرفه من بعيد أو تسمع عنه من هذه المهنة ٠٠ نادية تريد أن تتزوج مهنة معينة ٠٠ لا رجلا معينا ٠٠ ونادرا ما تلتقى بما تريد ٠٠ فاذا أعجبها رجل لا تعجبها مهنته ٠٠ واذا أعجبت بمهنته لا يعجبها الرجل ٠٠ وتمر الأيام ٠٠

سرحت عفاف قليلا وقالت :

ــ فيه واحد قريب جوزى ٠٠ دكتور شــــاب ٠٠ كان عايز يتجوز ، لما أسأل اذا كان اتجوز واللا لأ ٠

والتفتت الى عفاف وقالت :

ــ وأنت لازم تتجوزى صلاح ٠٠

ابتسمت وقلت لانهى المناقشة :

ــ ان شاء الله ٠٠

نظرت بلا اقتناع ٠٠ تحدثنا عن الملابس وعدت الى منزلى ٠

عفاف لها منطق غريب ٠٠ فهى مادامت فشلت فى الحب ٠٠ معنى ذلك أنه لا يوجد حب فى الحياة ٠٠ هى مادامت تزوجت رجلا

لا تحبه ·· معنى ذلك أن تتزوج كل فتاة تعرفها رجلا لا تحبه ·· واذا حدث وتزوجت واحدة تعرفها رجلا تحبه ·· تنتظر فى كل لحظة فشل هذا الزواج ·· هى من زمن تنتظر فشل زواج ناهد وسعيد ·· وتحقق الفشل فى نظرها ·· فهما لن ينجبا أطفالا ··

عنف تريدنا أن نفعل كل شىء قبل أن يمر الوقت ·· كأنهـا تعرف بالتحديد يومنهاية العالم · ·زهقت من نصائح الصديقات ·· زهقت من كلامهن المعاد ·· كلام عفاف بالذات ··

عدت الى منزلى وجدت أمى معها ضيفة ·· أبى فى الخارج ·· أمى تتحدث مع ضيفتها ·· ضيفتها تسألنى السؤال التقليدى ·· عن صحتى وعملى ، ومتى سأتزوج لأفرح أمى ·· زهقت من هذا الكلام ·· لابد أن معظم الفتيات يقبلن أى زواج ليهربن من هذه الأسئلة ·· اننا نتعلم ·· ونعمل ·· ونتفوق ·· ومع ذلك الاسئلة تحوطنا فى كل مكان ·· كان وجه الفتاة وجسدها عورة ·· فأخفته سنين تحت الحجاب ·· هل الآن اصبح لقب فتاة عورة ·· لابد أن تخفيه بالزواج ؟!

ذهبت الى حجرتى ·· أخذت التليفون ·· حدثت صـلاح ·· سألنى لماذا صوتى متعب ·· قلت له انتى متضايقة من كل شىء ·· سألنى أن أقابله ·· غيرت ملابسى وذهبت اليه فى صالة الشاى فى جروبى ··

قلت له أننى تناولت غدائى عند صديقة وتحدثت كثيرا كلاما معادا وقلت له أننى وجدت فى منزلنا ضيفة وزهقت من احاديث الضيوف · قلت له أن كل شىء يعيد نفسه واننى زهقت من الحياة ·· ارتحت الى سؤاله المهتم ·· تحدثت معه كأننى أتحدث مع صديق يعرف عنى كل شىء ·· وأطلب منه أن يقول لى نصيحة ·· أو يعطينى أملا للاستمرار فى الحياة ··

قال صلاح أنه لاحظ فى هذه الفترة التى عرفنى فيها ·· أننى على عكس ما أبدو عليه ·· أنا مهتمة وأبدو لامبالية بالأشياء ·· أنا

حزينة ·· أبدو مبتسمة لكل شيء ·· قال أن لى مشكلة معينة مع الحياة ·· قال أنه لايريد أن يعرفها الا اذا أردت أن أقولها له ·· قال أنه على موعد عمل وسيحدثنى فى الصباح . سألنى أن يوصلنى الى منزلى ·· قلت أريد أن أسير وحدى ··

عبرت الطريق الى كورنيش النيل ·· وسرت الى منزلى ·· شعرت بضآلتى وتفاهتى فى هذه الحياة ، ما الذى أفعله منذ ثلاث سنوات ·· لا يوجد شيء معين أستطيع أن أتذكره ·· أذهب الى عملى ·· أذهب الى منزلى ·· أذهب الى سينما ·· أتعرف على رجل ·· تحدثنى الصديقات عن هذا الرجل ·· تنصحنى الصديقات بالزواج منهذا الرجل ·· أفكر قليلا هل أتزوجه ·· أفكر كثيرا فى مصطفى ·· أنتظر مصطفى ·· يعترينى الملل واليأس من الانتظار ·· أتعرف برجل ·· تحدثنى الصديقات عن هذا الرجل ما الذى فعلته منذ ثلاث سنوات ، لا شيء ·· لا شيء ·· صلاح قال أننى عكس ما أبدو عليه ·· أنا مهتمة وأبدو لا مبالية بالأشياء ·· هل حقيقة ما قال ·· بأى شيء أنا مهتمة ·· بعودة مصطفى ·· بماذا، بماذا · لابد حقيقة أن أهتم بشيء ··

لماذا لا أهتم بعملى وأكون فيه شيئا ·· لا مجرد جسد يكمل عدد الموجودين فى الحجرة الكبيرة ··كان مصطفى يقول لى أن الانسان لابد أن يكون شيئا فى الحياة أو ينتحر ·· هل أنتحر ·· فكرة سخيفة ·· مصطفى كانت له بعض الأفكار السخيفة ·· لابد أن أهتم بشيء ، أهتم بعملى ·· بأى شيء أهتم فى هذا العمل ؟ ·· أقترح ندوة ، أقترح موضوعا للمجلة ، أهتم بموضوع سعدية عن دور الحضانة ، حقيقة ، لماذا لا تنشيء الشركة دار حضانة ، سأهتم بهذا الموضوع ·· سأساعدها فى تحقيق مشروعها ·· لابد أن أهتم بشيء ·· لابد أن أزيل هذاالشعور من نفسى ·· أنا تافهة ·· لا أحد سيساعدنى على التخلص من هذا الشعور ·· الخلاص فى يدى أنا ·· ليس فى يد الآخرين ربما يساعدوننى قليلا ·· لكن أنا ·· اذا لم أساعد نفسى فسوف لا أتخلص من هذا الشعور ··

هل تمكن أحد أن يخلصنى من صورة مصطفى ٠٠ هل تمكن أحد من ابعاد خياله الذى يتدخل بينى وبينهم ٠٠ فيفسد كل شيء ٠٠ اذا لم أساعد نفسى فسوف لا أتخلص من صورته التى تلاحقنى ٠٠ ربما أنا لا أريد التخلص منه ٠٠ ربما أنا حقيقة انتظره طوال هذه السنوات ٠٠ ربما حقيقة أنا أحبه ٠٠ وأريده ٠٠ وأريد كل الأيام التى امضيناها معا أن تعود ، بحلوها ، بمرها ، بعذابها ، بسذاجة أحلامى الصغيرة ٠٠

ربما لم يقنعنى أحد بنفسه ٠٠ لكن أنا ٠٠ لم أساعد نفسى على الاقتناع ٠٠ صلاح ٠٠ شخصية تعجبنى ، تقنعنى الى حد كبير ٠٠ بالرغم من ان له أفكارا غير التى يعتنقها مصطفى ٠٠ مصطفى يعتمد على الآخرين ٠٠ صلاح يعتمد على نفسه ٠٠ ربما اعجابى بشخصيته وافكاره جعلنى افكر الآن هكذا ، جعلنى أفكر أن الخلاص فى يدى أنا ٠٠ وليس فى يد الآخرين ٠٠

لابد أن أفعل شيئا ، لا يمكن أن تستمر حياتى هكذا ٠٠ وأنا لامبالية بشيء ٠٠ فأشعر بتفاهتى ٠٠ لابد أن أهتم ، سأهتم بعملى ٠ سأهتم بصلاح ٠٠

●

نظر الى متعجبا ٠٠ ورحب بى عندما سألته أن أجلس معه ٠٠ بعض الوقت ٠٠ فأنا لم اذهب الى حجرة رئيس القسم وأتحدث معه وحدى ٠٠ منذ ثلاث سنوات ٠٠ سألنى عن أخبارى ربما يستطيع أن يعرف منها سبب زيارتى ٠٠ قلت له أننى أريد أن أعقد اجتماعا للسيدات المتزوجات لنعرض مشاكلهن على الشـــركة ٠٠ قلت أن السيدات المتزوجات لهن مشاكل كثيرة ٠٠

قال أن عمل اجتماع أثناء العمل مستحيل ٠٠ قلت له سيكون نصف ساعة بعد انتهاء العمل ٠٠ ووافق لا لأنه مقتنع بما قلت ٠٠ لكن لأنه متأكد أن السيدات المتزوجات يصعب اقناعهن بالمكوث نصف ساعة بعد انتهاء العمل ٠٠

وسألنى ضاحكا .. لماذا اهتمامى المفاجىء بالسيدات المتزوجات هل سأتزوج .. لا أستطيع أن أقول له .. أريد أن أتحمس لشىء .. أهتم بشىء .. وهو لا يستطيع أن يفهم لماذا .. هل أحكى له تاريخ حياتى ! ..

ذهبت الى حجرتنا وقلت لهم الخبر .. تعجبوا .. تحمسوا ، تحمست دلال .. هذا شىء جديد يدعو الى الحماس .. خرجت تدعو السيدات المتزوجات الى اجتماع .. قال شكرى انها فكرة ممتازة يستطيع أن يكتب كل ما يدور فى الاجتماع وننشره فى المجلة بدلا من طلب نقدمه الى الشـــركة بامضاءات .. وسألتنى عفاف عن هذا الحماس المفاجىء .. وسألتنى نفس سؤال رئيس القســـم .. هل سأتزوج .. لا أستطيع أن أقول لها شيئا .. وهى لا تستطيع أن تفهم لماذا ..

ولم أكن أتوقع اقبال السيدات المتزوجات على الاجتماع حتى انهن قررن أن يكون فى نفس هذا اليوم وجاءت سعدية مهللة الى حجرتنا .. وسألت من صاحب فكرة هذا الاجتماع .. ولما عرفت أنها .. أنا .. قبلتنى .. وجرت مسرعة .. متحمسة الى أن نلتقى بعد انتهاء العمل فى حجرتنا الكبيرة ، وذهب شكرى يطلب موافقة من المدير العام ..

وحضرت معظم السيدات المتزوجات .. وبعض الفتيات .. وفرحت بهذا العدد الذى اهتم وجاء .. وسعدية فى قمة سعادتها تنظم المناقشة .. وشكرى يجلس أمامه أوراق يكتب فيها ما يدور وأنا أقف بجوار سعدية .. لأسأل الأسئلة ، وعفاف تنظم السيدات .

وقالت سعدية .. انها تستطيع أن تلخص مشاكل السيدات المتزوجات فى شىء هام .. وهو ضرورة انشاء دار حضـــانة لأطفالهن .. وضرورة مساهمة الشركة فى انشـــاء هذه الدار ، صفقت السيدات موافقات .. وفى هذه اللحظة دخل الى الحجرة المدير العام .. اقترب من المكتب الرئيسى الذى نلتف حوله .. نظر الى أوراق شكرى .. صمتنا .. نظر الينا .. وقال انه يلغى هذا الاجتماع لأنه ليس على علم به .. وقال شكرى ان رئيس القسم

وافق عليه ·· وانه ذهب الى مكتبه ليعرض عليه أمر الاجتماع ·· وكان عنده ضيوف ، او اجتماع ·· وسال المدير العام :

بأى شىء كانت تطالب سعدية ·· وقالت سعدية بانشاء دار حضانه ··

ونظر الينا وسال من الذى نظم الاجتماع ·· انفرجت شفتى لأقول انا ·· وسبقنى شكرى ·· وقال انه القسم كله ·· وقال المدير غاضبا :

ان قسم العلاقات العامة ، قسم جاهل ·· لأن القانون الصادر بشأن دور الحضانة ·· يقول ان الشركة تنشىء دار حضانة اذا زاد عدد الموظفات على المائة ·· وان الشركة بها ستون موظفة ·· فاما أن يكون القسم جاهلا واما يكون يريد أن يعمل بلبلة وشـــغب فى الشـــركة ··

قلت بصوت مضطرب ·· مرتفع ·· اننا نظمنا الاجتماع لنعرف مشاكل السيدات المتزوجات ·· وليس لانشاء دار حضانة ، ووجدنا ان مشاكلهن تنحصر فى انشاء هذه الدار فالحديث جاء هنا ·· والآن ·· وقالت سعدية ·· ان الكلام الذى قلته أنا حقيقة ·· وانها هى التى تحدثت عن دار الحضانة ·· وقال المدير العام ·· انه يلغى الاجتماع ··

خرجت السيدات والفتيات من الحجرة ·· وجاء بعض الموظفين ليعرفوا سبب هذه الجلبة ·· وجاء رئيس القسم مسرعا ·· كان فى طريقه الى منزله عندما قابل أحد الموظفين وأخبره بما حدث مشوها الكلام ·· جاء يصرخ فينا لانه كان لا يصدق أن أنفذ فكرتى ، لا يصدق أن أحدا سيأتى ويكون الاجتماع هكذا سريعا ·· اليوم ·· وقال شكرى ساخرا متملقا أنه كان يكفى موافقة رئيس القسم على عمل الاجتماع ··

خرج رئيس القسم واضطربت ، نظرت الى الوجوه الستة متفرقة فى الحجرة الكبيرة ·· وشعرت بحزن ويأس ·· هذا أول اهتمام

أقوم به ·· هذا أول حماس منذ سنين بعيدة ·· أنا انسانة فاشلة ، قلت لهم : آسفة ·· نظر الى محسن وابتسم ·· وضحك ·· وضحكت عفاف ·· وضحكت نادية ، ضحكت دلال ، ضحك شكرى ، وضحكت ··

●

عدت الى منزلى وأنا أفكر لماذا فشل الاجتماع ·· هل لأنه لم يسبقه أى تنظيم أو أى تحضير للأسئلة والمواضيع ·· الحقيقة أنا كنت أقصد من هذا الاجتماع الحديث عن انشاء دار حضانة فى الشركة ·· أو فى مكان قريب منها أو كما اقترحت سعدية فى مقالتها فوق السطح ·· لم أفكر فى هذا القانون الذى تحدث عنه المدير ··

قرأت يوما عن قانون انشاء دور الحضانة فى الشركات ، قرأت العنوان ، ولم اهتم بقراءة التفاصيل ولم أقرأ عن الشركات التى أنشأت فعلا دور حضانة ربما قرأت يوما ونسيت ·· ولا أعرف اذا كان عدد الموظفات فى شركتنا مائة أو خمسين ·· أنا أراهن كثيرات ·· ربما لو كنت درست الموضوع الذى كنت أهدف اليه من هذا الاجتماع ·· كان نجح الاجتماع ·· لكن لم أدرسه ولم أسأل مدير المستخدمين عن عددنا ·· ولم أقرأ تفاصيل القانون ·· ومرت الأحداث هكذا ··

أردت أهتم بشىء ، فتحمست لموضوع الاجتماع وسألت رئيس القسم ·· ووافق لأنه شك فى حماستى واهتمامى ·· ظن أننى أريد مجرد الحديث ·· قلت الخبر فى الحجرة الكبيرة ·· تحمست دلال ولأن حماستها دائما مندفعة فذهبت تدعو السيدات الى اجتماع ، سمعت سعدية الخبر ·· ولأن حماستها نشطة قررت وأقنعت السيدات ان يكون الاجتماع اليوم تحمس شكرى ليكتب « موضوع » ·· وذهب يطلب موافقة الشركة ·· لم أسأله ماذا فعل ·· وهو لم يخبرنا أنه لم يستطع مقابلة المدير ·· وقال للسكرتيرة اننا سنعقد اجتماعا اليوم ·· أخبرت السكرتيرة المدير ·· وجاء غاضبا ·· ألغى الاجتماع ·· أخطاء كثيرة حدثت ··

●

وفى اليوم التالى جاء رئيس القسم الى حجرتنا وقال انه وصلته مذكرة بعمل تحقيق مع قسم العلاقات ·· بسبب الاجتماع ·

ذهبنا الى حجرته وكان مدير المستخدمين موجودا ·· سأل كل فرد منا عدة أسئلة ·· وبسبب الظروف الخاطئة التى حدثت متتالية ·· وجد اننا كلنا مسئولون عن الخطأ الذى وقع أو عن هذا الشغب الذى أحدثه الاجتماع ·· وكانت نتيجة التحقيق ·· خصم يومين لقسم العلاقات العامة ··

وشعرت بحرج ·· هل أنا مسئولة وحدى عن هذا الخصم ·· عدنا الى حجرتنا ··

قالت عفاف : أميرة تدفعى لنا اليومين دول ··

قال محسن : ليه شكرى مايدفعش الخصم ·· هوه اللى مجبش الموافقة على الاجتماع ··

قالت نادية : مش مهم الخصم ·· المهم اننا عملنا حاجة ·· كل الموظفين النهاردة بتسأل ·· كان فيه أيه فى قسم العلاقات ··

قالت عفاف : ياسلام ·· على الفخر ·

قالت نادية : لازم تفخرى بقسمك ··

قالت عفاف : افخر لما يعمل حاجة كويســـــة مش لما يجيلى خصم ··

ودخلت سعدية الى حجرتنا وصرخ محسن ··

والنبى ياست سعدية متجبيش سيرة دور الحضانة ·· ومدارس الأطفال ·· والاطفال ·

قالت سعدية : أنا جاية أتأسف لكم على اللى حصل ·· لكن ··

صرخ محسن : لكن أيه ·· متجبيش السيرة دى بالكتابة ولا بالكلام ··

قطع المناقشة رنين التليفون ·· ونادتنى عفاف ·· وذهبت اليه ··

أسندت رأسي فوق يدي ·· وأمسكت ملعقة باليد الأخرى أحركها ببطء في فنجان الشاي وأنا سارحة ··

قال صلاح : أخبارك ايه ··

نظرت اليه وأنا مسندة رأسي فوق يدي · وقلت وأنا أمط شفتي ··

– عملت عمل فاشل ··

قال : انا كنت عند ناهد امبارح وكانت بتحكى عن اجتماع عملتوه ·· والمدير غضب ·· أو لغاه ··

وهززت رأسي موافقة على كلامه ·

– انا صاحبة فكرة الاجتماع ··

وابتسم ··

– كان ليه الاجتماع ··

– نناقش مشاكل الستات ·· ونقدم مطالبهم للشركة ··

– وايه نتيجة المناقشة ··

– خصم يومين لقسم العلاقات ··

ضحك ·· وابتسمت ··

قلت : مش لازم أهتم بحاجة بعد كده ··

– بالعكس ·· أنت تشوفي ايه سبب الفشل وحاولي بعد كده تعملي حاجة ناجحة ··

اعتدلت في جلستي ، نظرت حولي ·· المكان ابتدأ يزدحم بالناس والجرسون النوبي يقف سارحا في شيء ·· ربما يفكر متى يأتي موعد خروج كل هؤلاء الناس ·· ورجل يجلس خلف المنضدة المجاورة يقرأ جريدة ·· وفتاة صغيرة هناك ·· متعلقة بعيني الشاب الجالس أمامها ·· لابد أنه يملأ رأسها بالأحلام ·· مجرد كلام ··

قال صلاح : تعرفى ايه أجمل شىء فى الحياة ·· ان الشخص يحقق وجوده ··

ـ ازاى ··

ـ يحقق وجوده فى عمله ·· ويحقق وجوده فى انه يحب ويتحب ··

ـ وانت حققت وجودك ··

ـ بحـــــاول ··

ـ عندك وقت نروح ســـينما ··

ـ فـــكره ··

●

اجتماع مع رئيس القسم ، طبعا ســيهزأ منا ·· من حملة الشهادات الجهلة ·· هكذا قال عنا المدير العام ·· نظر الى نظرة ساخرة ·

قال رئيس القسم : أميرة ·· عندك فكرة جديدة تانية ··

قلت : احنا لازم نرجع ثقة الموظفين فى القسم ··

قال : ازاى ؟

قلت : ممكن نسألهم عن مشاكلهم ·· ونعمل موضوع فى المجلة ·· وعلشان ميحصلش سوء تفاهم مع الشركة ·· تكون الأسئلة غير مباشرة ··

اعتدل فى جلسته وسأل باهتمام :

ـ ازاى ؟

قلت : يعنى مثلا ·· اسأل الموظف أو الموظفة ·· بتفكر فى ايه فى اللحظة دى ··

قال محسن : هى لعبة ..

قال شكرى : فكرة هايلة تنفع مجلة كبيرة ..

قالت عفاف : بلاش نتعرض لمشاكل ..

قال محسن: المرة دى حيخصموا منا شهر ..

قال رئيس القسم : الفكرة كويسة .. تحيى المجلة ..

قلت : أنقذها ..

قال شكرى : عايزين نطلع المجلة بعد أسبوع ..

قال محسن : عايزين نعمل حفلة ..

قال رئيس القسم : بمناسبة ايه ..

قال محسن : بمناسبة الصيف ..

قال رئيس القسم : نعملها فوق السطح ..

قالت دلال : سعدية بتقول دار الحضـــانة ممكن تكون فوق السـطح ..

أخذت بعض الأوراق .. وخرجت من الحجرة .. ولمعت فى رأسى فكرة أن أذهب الى المدير العام وأســأله .. ويكون أول المتحدثين ، سألت السكرتيرة اذا كان موجودا بمفرده .. طرقت الباب ودخلت .. رفع رأسه عن المكتب ونظر الى .. ابتسمت ..

قلت : فيه موضوع بنعمله للمجلة ، أنى أسأل حضرتك سؤال وتجاوبنى عليه ..

– اتفضـلى ..

– حضرتك بتفكر فى أيه .. فى اللحظة دى ..

نظر الى بضيق وقال :

– انى ألغى قسم العلاقات العامة من الشركة ..

وابتسمت وشكرته ··

وكانت أجابات الموظفين والموظفات على سؤالى تعبر عن مطالبهم أو مشاكلهم ·· أوأشياء طريفة عن حياتهم الخاصـــة ·· وكان الموضوع جديدا ·· مثيرا بالنسبة لمجلة روتينية تصدرها شركة ، وأبدى المدير اهتمامه لرئيس القسم ، وأبدى رغبته فى الاكثار من عمل مثل هذه الموضوعات التى تستفيد منها ادارة الشركة ··

وفرحت بهذا العمل الذى قمت به ·· واهتممت به ·· لا يهم أن ينسبه رئيس القسم لنفسه أمام الشركة ·· يكفى أننى فعلت شيئا وفرحت به ·· صلاح فرح لفرحتى ·· قال المهم أن يحاول الانسان أن يفعل شيئا مفيدا ·· لايهم الفشل ·· مادام الانســـان لا يفقد الأمل ··

●

قال : اخاه اعجب بى !! ··

قال أنه انتقدنى ·· قال أنه مسرور وأنا بجانبه ·· قال لابد أن تأكلى ·· قال ·· نذهب سينما هذا المساء ·· قال ·· حدثينى بعد العمل ·· قال · انتظرينى سأحضر بعد ساعة ·· قال ما هذا الخطاب الذى فى يدك ·· قال ·· سأسهر الليلة مع أصدقائى ·· قال ·· أراك غدا ··

قلت : أحب هذا المكان ·· قلت ·· سأمكث اليوم فى منزلى · قلت ·· لاأريد أن أذهب معك ·· قلت ·· عندما تنتهى من العمل أقابلك ·· قلت ·· اهتممت بعملى ·· قلت ·· لا أريد أن أعود الى منزلى ·· قلت أراك غدا ··

وتمر الأيام ·· كل يوم يقول صلاح ·· وكل يوم أقول ·· امتلأت أذناى بصوته ·· مكتوب فى قدرنا أن نلتقى ·· أحب هذا القدر الذى جمعنا ··

ولم يعجب عفاف التغيير الذى حدث · قالت انه مستهتر ·· قالت أنه سيتركنى ·· قالت ·· وقالت وأنا لا ألتفت لها ··

هذا الصباح نظرت عفاف الى نظرة لم تعجبنى ٠٠ وجاءت الى مكتبى وفى يدها مجلة مصورة ٠٠ فتحت المجلة على صفحة معينة ٠٠ وضعتها أمامى ٠٠ بعثاتنا فى الخارج ٠٠ ماذا يفعل الطلبة هناك ٠٠ فى ألمانيا ٠٠ فى انجلترا ٠٠ فى أمريكا ٠٠ وخفق قلبى وعيناى تجرى فوق أسطر الكلمات عن أمريكا ٠٠ وسألنا المهندس مصطفى عبد الرسول ٠٠ متى تنتهى بعثتك ٠٠ هذا العام ٠٠ ماهو تأثير السنوات على دراستك ونفسيتك ٠٠ فى السنة الأولى كنت مضطربا ٠٠ تعودت على الدراسة والعمل ٠٠ لكن لم أستطع التغلب على الحنين الى الوطن ٠٠ أريد أن أعود لأخدم بلدى ٠٠ بالخبرات التى اكتسبتها ٠٠

نظرت الى الصور ٠٠ لا توجد صورته ٠٠ نظرت مرة أخرى قرأت مرة أخرى ٠٠ سألتنى عفاف ماذا سأفعل ٠٠ أعطيتها المجلة ٠٠ يبدو أن لون وجهى أصبح باهتا ٠٠ جلست صامتة ٠٠

أخذت عفاف المجلة ٠٠ وضعتها فى درج مكتبها وخرجت من الحجرة ٠٠ هل خرجت لتخفى ضحكاتها !! ٠٠ مصطفى سيعود هذا العام ٠٠ ربما يعود غدا ٠٠

ذهبت الى التليفون ٠٠ طلبت « ناهد » فى مكتبها ٠٠ قالوا انها فى أجازة اليوم ٠٠ طلبتها فى منزلها ٠٠ قلت لها ٠٠ سأذهب اليها بعد انتهاء العمل ٠٠

– ناهد ٠٠ انا قريت فى مجلة النهاردة ٠٠ ان مصطفى ٠٠

قالت : بعثته تخلص الشهر الجاى ٠٠

– وأنت تعرفى ٠٠

– سعيد قال لى من مدة ٠٠

– ليه مقلتيش ٠٠

– وأنت يهمك ايه ٠٠ يرجع ٠٠ واللا ٠٠

– ازاى مبتقوليش ٠٠

ـ شفتك مبسوطة مع صلاح ·· قلت ··

ـ قلت ايه ·· ؟

ـ الحمد لله نسيتى مصطفى ··

ـ نسيته !!

ـ طول الوقت ده مع صلاح بتضيعى وقت ·

ـ فى الأول كنت بضيع وقت ·· وبعدين ··

ـ حبتيه ··

ـ مش عارفه ··

ـ كل يوم تقريبا مع بعض ومش عارفه بتحبيه واللا ·· لا ··

ـ هو كمان مش عارفة بيحبنى واللا ·· لا ··

ـ بتتكلموا فى أيه وأنتم مع بعض ··

ـ فى أى حاجة ·· الا ··

ـ ليه ··

ـ أنا مش متأكدة من شعورى ·· ولازم هو كمان مش متأكد

ـ لكن أنا مشفتكيش مبسوطة مع حد زى صلاح ··

ـ صلاح صحبته لطيفة ·· مهذب ·· محاولشى يضايقنى فى أى حاجة ·· محاولش حتى ·· انه ··

ـ غريبة ··

ـ ايه غريب ··

ـ العلاقة بينكم ··

ـ احنا صحاب ··

ـ حكيتى له عن مصطفى ··

ـ لا ..

ـ ليه .. مش صحاب ..

ـ مش ضرورى يعرف كل حاجة .

ـ غـــريبة ..

ـ ايه عريب ؟!

ـ العلاقة بينكم . انا فاكراها اكتر من صداقة .

ـ مجرد صداقة ..

ـ الحب بيجى بعد الصداقة ..

ـ يمكن ..

ـ أنت عايزة أيه من مصطفى ؟

ـ عايزة أشوفه ..

●

مصطفى سيعود الشهر القادم .. بقى على الشهر القادم ثلاثة أسابيع وأربعة أيام .. فى أى يوم من الشهر القادم .. مصطفى سيعود وأراه .. ماذا أقول لصلاح .. هل أحكى له عن مصطفى .. لا .. ربما بمنطقه فى الحياة يقول أننى مخطئة لأنى أنتظره .. لأنى أحب خيال .. سوف لا أحكى له عن قصتى .. احببت صحبته .. أحب صحبتى .. ولم يكن بيننا شىء أكثر من الصحبة . لم نتبادل قبلة .. اقتربت رأسه من رأسى فى رقصة .. اقتربت شفتاه من شفتى فى همسة .. لم نتبادل القبلة ..

وانتشر خبر عودة مصطفى .. وتسالنى الصـــديقات ماذا سأفعل .. أكره سؤال ماذا افعل .. ربما لأنى حقيقة لا أدرى ماذا سأفعل .. ؟

وجلست أمام صلاح صامتة .. الأحاديث فاترة .. ذهبنا الى

سينما لنهرب من صمتنا ·· بقى ثلاثة أسابيع ·· ويأتى الشــــهر القادم ·· هل أطلب من صلاح أن يعد معى الأيام ·· سحبت يدى من يده ·· الفيلم طويل ·· ممل ·· أريد أن أعود الى منزلى ·· الى حجرتى · لا أجد لصحبتى معنى ·· لابد أن أبتعد عن صلاح فى هذه الفترة ·· لا أستطيع أن أكون صحبة حلوة ·· لا أستطيع أن أتحدث · هل أقابله لأجلس امامه صامتة ·· أهز رأسى نعم · أهز رأسى ·· لا ·· الأفضل أن أبتعد عنه فى هذه الفترة ·· أعد الأيام وحدى ··

وابتدأت أعتذر لصلاح ·· بهذه الحجج السخيفة التى تخترعها الفتاة عندما تريد أن تبتعد ·· وقال ·· عندما أريد مقابلته أتصل به ·

●

نزلت من منزلنا فى الصباح ·· سرت قليلا الى محطة الاتوبيس مزدحمة ·· لا أطيق أجساد الناس متراكمة فى أتوبيس ·· أشعر باختناق ·· وقفت أبحث عن ســـــيارة أجرة ·· ووجدت سيارات مزدحمة بالعمال والموظفين تسير مهللة ·· يهتفون ·· ماذا فى هذا اليوم ·· ماذا يدور فى البلد ·· أى أحداث تعيش حولى وأنا لا أعيشها ·· لم أقرأ عناوين الجرائد فى الصـــــباح ·· قرأت أخبار الاجتماعات ·· ربما أجد خبرا عن مصطفى ·· لا أعرف ماذا يدور فى العالم ولا يهمنى أن أعرف ·· أعرف أن الشهر القادم بقى عليه أسبوعان ·· أعرف أن مصطفى سيأتى فى يوم من أيام الشهر القادم ·· وقرأت يافطة على احدى هذه السيارات المزدحمة بالعمال ·· عمال شركة النسيج بحلوان يرحبون بالضيف الكريم ·· من هو هذا الضيف الذى سيحضر الى بلدنا ويرحبون به ·· لا يهمنى أن أعرف ·· أنه ليس حبيبى الذى سيحضر اليوم ··

وجدت سيارة أجرة وشاورت لها ·· ذهبت الى الشـــركة ·· ووجدت حركة غير عادية · الموظفين مجتمعين فى بهو الشركة · ثم نظرت اليهم ·· ولم أسأل ما الذى حدث ·· وصعدت الى حجرتنا ·

عرفت أنهم سيخرجون ليستقبلوا الضيف الذى سيصل الى بلدنا ·· سألتنى نادية أن نذهب معهم ·· ومططت شفتى ·· أنه ليس حبيبى لماذا أذهب الى المطار لاستقباله ·· وسألتنى عفاف أن ننزل نتفرج على معروضات الدكاكين ·· ومططت شفتى ·· لا أريد أن أفعل شيئا ·· خرجوا من الشركة وعدت الى منزلى ·· سألتنى أمى لماذا عدت ·· هل أشعر بمرض ·· قلت لها ·· ذهبوا لاستقبال ضيف ·· وسألتنى لماذا لم أذهب معهم · ·مططت شفتى ولم أرد ··

ولم أستطع المكوث فى منزلى طول اليوم ·· نزلت بعد الظهر للفرجة على معروضات الدكاكين ·· أقف أمام كل فترينة أتفرج ·· لا أريد شيئا ·· لكن ليضيع الوقت ·· سرت فى الطريق ·· شعرت بعطش ·· كنت أسير بجوار جروبى سليمان مكان لقائى مع صلاح ·· ابتسمت وأنا أفتح الباب ··

دخلت الى المكان ، أبحث عن منضدة خالية ·· هناك واحدة صغيرة تنتظرنى ·· ذهبت اليها · طلبت «شاى» · ودارت عيناى فى المكان والتقت نظراتنا كأن عينى كانت تبحث عنه ووجدته ·· صلاح ·· يجلس وأمامه فتاة شقراء ·· وجهه تجاهى ·· لا أرى سوى ظهرها ·· حييته بايماءة من رأسى ·· حيانى وابتسم ·· وابتسمت ·· ربما كانت ابتسامتى ساخرة ·· نظرت الى شعر الفتاة الأصفر ·· تعقصه خلف رأسها ، مشابك الشعر التى وجدتها يوما على رف الحمام فى شقة صلاح لا تستعملها الا فتاة تعقص شـــعرها خلف رأسها ·· ارتبك يومها صلاح وأراد أن يقول شيئا رفضت أن أسمعه ·· هل هى حبيبته ·· هل كانت غائبة ·· هل كانت غاضبة ·· هل كان يفكر فيها وأنا أجلس معه ·· كما كنت أفكر فى مصطفى ·· ربما ·· لا أحد يعرف حقيقة ما يفكر فيه الشخص الذى يجلس معه ·· مهما قال له وحكى له عن أفكاره ·· مهما كانت علاقاتهما قوية عميقة متفاهمة ·· كل شخص له أفكار خاصة لا يعرفها الا هو ··

اين كانت هذه الفتاة طوال الشهور الماضـــية ·· هل كانت غاضبة ·· هل كانت مسافرة والصدف جعلتها تعود الآن ·· صلاح

يحدثها باهتمام ·· صلاح يبتسم ·· يرفع الطبق الذى أمامها ·· شعرت بغيظ من صلاح ··

من هذه الفتاة ·· ليس لىّ الحق أن أغار ·· أنا مجرد صديقة وضعت الحساب فوق المنضدة ·· خرجت ·· شعرت بنظرات صلاح على ظهرى ·· اضطربت خطواتى ·· شعرت بوحدة ·· عدت الى منزلى ·· والداى يتفرجان على التليفزيون ·· أخى فى بورسعيد حياته كلها هناك ·· يعمل ·· ويحب وشعرت بوحدة ·· وجلست فى فراشى أقرأ ·· كأن العالم لم يبق منه سوى كتاب ··

●

لماذا أنا حزينة ·· لماذا أجر قدماى ولا أريد أن أسير ·· مصطفى سيأتى ·· أخيرا سيعود ·· لابد أن أطير من الفرحة ·· اجرى ·· وأقول لكل الناس ·· ربما أخاف أن تصدم فرحتى بلقائه ·· أفكار كثيرة ·· لا أدرى ماذا سيكون ·· لم يرسل لى سوى مرة واحدة ·· لم يكتب عنوانه ·· لم أسأل عن عنوانه لأرسل له ·· كان يمكننى أن أسأل وأكتب له ·· لكنى لم أستطع ·· لا أدرى ماهو الشىء الذى منعنى ·· كبريائى ·· ربما ·· انقطعت الصلة بينى وبينه منذ ثلاث سنوات ·· كيف أريد أن أرجع هذه الصلة فجأة ·· لا أستطيع أن أنسى اننى أحببته يوما ·· وكان كل شىء فى حياتى ·· لم أنس أننى أحببته ·· ربما هذا الذى يجعلنى أحبه للآن ·· لا أدرى شيئا ·· الغد ·· لا أستطيع أن أراه واضحا ·· الألوان ملخبطة ·· الألوان باهتة ·· ألوان الغد باهتة ··

اشتريت حذاء ·· اشتريت حقيبة · اشتريت «فستان» · لونه أخضر ·· مصطفى يحب اللون الأخضر ·· قلت للترزى اننى أريد أن أستلم الفستان أول الشهر ·· قال مستحيل ·· بعد عشرة أيام · سأدفع لك ما تريد ·· أريده لمناسبة ··

●

ارتسمت على ملامح شكرى جدية مفاجئة وهو يدعونا الى اجتماع مع رئيس القسم ·· تبادلنا النظرات ·· ولم ينتظر شكرى ليسمع التعليقات ·· وسبقنا الى حجرة رئيس القسم ·· وجدناه يجلس بجانبه ويتحدث بهمس ··

قال شكرى : احنا عايزين نعمل نشاط خارجى للمجلة يعنى متبقاش المواضيع كلها عن الشركة والموظفين ·· وبعد كده نقدر نمشى فى مشروع بيعها فى السوق ··

وضحكت عفاف ··

قالت : اذا كان الناس اللى بياخدوها ببلاش مش بيقروها ··

قالت دلال : ليه منجربش ··

قالت نادية : أنا أعمل أحاديث مع كبار الكتاب ··

قلت : ونبيع المجلة بكام ··

قال محسن : بقرش صاغ ··

قال شكرى : بلاش هزار ··

وابتسم رئيس القسم : قال ··

– نسيب المشروع ده نفكر فيه بعدين ·· عايزين نتكلم عن نشاط القسم الشهر الجاى ··

قالت عفاف : لسه بدرى على الشهر الجاى ··

قال رئيس القسم : أنا حقوم بأجازة ·· وشكرى حيقوم بالعمل ·· وعايزين نتفق من دلوقت عن النشاط اللى حتعملوه ··

تبادلنا النظرات ·· وشكرى ينظر الينا بانتصار ·· بابتسام ·

قالت عفاف : شكرى بينفذ العمل كويس ·· لكن مش بيقدر يديره ··

نظراليها شكرى بضيق وقال :

– وأنت تعرفى تديرى العمل ٠٠

قالت عفاف : أنا ٠٠ ممكن طبعا ٠٠

قال شكرى : ومحسن مينفعش ٠٠

قالت نادية : هو يعنى المهم يكون راجل اللى يدير القسم ٠٠

قال رئيس القسم : أنا اخترت شكرى ٠٠ مفيش داعى للخناق

قال محسن : حضرتك كل سنة بتختار شكرى ٠٠

قال رئيس القسم : أنا بعتبر شكرى وكيل القسم ٠٠

قالت عفاف : حاجة جديدة ٠٠ لكن مش رسمية ٠٠

قال شكرى بتحد : بكره تبقى رسمية ٠٠

قال محسن : بكره التلات ٠٠

قالت دلال : على العموم لغاية لما تبقى رسمية ٠٠ حضرتك تختار حد تانى السنة ده ٠٠

وفكر رئيس القسم ٠٠ اننا ربما نتشاجر ولا نعمل ٠٠ ولمصلحة العمل ٠٠ ولسمعة القسم ٠٠ لابد أن يتنازل عن قراره ٠٠

قال : حد معترض أن عفاف تقوم بالعمل ٠٠

قال شكرى :أنا مشتغلش مع عفاف ٠٠

قلت : أحسن أن القسم كله ياخذ أجازة ٠٠

قال محسن : ونكتب على باب القسم ٠٠ مغلق للتحسينات ٠٠

قال رئيس القسم : بلاش تريقة ٠٠ عايزين نفض الاشكال ٠

قالت دلال : كل واحد فينا يقوم بالعمل اللى بيعمله من غير رياســـــات ٠٠

قال رئيس القسم : لازم يكون واحد مسئول عن كل العمل ٠٠

قالت دلال : خلاص تبقى عفاف ٠٠

قال رئيس القسم : فيه حد معترض غير شكرى على عفاف ٠٠ لم يتحدث أحد ٠٠ لكن ليس عن اقتناع بعفاف ٠٠

قال رئيس القسم : معلهش ياشـــكرى ٠٠ السنة دى نجرب الســـــتات ٠٠

قال شكرى : أنا حقوم باجازة ٠٠

قال رئيس القسم : مين تانى حيقوم باجازة ٠٠

قالت دلال : أنا حقوم بيها من نص الشهر الجاى ٠٠

قال رئيس القسم : على العموم ياعفاف ٠٠ نظمى الاجازات ٠٠

انتهى الاجتماع ٠٠ خرجنا من الحجرة ٠٠ شكرى يكاد الضيق يقتله ٠٠ وعفاف ستطير من الانتصار ٠٠ أخذت شيئا جديدا من الحياة ٠٠ شيئا لا تريده ٠٠ فهى لا تحب مسئوليات العمل ٠٠ هنأتها بسخرية على انتصارها ٠٠ وقالت لى برقة لا تتحدث بها الا اذا كانت تريد شيئا ٠٠ قالت لى هامسة أنها تريد مساعدتى ٠٠ تريدنى الا آخذ أجازة فى هذه الفترة لأنها تشك فى مساعدة الآخرين ٠٠ ووافقت لأنى لا أستطيع أن آخذ أجازة وأمضيها فى انتظار مصطفى ٠٠ لابد أن أنشغل فى شىء ٠٠ وليكن هذا الشىء هو مساعدة عفاف ٠٠

كنت أقف معها بجوار مكتبها ودق جرس التليفون لم التفت اليه وسرت الى مكتبى ٠٠ توقفت خطواتى وعفاف تنادينى ٠٠ وضـــعت السماعة على المكتب وهى تقول هامسة صلاح ٠٠ ماذا يريد ٠٠ سألته عن صحته ٠٠ سألته عن أخباره قال انه يريد أن يقابلنى ليقول شـــيئا ٠٠ اعتذرت ٠ ٠قال أنه يريد أن يقول لى شيئا هاما ٠٠ وسمعتنى عفاف وأنا أقول له الساعة السابعة فى جروبى ٠٠

وهمست لى بنصيحة لانفذها ٠٠ أن أعلن خطوبتى لصلاح قبل أن يعود مصطفى ٠٠ فهذه هى أحسن طريقة للانتقام منه ٠٠ حتى أقتل غروره ٠٠ وابتسمت لنصيحتها ٠٠ أنها لا تعرف شيئا ٠٠

●

كانت خطواتى مضطربة ·· ووقف يستقبلنى ·· جلست امامه صامتة ·· أشعل سيجارة ونسى أن يقدم لى واحدة ·· جلس امامى صامتا ·· يعد الكلام الهام فى رأسه الذى يريدنى أن اسمعه ·· قدم لى سيجارة ·· رفضتها شاكرة ·· هل أبدأ الحديث ·· هو الذى يريد أن يتحدث ·· قلت له أن رئيس قسمنا قام باجازة وعفاف تولت عنه العمل ·· شعرت اننى قلت شيئا سخيفا ·· لكننى أردت أن أقول أى شىء ··

نظر صلاح الى وقال وهو ينظر الى السيجارة فى يده ··

– من زمان ·· وأنا عايز أحكى لك عن البنت اللى شفتيها معايا ·· لكن كنت « متردد » ·· أنا أعرفها من سنتين ··

قلت مقاطعة : صلاح ·· بلاش تحكى ·· انت بتحبها ·

هز رأسه موافقا ··

قال : فى الفترة اللى عرفتك فيها · كانت فيه ظروف ··

قلت مقاطعة : صلاح بلاش تحكى ··

نظرت الى كوب الماء ·· نظرت الى المنضدة المجاورة مرت فترة صمت ·· شعر باصرارى على عدم الاستماع الى حكايته ··

قال : ممكن نفضل صحاب ··

– مش عارفة ··

نظرت الى الوجوه حولى ·· ضاحكة ·· هامسة ·· منهمكة فى مناقشة ·· مختفية وراء جريدة ·· شعرت بوحدة ··

قال : أنا حاسافر الاسماعيلية فى أجازة عند أهلى ·· لما أرجع حكلمك ··

وتحدث عن الاسماعيلية ·· بلده التى ولد فيها وعاش فيها

سنين طفولته وصباه ·· وسألنى اذا كنت ذهبت هناك ·· قلت له : مرة واحدة ·· نظرت فى ساعتى ··

وقلت له أننى على موعد مع صديقة ·· وعدت الى منزلى ·· وجدت أمى تجلس وحدها امام التليفزيون ·· وقالت أنها ستطلق البخور فى البيت لأنى هذه الأيام أعود مبكرة ·· قالت انها تتمنى هذا اليوم الذى احضر فيه لزيارتها بصحبة زوج ·· قالت انها تريد أن يتزوج أخى ·· قالت انها تتمنى أن ترى أحفادها ·· قالت أن أعد لها العشاء معى لأن أبى سيتناول عشاءه عند أخيه ··

أحضرت العشاء ·· أمى تأكل وتتفرج على فيلم ·· بلعت طعامى ·· وذهبت الى حجرتى ·· وقفت فى النافذة ·· نظرت الى هذا الجزء الصغير الذى أراه من كورنيش النيل ·· سيارات تجرى ·· الى أين تحمل راكبيها ·· الى سهرات ·· الى بيوتهم ·· أنا وحيدة هنا ·· صلاح ·· لماذا لم اتركه يحكى لى قصته ·· هذه الظروف التى عرفنى فيها ·· لاداعى أن يحكيها ·· أنا أيضا عرفته فى ظروف لاداعى أن أحكيها له ·· يكفى أنه كان صحبة حلوة ·· لأيام ·· لشهور ··

صلاح كان يحب هذه الفتاة التى رأيتها معه ·· ربما لذلك لم يحاول أن يقبلنى ·· وأنا معه فى شقته ·· مصطفى كان يحبنى ومع ذلك كان يستطيع أن يقبل أخرى ·· و ·· متى تنتهى كل الأيام الباقية على موعد وصول مصطفى ··

●

قام شكرى بأجازته السنوية ·· ودلال طلب منها زوجها أن تقدم موعد أجازتها ليسافرا معا ·· وطلبت عفاف من نادية الا تطلب أجازتها الآن ·· حتى اذا قام محسن بأجازته نستطيع نحن الثلاثة القيام بأعمال القسم ·· عفاف ·· نادية ·· وأنا ·· حتى نبرهن لهم أن الآنســـات والسيدات يمكنهن القيام بأعمال القسم ·· دون مساعدة رجل ·· واهتممت بكلامها ··

اهتممت بالعمل لأساعدها ·· حتى لا يقولون أن القسم فشل عندما ادارته امرأة ·· لاساعد نفسى ، فانشغالى بالعمل يحد من تفكيرى فى عودة مصطفى ·· سألتنى نادية ·· لماذا لم اطلب أنا أن أكون مسئولة عن القسم لأن عفاف تحركها العقد وقلت لها ·· لا يهم ·· المهم أن نثبت أننا نستطيع أن نقوم بالعمل وحدنا ·· لنتحدى شكرى ··

وطلب محسن اجازة لارتباطه برحلة مع شركة أخرى ·· وبقينا فى الحجرة الكبيرة نحن الثلاثة ·· عفاف ·· نادية ·· وأنا ·· وزاد ارتباطنا فى هذه الفترة ·· تماما كما كنا مرتبطات فى أول عملنا ·· ووجدت عفاف أنه لاداعى لتنقدنا فى تصرفاتنا الخاصة أو فى عملنا ·· وأصبح تفكيرها كله كيف نقوم بالعمل ·· كانت تشكرنا من حين لآخر ·· ونتعجب من هذا الشعور الجديد ·· أو هذه الحالة الجديدة التى اعترت عفاف ·· فهى من زمن بعيد ·· لم توجه كلمة شكر لأحد ··

قالت لى نادية ·· ان هذه الحالة التى اعترت « عفاف » لانها محتاجة الينا ·· وعندما تنتهى فترة انهماكها ·· واحتياجها ·· ستعود كما كانت لابد ان الاهتمام يغير نظرة الانسان للاشياء ··

اننا عندما نهتم بشىء ·· خصوصا بعملنا ·· لانجد وقتا للتفكير فى التفاهات ··

وسألتنا عفاف ان نعد مواد المجلة ·· وأن نصدرها فى موعدها ·· قال لنا رئيس القسم ·· لاداعى لصدور المجلة الشهر القادم ·· مادمنا اصدرناها فى هذا الشهر ·· ومادمنا تعودنا على أن نصدر المجلة كل شهر أو كل شهرين ·· بلا موعد محدد ·· تحمست نادية للفكرة ·· أن نصدر المجلة ونتفق بعد ذلك مع رئيس القسم على أن نصدرها كل شهر ولا نجعلها تتخلف شهرا ·· قالت عفاف أن صدور المجلة فى موعدها أهم شىء لاثبات وجودنا ·· ومقدرتنا على العمل ··

وانهمكنا فى اعداد مواد المحلة ‥ وشغلنى هذا الاعداد ‥ انهمكت فيه ‥ لكنى كل يوم ‥ أقطع ورقة النتيجة ‥ وسألت ناهد بقلق ‥ مرت عشرة أيام من هذا الشـــهر ولم يعد مصطفى ‥ وقالت لى بعدم اقتناع ‥ انها ستخبرنى قبل أن يصــــل ‥ لأن « سعيد » سيعرف من الشركة التى يعمل بها ‥

●

جاءت ناهد الى حجرتنا وقالت : مصطفى سيصل غدا ‥ لم تعلق عفاف على الخبر ‥ نظرت الى وهزت رأسها ‥ وانفرجت شفتا نادية لتقول شيئا ‥ لكنها عدلت ‥ وسألتنى عفاف أن أذهب معها الى المطبعة التى نطبع فيها المجلة ‥ ونظرت الى نادية ، كان المفروض أن تذهب هى ‥ وأبقى أنا ‥ شجعتنى نادية على الذهاب ‥ وقالت أنها ستلحق بنا بعد انتهاء العمل اذا تأخرنا هناك ‥

سرت بجوار عفاف صامتة ‥ شعرت بعاطفة حب لها أردت أن أشكرها لأنها فكرت بسرعة كيف تشغل وقتى ‥ وأفكارى فى هذه الساعات ‥ وانشغلت بضجة الآلات وقراءة الصفحات المطبوعة وتصحيحها ‥ ولم أشعر بالوقت الى أن وجدت نادية وعرفت أن وقت انتهاء العمل مضى ‥ وبقينا فترة ، الى أن اطمأنت عفاف ‥ أن المجلة ستصدر غدا ‥ وسألتنا أن نذهب معها لتناول الغذاء ‥ مهما كانت عفاف رقيقة هذه الأيام ‥ مهما كان اهتمامها بى هذه الفترة ‥ فأنا لا أريد أن أتحدث ‥ أو يسألونى ‥ أو أسألهم ‥ ماذا سأفعل غدا ‥

ذهبت الى منزلى ‥ وجدت أمى تنتظرنى فى حجرة الطعام ، قالت لى أن أبى لم يستطع أن ينتظرنى ليسلم على قبل أن يسافر الى أخى فى بورسعيد ‥ جلست ‥ ابلع الطعام ‥ ذهبت الى حجرتى ‥ خلعت ملابسى استلقيت ‥

لا أستطيع أن أغمض عينى ‥ تنظران الى سقف الحجرة ، السقف لونه أبيض ‥ بعض البياض متساقط ‥ نظرت الى النافذة

.. مغلقة .. قمت من الفراش .. فتحت النافذة .. جلست على مقعد بجانبها . وفتحت مجلة مصورة ، اتفرج على الصور .. لا أستطيع أن أقرأ شيئا .. حتى الكلمات تحت الصور ، تركت المجلة .. أخذت حماما .. غسلت شعرى .. مع انى غسلته وصففته منذ يومين ..

جاءت أمى الى حجرتى .. قالت لى أنها ستذهب الى احدى الجارات واذا كنت سأخرج أقفل الباب بالمفتاح ..

ارتديت ملابسى .. وخرجت .. ذهبت الى الكوافير ليصفف شعرى .. غدا سيأتى مصطفى ..خرجت من محل الكوافير .. الساعة السابعة .. الوقت لا يمر ، ركبت الاتوبيس .. نزلت وسط المدينة ..

سرت فى الطريق اتفرج على معروضات الدكاكين .. دخلت محل لعصير الفاكهة .. وقفت وسط وناس ، اشتريت كوب عصير . ووقف رجل بالبيانولا أمام محل العصير .. وابتدأ يدير اللحن ، هذا اللحن القديم .. يامصـــطفى .. يامصـــطفى .. انا بحبك يامصطفى .. خفق قلبى .. ابتسمت للرجل الذى يدير اللحن .. لم يبادلنى الابتسامة .. وجهه حزين .. متعب .. شربت العصير ببطء .. حتى لا أنتهى منه قبل أن ينتهى هذا اللحن القديم .. كانت عنده اسطوانة بهذا اللحن بالرغم من أنه لا يملك جهازا للاسطوانات وعندما كان مصطفى يسمع هذا اللحن فى مكان وأكون معه .. كنت ألاحظ نشوته ، كأن الذى وضع الكلام والموسيقى وضعهما من أجله هو .. من أجل مصطفى عبد الرسول .. وليس من أجل أى مصطفى آخر .. كان مغرورا .. هل مازال مصابا بهذا الغرور .. هل زاد .. هل نقص ..

مازال الرجل يعمل مجهودا ليدير هذا اللحن القديم .. لم أعد أسمعه الا من البيانولا .. خرجت من الدكان .. نظرت الى وجه الرجل الحزين وهو يدير اللحن وأعطيته بعض النقود .. وانفرجت شفتاه .. لابد أنها كانت ابتسامة ..

وعدت الى منزلى ٠٠ أمى تجلس أمام التليفزيون ٠٠ قالت لى ٠٠ ناهد سألت عنى ٠٠ جريت الى التليفون طلبتها ، قالت لى أن طائرة مصطفى ستصل فى الصباح الساعة العاشرة ٠٠ قالت انها قررت مع زوجها أن يعزماه غدا لتناول العشاء فى منزلهما ٠٠ قالت لابد أن اذهب ترددت ٠٠ قالت انهما سيعزمان مجموعة صغيرة من أصدقاء مصطفى وزوجاتهم ٠٠ قالت أننى سوف لا أكون وحدى ٠٠ قالت حتى يكون أول لقاء بيننا طبيعيا ٠٠ وافقت ٠٠ وشكرتها ٠٠

جلست أمام التليفزيون ذهبت أمى الى حجرتها لتنام ٠٠ أخذت الراديو الى حجرتى ٠٠ وضعته بجانب فراشى أبحث بين المحطات عن موسيقى هادئة ٠٠ جلست فى فراشى ٠٠ فتحت كتابا ، قرأت ، لا أدرى أى شىء أقرؤه ٠٠ كلمات ٠٠ كلمات ٠٠ أقرؤها ٠٠ أقفلت الكتاب ٠٠ بحثت بين المحطات عن موسيقى هادئة ٠٠ الساعة الواحدة صباحا ٠٠ لابد أن انام ٠٠ حتى أستطيع مواجهة الغد وأعصابى قوية ٠٠ اطفأت النور ، والراديو ٠٠ صوت كلب بعيد ينبح ٠٠ أصوات كلاب كثيرة تنبح ٠٠ أصوات النباح تبتعد صمتت فجأة ٠٠ صوت خطوات فى الطريق ٠ صوت حذاء ثقيل ٠٠ وضعت الوسادة فوق رأسى ٠

●

استيقظت على صوت أول عصفورة ٠٠ الأشجار كثيرة فى هذا الحى ٠٠ مصطفى سيأتى اليوم ٠٠ سأقابله فى المساء ٠٠ كيف سيكون أول لقاء ٠٠ لا أستطيع أن أتذكر وجهه بوضوح ٠٠ ماذا لو حدث شىء للطائرة ، اقرأ كثيرا عن حوادث الطائرات ٠٠ وهززت رأسى لانفض عنها هذا الخاطر ٠٠ فوق أى أرض تحلق الطائرة الآن ٠٠ ياسماء احرسيها ٠٠ أريد أن أراه ٠٠ فى أى شىء يفكر مصطفى الآن ٠٠ لابد أن الانسان تعتريه مشاعر كثيرة وهو عائد الى وطنه بعد سنين طويلة من الغياب ٠٠ هل يفكر فى أهله ٠٠ هل يفكر فى أصدقائه ٠٠ هل يفكر فى عمله ٠٠ هل يفكر فى نفسه ٠٠ هل يفكر فى ٠٠ وابتسمت لهذا الخاطر ٠٠

أصوات العصافير ملأت المكان ، صوت يتبعه صوت · يتبعه صوت فى أى شىء يفكر مصطفى الآن · هل تذكرنى لأنه عائد الى البلد التى أعيش فيها ·· هل تذكرنى لأننا فى هذه البلد أمضينا معا سنتين ·· هل يذكر شيئا أو يوما من تلك الأيام ·· هل يعرف أننى أعيش على ذكرى هاتين السنتين ·· ثلاث سنوات ·· وسالت دموعى هادئة من عينى وسمعت صوتها وهى تسقط على الوسادة ·· نقطة ·· نقطة ·· سوف لا أدع دموعى تخوننى أمامه ·· سوف لا أدع دموعى تخوننى أمام أى انسان ·· اليوم سأراه ·· وسط الناس ·· غدا سألقاه وحدى لأثور فى وجهه ·· لأعاتبه لألعنه ·· لأقول له أننى لم أستطع أن أعيش بدونه لأقول له ·· لم أستطع أن أعيش حياتى طبيعية ··

ماذا لو عاد ومعه امرأة ، زوجة مثلا ·· لا ·· لا ·· أظن لو كان تزوج لانتشر الخبر · لقالت لى عنه ناهد من زمن ··

هل صورتى تلاشت من ذاكرته ·· ربما ·· وربما لا ·· آخر صورة رآنى فيها كانت قبيحة ·· باكية ·· بلا كبرياء ·· سالت دموعى من عينى ·· وسمعت صوتها وهى تسقط على الوسادة ·· نقطة ·· نقطة ··

جلست فى فراشى ·· مسحت دموعى · رفعت مشابك شعرى ·· دق جرس المنبه ·· الساعة السابعة ·· الساعة السابعة ·· وضعت يدى فوقه لأسكت صراخه ·· فتحت النافذة ، نظرت الى السماء ·· فوق أى أرض تحلق الطائرة الآن ·· ذهبت الى المرآة ، عيناى متعكرة باحمرار ·· تحتهما هالتان خفيفتان من السواد ·· من السهر ·· من القلق ·· وبين خصلات شعرى الأسود ·· شعرة بيضاء ·· هل تغير وجهى ·· جسدى كما هو ·· ربما زدت فى الوزن قليلا ، مجرد زيادة بسيطة ··

●

الحجرة الكبيرة خالية ·· ستة مكاتب تقف وحيدة لا يشغلها أحد ·· نظرت فى ساعتى ·· جئت مبكرة ·· جاء الساعى يسألنى

اذا كنت أريد شيئا ‥ قهوة ، فتحت درج مكتبى ‥ لا أستطيع أن أفعل شيئا ٠ ذهبت الى التليفون ٠ طلبت « ناهد » ٠ لم تحضر بعد ‥ ذهبت الى النافذة ‥ نظرت الى السماء ‥ جاءت نادية ‥ جاءت عفاف ‥ الوقت يمر بطيئا ‥ ومن حين لآخر أنظر فى ساعتى ويزداد اضطرابى ‥

ذهبت الى ناهد ‥ جلست بجانبها وهى تعمل ‥ رحبت بزيارتى سعدية ٠ اقتربت منى لتبدأ فى مناقشة ما ‥ قلت لها ‥ أرجوها أن تدعنى اليوم لأنى متعبة ‥ وضعت يدها فوق جبهتى وابتسمت ‥

ناهد سيطلبها زوجها عندما يصل مصطفى ‥ طلبت منها هذا الطلب ‥ وطلبت هى من زوجها أن يطلبها لا لشىء الا لتطمئن عليه ‥ ليقول لها اذا كان سيبقى مع مصطفى أم سيعود الى بيتها وقت الغداء ‥

الساعة العاشرة ‥ وصلت الطائرة ‥ طلبتنى عفاف لأذهب الى حجرتنا ٠ لأقابل رجلا يريد اعلانا ‥ محسن وأنا نتولى هذا العمل ذهبت الى حجرتنا ، جلست أمام الرجل ‥ قلت له عن شروط الاعلان ولم أناقشه فى طلبه ‥ الساعة العاشرة والنصف ‥ دق جرس التليفون على مكتب عفاف ‥ نادتنى وجريت اليه ‥ صوت ناهد ‥ مصطفى وصل ٠ وتنهدت بارتياح ‥ وقلت هامسة ‥ مصطفى وصل ‥ تركت نادية مكتبها وجاءت الى ‥ نظرت الى متسائلة ‥ هزت عفاف رأسها ‥ تركتهما وعدت الى مكتبى ‥ لا أريد أسئلة ‥ لا أستطيع أن أرد على الأسئلة ‥ وجدت الرجل ينظر الينا متعجبا ‥ هل تريد أن تسأل أنت أيضا ‥ وسألته أن يعود غدا ‥

●

ارتديت فستانى الأخضر ‥ مصطفى يحب اللون الاخضر ‥ علقته فى دولابى الى أن تأتى هذه المناسبة ‥ وضعت مكياجا ثقيلا

على وجهى ·· لابد أن أبدو جميلة هذا المساء ·· لابد أن أزيل من ذاكرته تلك الصورة القبيحة التى رآنى فيها آخر مرة ··

أنا ذاهبة الآن لأرى حبيبى ·· هو لا يعرف أنه سيرانى ·· ليس بيننا موعد ·· أنا وحدى المتشوقة لرؤيته ·· أنا وحدى أنتظرت هذه اللحظة ، ولمعت فى عينى دموع ·· بلعتها حتى لا تتلف الخط الأسود حولهما ·· جلست دقيقة أفكر ألا أذهب ·· وركبت سيارة أجرة لتحملنى الى هذا اللقاء ··

نظرت فى مرآة المصعد ·· تثلجت أطرافى وأنا افتح بابه ارتعشت خطواتى وأنا أسير الى شقة ناهد ·· توقفت ·· عدت خطوتين ونزل المصعد قبل أن أصل اليه ·· ذهبت الى الباب ·· وضعت يدى على الجرس ·· وانفتح الباب ··

ـ أهلا أميرة ··

دارت عيناى بين الموجودين ·· ثلاثة رجال وزوجة ·· وسلمت على ناهد وهى تتصنع دهشة ·· كانى حضرت بلا موعد ·· ربما لتخفى عن هذه الوجوه شيئا ، عرفتنى بهم ·· أعرف وجهين منهم · جلست صامتة ، محرجة ·· ليس لى مكان بينهم ذهبت ناهد الى المطبخ ·· لا تتركينى وحدى ·· ذهبت خلفها ·· سألتنى أن أعد معها المائدة ·· ودق جرس الباب ·· وتعالت الأصوات ·· مرحبة بالعائد ·· ذهبت ناهد الى باب الحجرة ، أشارت لى أن أذهب معها ·· لا أستطيع ياصديقتى ·· خذونى الى أقرب مستشفى ·· وجذبتنى من يدى ·· سرت متأخرة عنها ··

هاهو يقف بينهم ·· يسلم ، يضحك ·· يحتضن اصدقاءه لأرتمى على صدره ·· لأتعلق فى رقبته ، وتسمرت فى مكانى ·· لا أريد أن أفعل شيئا ·· التفت الى ·· نظر بدهشة كأنه تذكر شيئا ·· تقدم الى ·· مد الى يده ·· يدى بين يديه · يديه حول كتفى ·· تهزنى ··

قال : أميرة ·· أزيك ··

— حمدلله على السلامة ..

جلست بعيدة عنه .. تحدث أحد الوجوه عن عمله .. تحدث آخر عن شركتهم .. استمع مصطفى باهتمام .. سألوه لماذا لم يرسل لهم كثيرا .. سألوه أن يحكي ماذا فعل في أمريكا .. وكل لحظة أبدل في وضع ساقي فوق الأخرى .. وشعور الحرج لا يتركني ..

جلسنا حول مائدة العشاء .. جلس في الجهة المقابلة ! .. وجهه أمام وجهي .. سألني عن عملي ، سألني عن أخباري اكتفيت برد بسيط .. سأله صديق عن مغامراته العاطفية هناك .. ابتسم مصطفى وخفت أن يحكي .. غيرت ناهد السؤال وسألته أن يحكي عن فن البناء الذي تعلمه .. أريد أن يختفي كل الموجودين .. ونبقى وحدنا نحكي ..

وتحدثوا عن المشاريع التي تمت في غيابه ..

تركنا المائدة .. جلست بجانبي الزوجة .. قدم لي سـعيد سيجارة وأشعلها .. نظر الى مصطفى ولم يبد أي دهشة مع أن هذه أول مرة يرى في يدي سيجارة .. أبدت السيدة اعجابها بفستاني الأخضر ، سألتني عن الترزي .. انشغلت بالحديث معها .. لم أحضر هنا لاحدثك أنت .. نظرت في ساعتي .. الوقت يتأخر .. سألتني الزوجة أين أسكن .. قالت لي أنني في طريقها وستوصلني .. نظرت الى مصطفى وجدته يتحدث مع سعيد .. قالت السيدة لزوجها .. الوقت تأخر .. نظر في ساعته ووقفنا .. اردت أن أسأل مصطفى .. متى أراه .. لم أستطع .. الأصدقاء حوله .. سلمت عليهم .. وقال مصطفى أنه سينزل معنا .. قالت السيدة لزوجها انهما سيوصلاني .. وسأل الرجل مصطفى أن يوصله .. ركبنا نحن الأربعة سيارة أجرة .. قلت للسائق على عنواني ..

نزلت أمام باب منزلي ، شكرتهم .. نزل مصطفى والرجل الآخر ليسلما على .. نظر مصطفى الى المنزل ..

قال : انت لسه ساكنة هنا ؟ ..

— مفيش حاجة اتغيرت في حياتي ..

جلست فى حجرتى صامتة ·· مذهولة ·· هل هذه الليلة التى انتظرتها منذ سنين ·· جاءت ·· مضت ·· وكنت طول الوقت محرجة ·· كأنى حقيقة ذهبت الى ناهد بلا موعد ·· ووجـــدت مجموعة لا أعرفهم ·· عزمتهم ناهد لتناول العشاء ولم تعزمنى ·· واضطرت أن تلح على لأبقى معهم ، فجلست طول الوقت محرجة ··

●

ـ مصطفى ·· أنا أميرة ··

فوجئ بصوتى ·· لابدأنه تعجب لأنى مازلت أحفظ أرقام الشركة أو لأنى طلبته أول يوم يذهب الى عمله · ·سألته عن صحته ·· سألته أن يقابلنى ، وقال نتناول الغداء معا ·· فى هذا المطعم القديم الذى ضم أياما من سنين لقائنا ··

·· دارت عيناى فى المكان ·· مصطفى لم يحضر ، وجلست أنتظره ·· شعرت بغصة فى قلبى ·· هل سيبدأ فى حركاته السخيفة ·· تأخر ، جاء ··

نحن الآن وحدنا ·· وطلب من الجرسون أن يحضر له أكل مصرى ·· قال أنه افتقد الأكل المصرى ، ألم تفتقدنى ·· سأحكى له أثناء تناولنا الطعام ، سأحكى له عن هذه السنوات ·· سأعاتبه ··

قال أنهم رحبوا بعودته فى الشركة ·· قال انه استفاد من بعثته ·· قال فى رأسه مشاريع ومشاريع سينفذها ·· لابد أنه يردد هذا الكلام منذ الصباح ، لرؤسائه ·· لزملائه ، لأهله ··

اننا نجلس مثل صديقين ، كانا صديقين أيام الدراسة ·· وافترقا فى حياة العمل ، وانشغل كل واحد بمستقبله وحياته الخاصة وتقابلا صدفة ·· ومرور السنين صنع بينهما حاجزا ·· لايدرى أحد عن الآخر شيئا ·· لا يربطهما سوى ذكرى صداقة قديمة ·· وهم عادة يتحدثون عن الذكريات القديمة ·· لكن مصطفى لا يذكر شيئا ·· أو يتحاشى أن يذكر ··

وجاء الجرسون ٠٠ رفع أطباق الطعام ٠٠

سأحكى له ٠٠ أثناء تناولنا الحلوى ٠٠ سأذكره ، سأعاتبه سأثور فى وجهه ٠٠ وسألنى عن عملى ، قلت له اننى فى الفترة الأخيرة قمت بأعمال كثيرة لأن نصف القسم فى أجازة ، وقال كلمات مشجعة لأنى أهتم بعملى ، سأقول له أننى لم أهتم بعملى ثلاث سنوات الا فى هذه الفترة ٠٠ سأحكى له عن قلق السنوات التى مضيتها وحدى ، وجاء الجرسون ٠٠ رفع أطباق الحلوى ٠٠

سأحكى له أثناء تناولها القهوة وأنا أدخن سـيجارة ، ربما تساعدنى على أن أحكى ٠٠ وسألنى مصطفى عن صديقاتى ، حدثته عنهن ٠٠

وجاء الجرسون ٠٠ رفع فناجين القهوة ٠٠ ولم أحك له شيئا ، ربما مازلت أشعر بحرج ، ربما لأنه مازال غريبا ، صورته فى عينى طوال السنوات ٠٠ أسمه أردده قبل أن أنام ، ذكرى الأيام لا تغيب عن ذاكرتى ٠٠ هو أمامى الآن ٠٠ لكنى أشعر أنه غريب ٠٠

قال : زميلى سلمنى مفتاح شقتى النهاردة ٠٠ وقال لى انها عايزة توضيب ٠٠

– شفتها ٠٠

– لسه ٠٠

– تحب أوضبها معاك ٠٠

– تبقى هايلة ٠٠

خرجنا من المطعم ٠٠ سرنا فى الطريق – بعض الوجوه تنظر الينا ٠٠ لماذا تنظرون ببلاهة ٠٠ أو فضول ، هو مصطفى ، أنا ، أميرة ٠٠ بعد ثلاث سنوات التقينا ٠٠ قصة عادية ، ما الذى يلفت نظركم الينا ٠٠

هذا الشارع القديم ، هذه العمارة الكبيرة ، خفق قلبى باضطراب وهو يفتح باب الشقة ، هذه الشقة القديمة ٠٠ ترك فيها صديقه بعض

المقاعد ، وكنبة كبيرة ، ومنضدة صغيرة ، وانقبض قلبى ·· وأنا أتذكر تلك الليلة البعيدة ·· وأنا أبكى ، وأنا أصرخ ·· وهو يجلس فوق حقيبة ليقفلها ، وأنا أتعلق فى رقبته وأقول له لا تتركنى ·· شعر بانقباض ، لا أريد أن أتذكر تلك الليلة ··

قال مصطفى ، سيشترى هذه المقاعد من صاحبها ·· قال أنه سيوضب الشقة · هنا يضع الكنبة ، هنا سيشترى «دولاب» سيحضر ملابسه غدا ، لا يستطيع أن يمكث أكثر من ليلة عند أهله ·· تعود أن يسكن وحده ··

التراب كثير فى الشقة ، بحثت عن أدوات تنظيف لم أجد شيئا ·· قال ننظفها يوما آخر ـ وذهب الى حجرة النوم استلقى فوق الفراش وقال أنه متعب ·· مد يده يدعونى لأجلس بجانبه ·· جلست على طرف الفراش ·· سألنى أن أحكى له عن أخبارى ··

نظرت اليه ، من أين أبدأ ، أريد أن أحكى عن أشياء كثيرة ·· وأعاتبه وأثور فى وجهه ·· من أين أبدأ ، لا أجد الكلام ·· أين هذه الكلمات التى أعدها من يوم أن أسافر لأقولها له عندما يعود ··

جلست صامتة ·· كلما انفرجت شفتى لتقول شيئا ، لا تجد كلمة ·· وجذبنى اليه ·· ربما قبلته تشجعنى على الكلام ، ربما تزيل شعورى بالغربة ، والتقت الشفاه ·· شعرت برجفة فى جسدى شفتاه باردتان لا أعرف هاتين الشفتين · ·وابتعدت ، نظرت الى وجهه ·· الى شفتيه ، وقلت له ، سأتركه لينام ·

وذهبت الى حجرة أخرى ، هذه المنضدة المرتفعة كنت أقف بجانبها وهو يعمل ، كنت أقبله لاسكت صراخه عندما يثور على عمله ·· وكان يقبلنى ، فوق هذه المقاعد كنا نجلس · ·ونتحدث ما الذى حدث لى ، ما الذى حدث له ، ربما لشعورنا أننا غريبان ··

عندما نتقابل كل يوم ، سيزول هذا الشعور بالغربة ، سنتحدث سأحكى له عن أخبارى فى هذه السنوات ، سأعاتبه ·· سأثور فى وجهه ··

جاء مصطفى الى الحجرة ، سألنى أن أنقل معه المنضدة من هذا الجانب الى الجانب الآخر ، ووضعنا المقعدين مكانها ·· قال أنه سيذهب الى منزل العائلة ليحضـــر حقائبه ·· قلت سأحضر غدا لأنظف الشقة ، شكرنى وقال سيسأل البواب لينظفها ·· وسألنى أن أحضر لأوضب معه الأشياء التى سيحضرها ·· قلت له سأحضر بعد انتهاء عملى ··

نزلنا ، سألنى أين سأذهب ·· المنزل ، وقال أنه أيضا سيذهب الى منزله ·· كل واحد منزله فى اتجاه عكس الآخر ، سرت فى الطريق ··

نظرت الى الخلف ، رأيت ظهره وشعرت بغصة فى قلبى ··

●

نزلت مسرعة بعد انتهاء عملى ، اشتريت أدوات تنظيف ·· وركبت سيارة أجرة ، قلت للسائق على العنوان . وشعرت باضطراب ·· ربما ينسى أننى ذاهبة اليه ولا يذهب الى الشقة ، واقف ببلاهة أمام الباب أحمل أدوات التنظيف ·· لا أستطيع أن أعود بها الى منزلى ، لا أستطيع أن أخفى هذه الربطة الكبيرة عن أمى ··

وضعت يدى على الجرس ·· فتح لى الباب · نظر الى الربطة فى يدى وابتسم ، جذبنى اليه وقبل وجنتى ، مصطفى تذكر أننى سأحضر ·· البواب لم ينظف الشقة ·· ابتدأنا ننظفها معا ، وشعرت بفرحة لهذا العمل المشترك الذى نقوم به معا ··

تحدث عن عمله ·· تحدث عن الشركة ، تحدث عن رئيسه ، تحدث عن حياته فى أمريكا ، كان يسلينى وأنا أنظف ! انتهينا من التنظيف ·· غسلت وجهى ، نظرت فى المرآة فوق الحوض ·· وجهى متعب ، وضعت مكياج فوقه لأخفى التعب بهذه الألوان ·· جلست فوق مقعد ·· وأحضر مصطفى ربطة فيها بعض الطعام ·· اشتراه قبل أن يحضر ، جلس أمامى فوق مقعد ··

قال : أحكى لى ٠٠ عايشة حياتك ازاى ٠٠

ــ مصطفى ٠٠ أنا مكتش عايشة فى السنين اللى فاتت ٠٠ معرفتش أعيش ٠٠

ــ ليه ٠٠

نظرت اليه لأحكى ٠ ٠عن انتظارى الطويل ، لأعاتبه ٠٠ لأثور فى وجهه ، وشعرت بخجل ٠٠ شعرت أنه غريب أريد أن أقول له شيئا لا يعنيه ٠ ٠شعرت بسخافتى اذا ابتدأت فى هذا الحديث الآن ٠٠ لأنتظر يوما آخر ، يومان ٠٠ الى أن يزول شعورى بأنه غريب ٠

قلت : بكره الجمعة ٠٠ حتروح فين ؟ ٠٠

ــ معزوم فى بيتنا على الغدا ٠٠

ــ نتقابل بعد الضهر ٠٠

ــ نروح فين ؟

ــ استراحة الهرم ٠٠

ــ وحشنى الهرم ٠٠

خلاص نروح ٠٠

واتفقنا على أن نلتقى الساعة السادسة أمام أتوبيسات الأهرام ٠٠ فتح حقيبة ســـفر ٠٠ أخرج بعض الكتب ، وبعض الأشـــياء الصغيرة ، أخرج تمثالا صغيرا ٠٠

قال : أيه رأيك فى التمثال ده ٠٠

ــ ظريف ٠٠

ــ خـــديه ٠٠

ــ ليه ٠٠

ــ هـــدية ٠٠

ــ لما اشتريته قلت ده علشان أميرة ٠٠

واقترب منى ، مد يده بالتمثال ·· أخذته ، ووضعته أمامى فوق المنضدة الصغيرة ، نظرت فى ساعتى ·· قبل أن ينظر هو فى ساعته ويقول أنه على موعد ، وقلت سأتركه ·· لأراه غدا ، نظر الى طويلا ·· اقترب منى ، ضمنى اليه ، اضطربت ·· والتقت الشفاه ··شفتاه تضغطا على شفتى ،و تؤلمهما ·· شفتاى لا تعرفان كيف تردان القبلة ، هل نسيتا ·· كانت فى شوق تنتظراه ·· والآن ؟ أغمضت عينى ·· حتى لا أفكر ·· حتى ترتاح أعصابى المشدودة ثوان وفتحت عينى ·· نظرت اليه ، ابتعدت عنه وأخذت حقيبتى قلت له ألا ينسى موعدنا ، وسرت الى الباب ·

قال : أميرة ، نسيت التمثال ··

– لا ·· مش حاخده ··

نظر الى متعجبا ، فتحت الباب ··

قال : على فكرة ·· أدوات التنضيف جبتيها بكام ·

– مش فاكره ··

●

وجدت مصطفى ينتظرنى ، جلسنا فى أتوبيس الاهرام ، نظرنا من النافذة · هذا مكان جديد ، هذا بناء جديد ، وتساءلت متى ارتفع هذا البناء ·· نظر الى مصطفى بدهشة ··

قال : المفروض أنى أنا اللى استغرب ·· أنا اللى تبهرنى الحاجات الجديدة · أنت مكنتيش عايشة فى البلد ؟

خجلت من نفسى وشـــعرت بحرج ·· التفت الى النافذة ، وابتدأت أتحدث ، أستجمع بصعوبة الأحداث التى حدثت حولى خلال ثلاث سنوات ، كأنى قرأت رواية ونسيتها أو لم ألتفت لها ، وعندما شاهدتها فى فيلم أمامى ·· تذكرت أننى قرأتها يوما ، أعرفها ، وابتدأت أحكيها ··

ارتفعت مبانى ، ارتفعت مداخن ، جاء ضيوف أسماؤها كبيرة

الى بلدنا ، أقاموا مؤتمرات ، صنعوا « أحداث » ألم تقرأ عنها ٠ أشياء كثيرة حدثت فى غيابك يا مصطفى ٠٠ أحداث لم أعشها ، ألم أقل لك أننى لم أستطع أن أعيش فى السنوات الماضية ٠٠ نظر الى ٠٠ لم يسألنى لماذا ؟ ونظر بعيد ٠٠

وقفنا بجانب استراحة الهرم نلتقط أنفاسنا ٠٠

نظر مصطفى الى القاهرة من هذا المكان المرتفع ، فتح ذراعيه، أخذ نفسا عميقا ٠٠ قال أنه افتقد هواء القاهرة ٠٠ ألم تفتقدنى ٠٠

دخلنا الاستراحة وسرت أمامه الى المنضدة المتطرفة فى الجهة اليسرى ٠٠ جذبنى مصطفى من يدى ، لنذهب الى منضدة أخرى فى الجهة المقابلة ٠٠ سرت بجانبه ، يدى فى يده ، ربما أستطيع أن أحكى الآن ، عن هذه السنوات الثلاث ٠٠ ربما المكان الخالى ، والذكريات القديمة تساعدنى على الكلام ٠٠

تحدث مصطفى كيف أمضى يومه مع أهله ، أخته الصغيرة ستتزوج ٠٠ أخاه سيتخرج من الجامعة العام القادم ، سألنى عن أخى ٠٠ قلت له لم أره من زمن ، قلت له ٠٠ أبى سافر اليه هذه الأيام ، صمتنا قليلا ، نظرنا الى القاهرة لأبدأ الآن هذا الحديث الذى أريد أن أقوله ٠٠ لأحكى له عن السنوات التى مضيتها وحدى ، لأعاتبه ٠٠ لأثور فى وجهه ، نظرت اليه ٠٠

قلت : تعرف يامصطفى ،كل ما أزور الهرم وأنت مسافر أفتكر لما كنا بنتقابل هنا ٠٠ فاكر ٠٠

وابتسم : ها هو يشجعنى بابتسامته ٠٠ لاسترسل فى الحديث نظرت اليه وجدته ينظر بعيدا ٠٠ يشعل سيجارة ، شعرت بحرج ٠٠ بسخافة لو استرسلت فى هذا الحديث ، ونظر فى ساعته ، وقال أننا سوف لا نمضى معا وقتا طويلا ٠٠ لأنه على موعد مع مجموعة من أصدقائه ، تضايقت ، شعرت بغصة فى قلبى ٠٠

سرنا الى الباب ٠ ٠نظرت الى المنضدة المتطرفة التى رفض أن يجلس وراءها ، ابتسمت كأنى أعتذر لها عن تصرفه ٠٠ ابتسمت

بحزن ‥ يبدو أن الأيام ترفض أن تعيد نفسها ، قطعة من الحديد والخشب صامتة ‥ ليس لها عواطف ‥ لماذا ارتبط بها ، بعض الأوقات يرتبط الانسان بعاطفة ما لجماد ‥ لشىء ، ويقولون عنه أنه انسان عاطفى ‥ أو مغفل لأنه يرتبط بعاطفة غير متبادلة ‥

خرجنا من المكان ‥ نظرت الى مصطفى وهو يسير بجانبى صامتا نظر الى وابتسم ‥ قال أنه كان يريد أن يبقى معى هنا ، لكن لنعوضها مرة ثانيا ، وسألنى أن أذهب اليه غدا فى شقته ، سيكون موجودا فى أى وقت بعد انتهائى من العمل ‥

●

الساعة الخامسة وضعت يدى على جرس الباب ‥ مرة اثنين، ثلاث مرات ، فتح الباب والماء يتساقط من شعره على وجهه ‥ ويلتف بفوطة كبيرة ‥ سلم على وجرى الى حجرة النوم ، خرج بعد دقائق يرتدى ملابسه كاملة ‥ واستأذن منى ساعة ليذهب الى موعد ويعود ‥ أردت أن أخرج ، طلب منى بالحاح أن أنتظره وجرى الى باب الشقة ‥ ووقفت فترة وحدى ‥ مترددة ، أنزل ، أبقى ، ودرت فى الشقة ، عادت الفوضى اليها ‥ وابتسمت ‥ هو طبيعته هكذا ‥ علقت ملابسه الملقاة باهمال ، ذهبت الى الحجرة التى يعمل فيها ، رفعت «أوراق» عن الأرض ، عدلت من وضع المقاعد ‥ ذهبت الى المنضدة المرتفعة أنظم الأوراق ‥ وجدت خطابا لم يكمل كتابته ، نسيه ‥ أو انشغل بشىء آخر ‥

خطاب يكتبه باللغة الانجليزية ‥ الى فتاة اسمها كارلا يقول لها حبيبتى ، يقول لها أنه افتقدها ، يقول لها أنه سوف لا ينسى تلك الأيام التى مضاها معها ، يقول لها لابد أن تأتى لزيارة مصر كما وعدته ، يقول لها ستنزل فى ضيافته ولم يكمل الخطاب ‥

فى هذه الشقة ستمكث هذه الكارلا عدة أيام ‥ أو عدة شهور ‥ اذا استطاعت أن تأتى ، فتاة أخرى تركها تنتظره ، لابد أنها حزينة هناك ، أم هناك لا يرتبطون بعواطف قوية ‥ ويكتفون بهذه

الأوقات السعيدة ، مهما كان شعور الفتاة ، شعرت بحزن من أجلها ٠٠ أخذت حقيبتى وسرت الى باب الشقة ، ماذا أنتظر ٠٠ وقفت أمام الباب ، لكن ، لم أحك له عن سنوات غيابه ٠٠ لم أعاتبه ، لم أثر فى وجهه فقط قلت أننى لم أستطع أن أعيش ، عدت الى المقعد جلست أنتظره ، شعرت بضيق يخنقنى ، منذ عاد وأنا أشعر بحرج ، بسخافة كلما جلست أمامه أحاول أن أتحدث وأحكى له ٠٠ كلما بدأت فى الكلام أشعر كأنى أجلس مع شخص أكمل له بقية حكاية بدأتها مع آخر ٠٠ فيسألنى ماذا أقصد ، أو يسألنى أى حكاية هذه التى أحكى بقيتها ٠٠

أخذت حقيبتى وذهبت الى باب الشقة ٠ ٠انفتح الباب ووجدته أمامى ٠٠ جذبنى من يدى لأعود ، وضع ورقة كبيرة فوق المنضدة ٠٠ لاحظ الخطاب الذى نسيه ، فرد الورقة فوقه ، ونادانى لأرى بداية المشروع الذى سينفذه ، وجدنى ٠٠ لا أتجاوب مع حماسته ٠٠ مع فرحته ، اقترب منى ، ضمنى اليه ، قبلنى ٠٠ وانحدرت يده الى عنقى ، الى صدرى ، نظرت الى الخطاب الذى أخفاه تحت الورقة ٠

الضيق يختنقنى ٠٠ ابتعدت عنه ٠٠ جلست فوق مقعد ، اقترب منى ٠٠ جذبنى من يدى لأقف ، ضمنى ٠٠ وأطبق شفتاه على شفتى وضغطت يده على صدرى ، يخنقنى ، الضيق يخنقنى ٠٠ شفتاه تخنقنى ، يده تخنقنى ، هذا هو حبيبى الذى كنت أنتظره !

وتجمعت الدموع فى عينى ٠٠ لا أريد أن أبكى ، لا أريده أن يرى دموعى مرة أخرى ، تماسكت ٠٠ وبكل قوتى أبعدته عنى ٠٠ وصرخت فى وجهه ، ابتعد عنى ، كانت صرختى قوية ، عبرت عن كل الضيق والاختناق ، وابتعد عنى ٠٠ أشعل سيجارة وجلس على مقعد ٠٠ وشعرت بغربة ،أمامى يجلس رجل لا أعرفه ، ولا يعرفنى ، كأنى أخطأت الشقة ، كنت ذاهبة الى حبيبى ٠٠ ووجدت نفسى أمام غريب ٠٠ يحاول أن يقبلنى وهو لا يعرفنى ٠٠ ولا أعرفه ، وأخذت حقيبتى وسرت الى باب الشقة ، سألنى أين سأذهب ٠٠ لم ألتفت اليه ٠٠ ونزلت مسرعة ٠٠

هل أنا تصرفت بسخافة معه ·· هل بعد كل هذا الانتظار أرفض قبلة ·· أبعده عنى بصراخ ، لابد أننى جرحت شعوره ، وهو ، ألم يجرح شعورى طوال هذه السنوات ·· لكنى تصرفت بسخافة معه ·· ربما بسبب الضيق الذى خنقنى من الخطاب الذى قرأته لصديقته ، لابد أن أنسى هذه السنوات التى أمضاها وحده هناك ·· ولا أسأل شيئا عنها ·· أنا تصرفت بسخافة معه ، ولابد أن أعتذر ·

●

طلبته فى الصباح قالوا لى أنه عند رئيسه ·· طلبته مرة أخرى ·· وثالثة ·· لم أجده ·· لم أستطع أن أبلع الطعام وقت الغداء ·· عاد أبى من بورسعيد وقال أن صحتى لا تعجبه هذه الأيام ··

قال أن أخى سيأتى قريبا ليأخذنا الى بورسعيد ·· قال اننا لابد أن نذهب لأنه سيعلن خطوبته على احدى الفتيات هناك ·· قال أنه تقدم لأهلها ·· وثارت أمى ·· كيف يتقدم أخى الى عائلة الفتاة وحده ·· كان لابد أن يأخذ والده معه ·· ابتسم أبى ·· وقال أن الشباب مختلفون هذه الأيام ··

قالت أمى : الناس تقول أيه ·· ملوش أهل ·· وكمان كان لازم يقول لنا علشان نسأل على عيلتها ··

قلت : أفرضى عيلتها معجبتكيش ·· تقدرى تمنعيه عن الجواز ··

واحتارت ·· ماذا تقول ··

قال أبى : أنا شفت أبوها ·· راجل ابن حلال ·· لعبنا طاولة مع بعض على البلاج ··

قالت أمى : وشفت أمها ··

قال : لا ··

أخى كون نفسه ·· أصبح طبيبا مشهورا ·· والآن سيكون عائلة ·· سينجب « أطفال » ··

قال أبى اننى لابد أن أسافر معهم ·· قال أن هواء البحر سيفيدنى ·· تركت المائدة قبل أن تسقط دموعى فى الطبق ·· حاولت أن أنام ·· لم أستطع ··

لا أدرى فى أى مكان يمكن أن أطلب مصطفى بعد الظهر ·· النهار يضيع وأنا لم أعتذر ··

ارتديت ملابسى وقت الغروب ·· سأذهب اليه ·· سرت فى هذا الشارع القديم ·· خطواتى مضطربة ، رفعت رأسى الى العمارة الكبيرة ·· واحد اتنين ·· تلاتة ·· أربعة ·· الدور الرابع ·· الشقة فى الجهة اليسرى ·· مضاءة ·· مصطفى موجود ··

وغاص قلبى ·· كنت أفعل هكذا منذ سنين ، عندما كان يغيب عنى ·· عندما لا أستطيع أن أتصل به فى التليفون ·· كنت أسير نفس هذه الخطوات المضطربة ·· وأرفع رأسى الى أعلى ·· وأعد الأدوار ·· لأرى شقته ·· مضاءة فأصعد ·· توقفت خطواتى ·· لعنت خطواتى ·· تمردت على خطواتى ·· لايمكن أن تستمر حياتى هكذا ·· حاولت أن أسرع من خطواتى لأبتعد عن هذا الطريق ·· عن هذه العمارة ·· ناديت على سيارة أجرة ·· وقلت للسائق على عنوان ناهد ··

●

قالت ناهد : أميرة ·· مالك ·· فيه حاجة حصلت ؟!

– أبدا ··

– وشك لونه متغير ··

– مش بنام كويس ··

– مصطفى راجع متغير ·· سعيد قال لى انه بيتصرف بسخافة معاه ومع زمايله ·· وسعيد قرر أنه يعامله معاملة رسمية ·· حاجة غريبة ·· أنت عارفة كانوا أصحاب أزاى ··

– مفيش حاجة غريبة ··

ـ أنت عملت أيه معاه ··

ـ قلت له انى معرفتش أعيش فى السنين اللى فاتت ··

ـ وهو قال لك أيه ··

ـ ولا حاجة ··

صمتت ناهد قليلا ·· وقالت :

ـ أنت وحدك تقدرى تقررى وتتصرفى ·· ده حياتك انت ··

ـ الحقيقة ·· مفيش حدبيكلمنى ·· زى ماتكونوا متفقين ·· حتى عفاف ·· مسألتنيش مجرد سؤال عنه ··

وابتسمت ناهد ··

لابد أنهن حقيقة اتفقوا الا تتحدث واحدة عنه ·· طلبته اكثر من مرة أمام عفاف ·· تذكرت الآن أنها كانت تتحاشى النظر الى وأنا أطلبه ·· ربما كانت تمنع نفسها بالقوة ·· حتى لا تسأل عنه او تعلق على تصرفى ··

حقيقة ·· أنا وحدى أستطيع أن أقرر ·· أى شىء اقرر ·· ومتى أستطيع أن أقرر ·· غدا ·· بعد أسبوع ·· بعد أى يوم ·· هل أنتظر أن يقرر هو مرة أخرى ويتركنى ·· لا أستطيع أن أتحمل قراره مرة أخرى ··

●

طلبته ·· وجدته ·· وسألنى هو اذا كنت أحب أن نتناول العشاء معا فى مقهى ليلى ·· أول يوم منذ عاد يسألنى هو أن نذهب الى مكان ·· لابد أنه يريد أن يقول لى شيئا ·· لابد أنه قرر شيئا ويريد أن يقوله ·· لابد أن هذا الشىء هام ·· حتى انه قال لى أن أنتظره أمام باب منزلى الساعة التاسعة ··

اعتنيت بوضع الألوان فوق وجهى ·· ارتديت «فستانى» يكشف عن ظهرى ·· وقفت أمام باب منزلنا الساعة التاسعة ·· ووجدت

سيارة لونها أخضر ، تقف بعيدة عن الباب ·· ومصطفى يقف أمام السيارة ·· اقتربت منه ··

السيارة بها مجموعة من الوجوه ·· قدمنى لأصدقائه ·· صديق ·· وصديق ·· معهما فتاتان ·· لم أر هذه الوجوه من قبل ·· مصطفى يكون علاقات جديدة ··

جلست فى المقعد الخلفى ·· بجانب فتاة وصديق ·· وجلس مصطفى فى المقعد الأمامى بجانب صاحب السيارة والفتاة الأخرى · قال مصطفى وهو يشير الى الصديق الذى يقود السيارة ·· انهما تعارفا فى أمريكا ·· قال أنهما كانا يسكنان معا ·· فى شقة واحدة لفترة ··

جلسنا حول منضدة كبيرة ·· الأضواء خافتة · الأنغام حالمة ·· دارت عيناى بين الأيدى ·· لاشىء فى أصابعهم يدل على ارتباط رسمى ·· مجرد أصدقاء ·· قال مصطفى ·· الفرقة الموسيقية ممتازة · وتحدثنا عن الفرق الموسيقية التى ظهرت فى هذه السنوات الأخيرة ·· ومصطفى وزميله الذى كان معه يستعمان الينا ·· قمنا لنرقص ·· كل واحد مع صاحبته ··

قلت : مصطفى ·· كنت عايز تقول لى حاجة ··

— لا ··

لاداعى لسؤاله لماذا أراد أن يقابلنى هذا المساء ·· سؤال سخيف ·· فأجابته واضحة أمامى ·· كل صديق معه صاحبته · فسألنى أن أكون معه ·· لا لشىء ·· الا لنكمل المجموعة ·· لأكمل المجموعة ، لا يوجد شىء مهم · يريد أن يقوله لى ··

قامات طويلة تنحنى لتراقص قامات قصيرة ·· قامات متناسقة مع بعضها ·· أجساد بدينة ·· أجساد نحيفة ·· وجوه مبتسمة ·· وجوه مختفية فى الوجوه التى بجوارها ·· كلمات هامسة ·· قبلات هامسة ·· وشفاه تتمتم مع اللحن ·· وكلمات تصبح حلوة عندما تمتزج باللحن · ومصطفى يضمنى ·· نتحرك مع اللحن الهادىء ·

خطوة ·· خطوة ·· رأسه بعيدة عن رأسى ·· ذراعاه يضمانى بلا عاطفة هو فقط يريد أن يرقص ·· وسرحت بأفكارى مع الأنغام العاطفية الحزينة ·· شعرت بحزن عاطفى · ماذا يسمونه ·· شجن ·· شعرت بشجن ·· الانسان لا يعيش حياته كلها فى حلم لا يتحقق ·· الانسان لابد أن يختار ·· لم يمر سوى أسبوع على عودة مصطفى ·· هل أنتظر أسابيع أخرى ·· « وشهور » أخرى · وسنين أخرى ·· ربما يحدث شيء ·· سوف لا يحدث أكثر من الذى حدث خلال الأيام الماضية ·· نفس الأشياء ستعيد نفسها ··

ستدور الأيام هكذا ·· أحدثه لأقابله ·· يوافق فنلتقى ·· يعتذر فأنتظر يوما آخر ·· عندما أفتقده أذهب أبحث عنه ·· عندما يريد مجرد صحبة يسألنى ·· هل أنتظر أن يتغير ·· هو تغير حقيقة ·· عاد ليصنع حياة جديدة ·· بمشاريع جديدة ·· بصحبة جديدة من الأصدقاء ·· ناهد قالت أنه ابتعد عن صحبته القديمة ·· ربما لم يسمح له وقته للآن فى البحث عن فتاة جديدة · هل أنتظر ·· لم أعد أتحمل مزيدا من الانتظار ربما أنا التى تغيرت ··

نظرت اليه ·· ينظر الى العازفين ·· اللحن عاطفى حزين ·· شعرت بحزن ·· بشجن ·· أنا مضطرة أن أختار ·· لايمكن أن تستمر حياتى هكذا ·· وابتدأت الموسيقى الصاخبة ·· لا أحب الرقصات المجنونة ·· وانتفض مصطفى ·· وابتدأ يرقص ·· وقفت أنظر اليه ·· ابتسمت ·· جذبنى من يدى لأرقص ·· ضحكت ·· توقف وعدنا الى المنضدة ·· وجدنا الصديق الذى لم يسافر وصاحبته يجلسان ·· سألت الفتاة مصطفى أن يراقصها لأن صاحبها لا يعرف هذه الرقصة ·· ذهبا الى حلقة الرقص المجنونة ·· وجلست أمام الصديق أنظر الى الراقصين ··

سألنى هل أعمل · نعم ·· قال انه يحترم الفتاة العاملة ·· أشار الى صديقته وهى ترقص مع مصطفى ·· وقال أنها لا تعمل ·· قال أنها تعذبه بالفراغ الذى تعيش فيه ·· قال لابد أننى لا أعانى فى حياتى من فراغ أو تفاهة ·· لم تعجبنى هذه المقارنة ·· فهى صديقته ·· لابد أن يحترمها ·· مادخلى أنا ·· عادوا من حلقة الرقص ··

طلبنا العشاء ·· تحدثنا عن الأطعمة التى يقدمونها فى الملاهى الليلية ·· تحدث مصطفى عن الطعام الغريب الذى أكله يوما هناك ··

تضايقت من صحبتهم ·· تحدثت لاجاملهم ·· ابتسمت لاجاملهم ·· وشعرت بألم فى شفتى من الابتسامة المجاملة ·· بألم فى عظام فكى ·· من الأحاديث التى تملأ أى وقت · ·أعصابى مشدودة ·· أنا غريبة بينهم ··

وبعد منتصف الليل ·· نزلت من السيارة أمام باب منزلى ·· نزل مصطفى ليسلم على ·· ليوصلنى الى الباب ·· شكرنى على هذه الليلة اللطيفة ·· قال لى عندما أجد وقتا أحدثه ·· سرت الى المصعد ·· توقفت ·· نظرت اليه وهو يجلس فى السيارة ·· آسفة يامصطفى ·· أنا مضطرة ·· أن أختار ·· شعور بالحزن يلفنى ·· ربما لأنى اختار مضطرة ·· لا يمكن أن تستمر حياتى هكذا ·· أبكى للاشىء ·· وانتظر لا شىء ·· غيرت ملابسى ووقفت فى النافذة ·· الليل ساكن ·· رطب ··

منذ سنين بعيدة ·· خمس سنوات ·· جمعتنا حفلة ·· وضمنا لحن وسؤال ·· ماذا سيكون فى حياتى ·· وكان كل شىء ·· منذ سنين بعيدة ·· خمس سنوات ·· وجدت حبى الحقيقى ·· والانسان لا يجد حبه الحقيقى كل يوم ·· فعندما يلتقى به لابد أن يتمسك به مهما كانت الظروف ·· وربما أنا ·· لم أكن بالنسبة له حبه الحقيقى ·· فلم يتمسك بى ·· وزاد من عدم تمسكه تلك السنوات ، عاش حياة عريضة مليئة بالعمل ·· بالدراسة ·· بالصديقات ·· بالأصدقاء ·· باللهو ··

الانسان يتغير ·· لابد أننى تغيرت دون أن أدرى ·· فلم أكن أتوقع من نفسى أن أتخذ قرارا فى علاقتى بمصطفى ·· وبهذه السرعة ··

فى تلك السنوات الثلاث ·· كنت اقرر أن اتركه ·· أن انساه لكن صورته كانت لا تبتعد عنى ·· ربماكنت خائفة أن اتخذ قرارا

وهو بعيد وأندم على هذا القرار عندما يعود ·· ربما كنت خائفة أن أرتبط برجل آخر ، وصورة مصطفى مازالت تلاحقنى فتفسد حياتى مع الآخر ·· الى أن أموت ··

هل تصرفت بحكمة ·· انتظرته الى أن عاد ·· ووجدت أننى لا أستطيع الاستمرار معه فقررت أن أبتعد ·· هل هذا تصرف حكيم، أم أنا أبرر فشلى !!

هل أندم على انتظارى له ·· الانسان لا يستطيع أن يندم على كل شىء يفعله ·· لا يستطيع أن ينتقل من ندم الى ندم كما ينقل خطواته ·· الانسان لابد أن يستفيد من أخطائه ولا يندم عليها ·· ما هذه الفلسفة ؟!

هل أنا مخطئة بهذا الانتظار ·· ابتعد عنى فى وقت كانت فيه عاطفتى قوية ·· ربما كانت فى قمتها ·· فلم التفت الى أى اعتبار آخر سوى عاطفتى القوية ·· واستمرت صورته تلازمنى ، وفترة الابتعاد الطويلة خفت من حدة العاطفة دون أن أدرى ·· وسمحت للعقل أن يفكر ·· هو حبى الحقيقى لكنى لا أستطيع الاستمرار معه ·· لم أعد أحتمل طريقته فى معاملتى ·· لم تعجبنى هذه الشخصية التى عاد بها ·· لم يقل لى مجرد أنه افتقدنى ·· كأنى مثل صورة تركها فى شقته ·· وعاد فوجدها كما هى معلقة ·· لم أعد أستطيع أن أدور فى لا شىء ·· أنتظر ·· وأنتظر منه أن يحدد موقفه ·· لماذا لا أحدد أنا موقفى ·· موقفه واضح منذ ثلاث سنوات ، ولم أصدق وقتها ، فهو حبى الحقيقى ·· لابد أن أتمسك به ·· لكن ·· التقيت بالحب الحقيقى والرجل الخطأ ··

ذهبت الى فراشى ، وضعت رأسى فوق الوسادة واستيقظت على صوت أمى وهى تنادينى وتهزنى · ولأول مرة منذ سنوات بعيدة لم أستيقظ على صوت المنبه وهو يصرخ ·

●

عاد محسن من رحلته ·· عادت دلال من أجازتها · جلسنا فى الحجرة الكبيرة ·· فردت قامتى ·· جلست بثقة حتى لا يسألنى أحد ماذا بى ·· هل أقول لهم الخبر ·· هل أقول لعفاف ونادية عن قرارى ·· لا يصح أن أندفع وأقوله اليوم ·· لماذا أنا مترددة ·· هل سأرجع عن هذا القرار غدا · ·لا أظن ·· لا أستطيع ·· سأنتظر أسبوعا لأرى كيف سيتصرف مصطفى عندما لا يجدنى أحدثه ·· هل سيحدثنى هو ·· هل أقول له أنا قررت أن أبتعد عنك ·· ما هذه السخافة ··

دخلت سعدية الى حجرتنا ··

قالت : صباح الخير يا قسم العلاقات ·· مين عليه الدور فى الاجـــــازة ··

قال محسن : ليه عايزة تسيبى ولادك عنده ··

قالت سعدية : تتصوروا أنا قفلت النهاردة على ولادى باب الشقة ·· سبتهم وحدهم ، ومش عارفة أشتغل من الصبح ··

قلت : ليه متعملوش حضانة فى الحى عندك ·· واللا حتى فى الشارع اللى ساكنة فيه ··

قالت سعدية : يا أميرة ·· أنت كلامك بتاع مجلات وكتب ··

فكرت بسرعة ·· هذا عمل يمكننى أن أشترك فيه ·· يمكننى أن أهتم به ··

قلت : اسمعى ·· نتفاهم وأنا حنفذ معاك المشروع ·

أحضرت مقعدا وجلست امام مكتبى ··

قلت : كام واحدة بتشتغل فى شارعكم وعندها أولاد ؟

قالت سعدية : حوالى عشرة ··

قلت : كانت فيه جارة لك بتسيبى ولادك عندها ·· موجودة ؟

قالت سعدية : بس بتكسف أسيب عندها ولادى كل يوم ··

قلت : لما تديها أجر مش حتنكسفى

قالت : جاوئت مرضيتش ٠٠

قلت : لماتاخد ولادك وولاد الجارات حترضى تاخد أجر

قالت : لكن ده عندها ولدين ٠٠

قلت : شقتها واسعة ؟

قالت : هى ساكنة فى العمارة القديمة ٠ ٠شقتها أوسع من شقتنا ٠٠

قلت : أنا جاجى لك النهاردة نروح لها نتفق معاها ونفوت على الجارات نقول لهم المشروع ٠٠

قالت دلال : فكرة هايلة لو نجحت تيجى يا أميرة نعملها فى شارعنا ٠٠

قال محسن : أنت حتشتغلى مشرفة اجتماعية ٠٠

أخذت من سعدية عنوانها ٠٠ وخرجت وهى تقول لى بحماس انها ستنتظرنى ٠٠

●

الساعة السادسة ، وضــــعت يدى على الجرس ٠٠ فتحت سعدية الباب مسرعة ٠٠ وقالت أنها جمعت السيدات الراغبات فى المشروع ٠٠ والسيدة التى سيعرضون عليها عمل الحضانة فى شقتها ستأتى بعد قليل ٠٠ وهمست لى ٠٠ ربما لتتشاور مع زوجها لزيادة دخل البيت ٠٠ وابتسمت لحماسة سعدية ٠ ٠وسلمت على السيدات ٠٠ أربعة ٠٠ سعدية الخامسة ٠٠ وقالت أن الباقيات رفضن الفكرة فمنهن من عندها دادة ٠٠ أو تترك أطفالها مع أمها أو حماتها ٠٠

كل واحدة من السيدات الأربع ابتدأت تحدثنى عن متاعبها مع أطفالها ٠٠ وطلبت سعدية منهن أن يتفقوا على المبلغ الذى يدفع لكل طفل فى الشهر ٠٠

واستقر الاتفاق على أن يدفع للطفل الواحد خمسون قرشا فى الشهر ..

وجاءت السيدة التى ستقيم الحضانة فى شقتها .. وقالت ان زوجها وافق ، فهناك حجرة غير مستعملة يمكن استخدامها ، على أن تحضر السيدات لوازم هذه الحجرة .. واتفقنا على أن تدفع كل سيدة مبلغ بسيط ، ونشترى سريرين للاطفال ، وعدة مقاعد .. وبعض الألعاب .. واتفقت سعدية أن تجمع النقود وأذهب معها فى الغد بعد انتهاء عملنا نشترى هذه الأشياء ..

قالت واحدة .. انها يمكن أن تستغنى عن سرير من شقتها .. وقالت أخرى انها يمكن أن تساهم بكنبة .. وقالت ثالثة .. انها ستحضر مقعدين .. بدل أن يدفعوا مبالغ كبيرة فى شراء أشياء جديدة .. وتكتفى بشراء بعض اللعب ..

واعترضت التى ستقيم الحضانة فى شقتها على تكاليف كل طفل .. فهى ستدفع أجر لشغالة .. وستعمل لهم وجبة بسيطة ، فلا يمكن أن ينتظر الطفل بلا طعام الى وقت الغداء عندما تأتى أمه .. قالت انها عدلت حسابها على أن يتكلف الطفل جنيها فى الشهر .

قالت واحدة .. انها سترسل لها الشغالة التى تعمل عندها .. ووافقت أخرى على أن تفعل نفس الشىء .. لكن السيدة مازالت مترددة . واتفقوا على أن يدفع للطفل سبعون قرشا فى الشهر ..

واقترحت احدى السيدات أن يدفع للطفل خمسون قرشا فى الشهر على أن يأخذ وجبته الخفيفة من بيته .. وهذا أيضا سيوفر تعب السيدة .. حتى تستطيع أن تشرف على بيتها .. ووافقن على هذا الاقتراح .. ووافقت السيدة ..

واقترحت عليهن أن يبدأن فى التنفيذ بعد يومين حتى تستطيع السيدة أن تعد كل شىء ..

ومضت الساعات دون أن أشعر بها سلمت عليهن ، وشكرتنى سعدية على هذه الفكرة .. وسألتنى لماذا لم أحمسها عليها من زمن .. قلت لها أننى اقترحت عليها هذا المشروع من مدة ولم تستمع

الى ‥ ولولا أننى اشعلت حماستها بالاشتراك معها ‥ ما كانت استمعت الى ‥

سعدت بهذه الساعات ‥ سعدت باشتراكى معهن ‥ فليس المهم أن أبتعد ولا أراه ‥ لم أره منذ ثلاث سنوات وكنت متعلقة به ‥ المهم أن أبعد هذه الصورة عنى ‥ عن حياتى ‥ ولا أجعلها تعطل هذه الحياة ‥ المهم أن أعيش مع الناس بأفكارى ‥ بعواطفى ‥ اشترك معهم فى الحياة ‥ أليست هذه خطوات سريعة فى تنفيذ القـــــرار ‥

●

عاد رئيس القسم من اجازته ‥ عاد شكرى ‥ وبمناسبة عودة رئيس القسم عقد اجتماع ‥ سرت بخطوات ثابتة واثقة الى حجرة القسم ‥ سأشترك فى هذا الاجتماع ‥

قال رئيس القسم : أولا نشكر « عفاف » ‥ ونادية ‥ واميرة على قيامهم بأعمال القسم كله ‥

قالت عفاف : الشكر كده مينفعش ‥

قال : أنا موافق على الطلب اللى أنت مقدماه وحتصرف لكم مكافاة ‥

قال شكرى بضيق : أنا كل سنة بقوم بعمل عفاف ما اخذتش مكافاة ‥

قالت عفاف : علشـــان احنا التلاتة بس اللى قمنا بالعمل واصدرنا المجلة ‥ وكل سنة بيكون القسم كله موجود فى غياب رئيس القسم ‥

قلت : عايزين نعمل المجلة كل شهر ‥ مش عايزينها تطلع بالصدفة ‥

قال شكرى : ده اقتراحى من زمان ‥

قالت عفاف : اقتراح ‥ لكن منفذتش حاجة ‥

قال محسن ساخرا ··

ـ اقتراح شكرى اكتر من كده اننا نوزعها فى السوق ··

قالت : المهم نحسنها ونعملها فى ميعاد معين وبعدين نفكر فى بيعها فى السوق ··

قال رئيس القسم : يظهر الشغل الكتير عمل حماسة ··

واغتاظ شكرى : انا مستعد اكون « مسئول » عن صدور المجلة كل شهر ··

قالت عفاف : كلنا مهتمين بالمجلة ··

قال رئيس القسم : دلوقت المفروض ان « عفاف » ونادية واميرة يقوموا باجازاتهم ·

أجازة ·· لا اتحمل اى أجازة الآن ·· لا اتحمل اى فراغ ·· اين أمضى الاجازة ·· ومع من ··

قالت عفاف : انا حقوم بيها أول الشهر ··

قالت نادية : وانا كمان ··

قلت : أنا مش عايزة أجازة السنة دى ··

قال رئيس القسم : اجليها ··

قالت عفاف : ليه يا أميرة ·· ماتيجى معايا الاسكندرية ··

قال رئيس القسم : اتفقوا بعدين ··

قال محسن : دلوقت اتفقنا على أيه ·· اننا نصدر المجلة كل شهر واللا نبيعها فى السوق ··

قال رئيس القسم : نتفق اننا نصدرها كل شهر ··

قال محسن : أصل حكاية بيعها فى السوق ده واسعة شوية ··

قال رئيس القسم : طبعا ·· عايزة تكاليف ·· ومجهود ··

●

جلست وراء مكتبى اكتب أخبار الشركة لنشرها فى عدد المجلة الجديد ، ولاحظوا فى الحجرة الكبيرة اهتمامى بالعمل ·· أنا أتظاهر بالاهتمام ·· أتظاهر وأتمسك بهذا التظاهر الى أن يصبح اهتمامى بالعمل حقيقة وليس تظاهرا ··

واستجمعت كل ارادتى وقلت لصديقاتى ·· الانسان يمكنه أن يبدأ حياته من جديد ·· يمكنه أن يهتم ·· يمكنه أن يكفر عن الذنب الذى ارتكبه فى حق نفسه ·· يمكنه أن يبنيها من جديد ، وكانت نبرات صوتى واثقة فصدقوها ·· وصـــدقتها عندما رأيت نظرة الارتياح فى وجوههن ··

قالت عفاف أن قرارى هذا متأخر عن موعده ثلاث سنوات ·· وقالت دلال ·· أن أهم شىء الا أندفع مثلها فى اتخاذ القرارات ·· وقالت نادية ·· اننى أخذت قرارى بعد تفكير ثلاث سنوات وليس كما يظنون أننى اتخذته بعد أن قابلت مصطفى لمدة أسبوع ·· وقالت ناهد ·· هذا ما كان يتوقعه زوجها سعيد ··

وكل يوم يحمل اسما ·· وتنتهى الاسماء لتعاد من جديد ·· أسبوعان ·· ومصطفى لم يتحدث ليسأل ماذا حدث لى ·· سوف لا يسأل الا اذا سمع صوتى ·· الا اذا حدثته أنا ·· فسيقول وقتها ماذا حدث لى ؟! ··

بعض الناس عاطفيون ، يتأثرون بوجوه معينة يقابلوها فى حياتهم ·· يتأثرون بأيام معينة يمضوها فى حياتهم ·· ويتشبثون بهذه الأيام ،ويريدونها أن تعود ·· وتمر فترة طويلة أو قصيرة الى أن يدركوا أن هذه الأيام أصبحت مجرد ذكريات ·· وهذه الوجوه صور فى هذه الذكريات ·· ويبذلون جهدا فى محاولات النسيان ··

ليس صحيحا أننى عندما قررت أن أبتعد عن مصطفى وانساه ·· ونمت نوما عميقا بعد هذا القرار ·· اننى استيقظت فى الصباح وغسلت الذكريات وأنا أغسل وجهى وكأن شيئا لم يكن ·· لكنى أحاول الآن ·· بكل ارادتى أن أنسى ·· أحاول أن أنهمك فى عملى

وأهتم به ٠٠٠ لأنسى ٠٠ احاول أن أبدو قوية أمام صديقاتى لأنسى أحاول أن أصدق ما أقوله ٠٠ ان الانسان يمكنه أن يبدأ حياته من جديد ٠٠

دخلت سعدية الى حجرتنا ٠٠ مسرعة ٠٠ غاضبة ٠٠

قالت : صباح الخير ياقسم العلاقات ٠٠ اميرة شفتى المصيبة اللى حصلت ٠٠

قال محسن : لازم يا اميرة جالك يومين خصم علشان عملت حضانة ٠٠

قالت سعدية : امبارح لقيت ولادى التلاتة واقفين جنب باب الشقة مستنينى لما أرجع من الشغل ٠٠ الست طردتهم علشان كانوا بيلعبوا ٠٠ وابنى ضرب ابنها وغرقه ميه ٠٠

قلت : والأولاد عدوا الشارع وحدهم ؟

قالت سعدية : تصورى ٠٠ وشارعنا زى ما أنت عارفة فيه عربيات كتير ٠٠ ورحت اتخانقت معاها ٠٠ ولما الستات عرفوا الحكاية أخدوا أولادهم ٠ وكل واحدة بعتت طلبت حاجتها من عند الست ٠٠ السرير ٠٠ والكنبة ٠٠ والكراسى ٠٠

قلت : يعنى المشروع فشل ٠٠

قالت دلال : خسارة كنت عايزة أنفذه فى شارعنا ٠

قلت : حروح النهاردة اكلم الست ٠٠

قالت سعدية : الستات مش ممكن يرجعوا أولادهم تانى عندها ٠٠ ولا أنا ٠٠

قلت : نفكر فى حاجة تانية ٠٠

وسارت سعدية مسرعة الى الباب ٠٠ توقفت ونظرت الى ٠٠

قالت : أميرة ٠٠ متنسيش تفكرى فى حل ٠٠

نظرت اليها وابتسمت ، شعرت بحزن لفشل هذا المشروع الذى اهتممت به ٠٠ اعترتنى فترة يأس ٠٠ لكن ٠٠ لأفكر فى مشـــروع آخر ٠ ٠مادمت سأشترك فى الحياة ٠٠

رفعت عفاف سماعة التليفون لترد على الرنين ٠٠ تحدثت قليلا ثم التفتت الينا والسماعة مازالت فوق أذنها ٠٠

قالت عفاف : أميرة ٠٠ ونادية ٠٠ ودلال ٠٠ ناهد بتسأل فاضيين تتغدوا عندها النهاردة ٠٠

قالت دلال : لا ٠٠ أنا لازم أروح ٠٠

تبادلت مع نادية النظرات ٠٠

قال محسن : يعنى الرجالة مضطهدين ٠٠

قالت عفاف : ناهد بتقول لك جوزها مش فى البيت ٠٠

وذهبنا الى ناهد ٠٠ عفاف ٠٠ نادية ٠ ٠وأنا ٠٠ أعددنا الطعام ٠٠ جلسنا حول المائدة ٠ ٠تحدثنا عن سعدية ومشكلتها التى عادت ٠٠ وتحدثت عن اهتمامى بمشكلتها ٠٠

جلسنا بعد الغداء ٠٠ كل واحدة خلعت حذاءها وجلست فى وضع مريح ٠٠

قالت عفاف : أنا كنت معزومة على العشاء مع جوزى وناس صحابنا ٠٠ وشفت صلاح معاه واحدة ٠٠

قلت : شقرا ٠٠

قالت عفاف : هى ٠٠ وكانوا بيرقصوا بطريقة رومانتيكية خالص ٠٠

قالت ناهد وهى تتحاشى النظر الى :

– صلاح خطب ٠٠

انتفضت نادية وجلست ٠٠

قالت : خســـارة ٠٠

قالت ناهد : فعلا خسارة ٠٠

قالت عفاف : يظهر يا أميرة كنت بتعامليه بالطريقة السخيفة بتاعتك ٠٠

قلت : كل واحد منا كانت له ظروف خاصة ٠٠

قالت عفاف وهى تنظر الى نظرة شاكة ٠٠

وانت لسه عند قرارك ، والّلا بتقابلى مصطفى ٠٠

قلت : سمعتينى قلت أنا قررت أسيبه الا المرة دى ٠٠

قالت عفاف : كنت منتظرة تيجى تقولى أنك حتتجوزيه ٠٠

اعتدلت فى جلستى وقلت بثقة مفتعلة :

ــ اكتشفت أنى مقدرش أعيش معاه ٠٠

قالت عفاف : اللى حيجننى أنك معرفتيش الا بعد المدة دى كلها

قالت نادية : حكاية غريبة ٠٠ تنفع للسينما ٠٠

قالت عفاف : ويسموها عودة الغائب ٠٠

قالت نادية : على وزن عودة الشبح ٠٠

قالت ناهد : لا ٠٠ يسموها وجهان للأمل ٠٠

قالت عفاف : عنوان مش مفهوم ٠٠

أشعلت سيجارة ونظرت اليهم مبتســـمة ٠٠ بعض الأوقات تعترى الشخص رغبة غريبة فى السخرية من أحزان الآخرين ٠٠ ربما ليخفف عنهم ٠٠ ربما السخرية تساعد على تقبل الأمر ببساطة ٠٠ وأن هذا الحزن شىء مضحك لا يستحق الدموع هل هو حقا لايستحق الدموع ٠٠ ربما ٠٠

قالت نادية : لا ٠٠ يسموها ٠٠ لعنة الانتظار ٠٠

قالت ناهد : الحقيقة حكاية أميرة دى حالة نفسية ··

قلت وانا أتظاهر باللامبالاة على ما يقولون :

ــ حكايتى مش مثيرة ·· ولا غريبة ·· ولا حالة نفسية ، مجرد قصة عادية ·· بتحصل فى أى يوم ··

ونزلت مع نادية ·· سرنا بجوار كورنيش النيل ··

قالت: أميرة ·· أنت حبيتى صلاح ··

ــ مش عارفة ··
وسرنا صامتين ··

جلست فى حجرتى ·· كل شىء هادىء حولى ·· سـيأتى الليل الطويل ·· شعرت بوحدة ·· فراغ يحوطنى ·· ونزلت دموعى هادئة ··

ربما حقيقة أنا أحببت صلاح ·· ولم ألتفت لهذا الحب ، وربما هو أيضا أحبنى ولم يلتفت الى هذا الحب ·· ربما اذا لم أكن مشغولة بقصتى القديمة وانتظار مصطفى واذا لم يكن مشغولا بقصته التى لم أحب أن أعرفها ·· ربما كنا التقينا ·· كانت علاقتنا هادئة ·· متفاهمة ·· حلوة ·· كنت أشعر براحة وأنا معه ·· كنت معجبة به ·· وكان معجبا بى ·· ولظروف كل منا الخاصة وقفنا عند خط الاعجاب ··

صلاح ·· شخصيته أعجبتنى ، طريقته فى الحياة أعجبتنى ، معاملته لى أعجبتنى ·· ربما كان له الفضل فى أن أعرف حقيقة نفسى ربما ساعدنى دون أن يدرى ·· ودون أن أدرى فى تغيير نظرتى للحياة ·· جعلنى أنظر اليها نظرة جدية ·· لذلك أخذت قرارا ·· حقيقة كنت مضطرة فى اتخاذ هذا القرار ·· هذا الاختيار ·· لكنى أشعر براحة الآن ·· ربما لأنى سوف لا أطلبه بعد ذلك ربما لأنى لا أنتظره أن يعود ··

وسمعت رنين التليفون ، وسمعت خطوات متجهة الى حجرتى، مسحت دموعى · وأمى تقول لى أن أحدث « ناهد » ·· سألتنى ناهد

أن أذهب معها وزوجها الى سينما حفلة المساء ٠٠ حاولت أن أعتذر وقالت لى انه حجز التذاكر لأنه يعرف انني عندها طول اليوم ٠٠ وافقت ٠٠ وضعت السماعة ٠٠ صديقتي لا تريد أن تتركني وحيدة هذه الأيام ٠٠ لن تدفعني وحدتي الى الرجوع عن قراري ٠٠ أنا قوية وحدى ونزلت دموعى هادئة ، الافضل ألا أكون وحيدة هذه الأيام ٠٠

جلسنا فى السينما ٠٠ سعيد يحاول ان يحكى لى اشـــياء مضحكة ٠٠ انا لست حزينة ٠٠

وجاء رجل ليجلس فى مقعده فى الصف الذى أمامنا ٠٠ نظر الى سعيد وناهد وابتسم ٠٠ وجاء الى صـــفنا ٠٠ سلم عليهما باشتياق ٠ وعرفنا سعيد ، الأستاذ اسماعيل ٠٠ الآنسة أميرة ، وسلم على وهو ينظر فى عينى ، وذهب الى مقعده أمامنا ٠٠

اطفئت الأنوار ٠٠ بدأ عرض الجريدة ٠٠ نظرت الى هذا الرجل ٠٠ يبدو أنه فى الخامسة والثلاثين ٠٠ يبدو من مظهره انه يعمل عملا مهما ٠ ٠التفت الى ناهد لأسألها ٠٠ ماذا يعمل هذا الرجل ٠٠ ولم أسألها ٠٠ وعدت الى مشاهدة الفيلم ٠٠

فى الاستراحة التفت الينا وتحدث معه سعيد ٠٠ سأله لماذا لا يسأل ٠٠ لماذا لا يزورهما ٠٠ قال ان دوامة العمل نجرفه كل يوم ٠٠ماذا يعمل هذا الرجل ٠٠ ونادى على بائع الحلوى ٠٠ ناولنى زجاجة الليمون وهو ينظر فى عينى ٠٠

بدأ الفيلم ٠٠ من هو هذا الرجل ٠٠ لماذا نظر فى عينى ٠٠ التفت لأسأل « ناهد » ٠ هل هذا الرجل متزوج ٠ ولم أسألها وعدت الى مشاهدة الفيلم ٠ ٠اندمجت فى الأحداث ٠٠ وأنتهى الفيلم ٠٠ نزلنا معا ٠٠ وأصر الرجل على أن يوصلنا بسيارته ٠٠

جلست فى المقعد الخلفى بجانب ناهد ٠٠ وجلس سعيد بجانبه ٠٠ قال الرجل أن هناك مسرحية ممتازة فى مسرح الجمهورية تتحدث

عنها البلد سألنا هل شاهدناها ٠٠ أجبنا لا ٠٠ قال سيعزمنا غدا لنراها ٠٠

وقف فى اشارة مرور والتفت الى ٠٠ وقال يسعده أن أكون معهم ، نظرت اليه متعجبة ٠ ٠ما الذى يسعده فى هذا ٠٠ قال أنه دائما يذهب الى السينما وحده ٠٠ وقال أصدقاؤه ينشغلون بعد العمل فى حياتهم الخاصة ٠٠ افتعل هذا الحديث ٠٠ ربما ليقول أنه وحيد ٠٠

من هذا الرجل ٠٠ ماذا يعمل ٠٠ ناهد ستحدثنى عنه غدا ٠٠ وستقول لى عن هذا الحديث الذى دار بينهم بعد أن نزلت امام باب منزلى ٠٠ ستقول لى الا أنسى موعدنا معه ٠٠ هو سبقها وقال لى وهو ينظر فى عينى ألا أنسى موعدنا غدا ٠٠

ماذا يحمله لى الغد ٠٠ ماذا تحمله لى الأيام المقبلة أنا لا أعرف سوى أنها ستمر ٠٠ وستزيل بمرورها هذا الحب الذى تعلقت به سنين ٠٠

نظرت فى ساعتى ٠٠ الصباح يقترب ٠٠ اطفأت النور بجوار فراشى ٠٠

**ونظرت فى ظلام الحجرة ٠٠**

سأرى مصطفى يوما صدفة ٠٠ ربما اضطرب قليلا ٠٠ ويخفق قلبى قليلا ٠ ٠ربما نتبادل تحية صغيرة ٠٠ أو لا نتبادلها ٠٠ ويذهب كل منا الى طريقه ٠٠ وانشغل بحياتى ٠٠ وربما تعيد لى الأحلام ذكرى من تلك الذكريات البعيدة التى سوف لا أستطيع أن أتذكرها وأنا يقظة ٠٠ فتظهر لى صورته فى حلم ٠٠ أتذكره عندما استيقظ ٠٠ وأهز رأسى ٠٠ وكتفى ٠٠

**تمت**

**١٩٦٥**

# كتب صدرت للمؤلفة

يوم بعد يوم ـ رواية

حكايات عن الحب ـ دراسة

عندما يقترب الحب ـ قصص قصيرة

لا تسرق الأحلام ـ رواية

هذا النوع من النساء ـ قصص قصيرة

انقذني من أحلامي ـ قصص قصيرة

الحب والزواج ـ دراسة

أمنيات فى ضوء القمر ـ قصص قصيرة

أنت شمس حياتى ـ قصص قصيرة

ضاع منها فى الزحام ـ قصص قصيرة

ادارة العواطف ـ دراسة

رقم الايداع ١٩٩٠/٣٠٣٦

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 2441

الهيئة المصرية العامة للكتاب